

فن الكعب
محمد خير النوري



أحمد يوسف أحمد

الطبعة الأولى

أبريل ١٩٦٢

الناشر دار النهضة العربية ٣٢ شارع عبدالخالق شروت ت ٧٦٢٣١



كواكب تغيب . وكواكب تلوح مواكب تجي . ومواكب تروح
فيا دمع قل لي على مين نسيل ويا قلب قل لي على مين تنوح
دموعنا اللي مالية حنايا الجفون عصاره قلوب شضبتها الجروح



المرحوم
محمد رمزي نظيم





فنان الشعب
« محمود يرم التونسي »
يدون رواآه

المحتوى

٢	محمود بـيرم التونسي
٨	قصة حياة بـيرم
١٧	بـيرم يحدثنا عن نفسه
٢١	من هو بـيرم بين الأدباء؟
٢٧	أسلوب بـيرم
٣٣	بـيرم واللغة العامية
٣٧	بـيرم المصلح الاجتماعى
٦٢	فلسفة بـيرم
٧٣	بـيرم وأسرة محمد على
٨٠	بـيرم فى المنفى
٩٨	إباء بـيرم
١٠٥	الحنين إلى الوطن
١١٣	بـيرم والاحتلال البريطانى
١١٧	بـيرم والسياسة الداخلية
١٣٢	بـيرم والسياسة الخارجية
١٤٠	بـيرم والثورة
١٤٨	بـيرم الشاعر
١٥٩	بـيرم الرجال
١٩٢	بـيرم الناثر
١٩٦	بـيرم الصحفى



٢٠٨	بيرم ورجال الدين
٢١٦	بيرم والمرأة
٢٢٧	بيرم والعمال
٢٢٩	بيرم والفلاح
٢٣١	بيرم والصناعات الشعبية
٢٣٢	الإعلان بالزجل
٢٣٣	تقليد بيرم لشعراء العرب القدامى
٢٣٨	تقليد بيرم لأسلوب شعراء عصره
٢٤٣	تقليد بيرم لأسلوب كتاب عصره
٢٤٥	مداعبات بيرم للشعراء
٢٥١	بيرم في الرثاء
٢٥٥	على الأرغول
٢٥٩	على الربابة
٢٦٤	فوازير رمضان
٢٦٨	المقامات الشعبية
٢٧٤	السيد ومراته في باريس
٢٨٤	بيرم القصصى
٢٩٠	محاكاة اللهجات المختلفة
٢٩٢	بيرم والأغاني
٢٩٢	الصور المختلفة في أقوال بيرم
٣٣٠	سجل بإنتاج بيرم في حياته الشعبية





ليس ما يحويه هذا الكتاب تسجيلاً لكل إنتاج فنان الشعب « محمود
يبرم التونسي » ، ولكننا هو بعض أنوان مما نظمه أو كتبه ، في شتى فنون الأدب .

وأعتقد أنه من المتعذر أن تجمع آثاره كلها في كتاب . بل إنه لمن العسير
حقاً حصر جميع ما خطه هذا الأديب الفنان مما قرأنا له ومما لم نقرأ . إذ أب
ما وقعت عليه أعيننا من إنتاجه يبلغ آلاف القطع ، وما خطه مما شئت الأحداث
بمضه ، وأخفى الحقودون معالم بعضه الآخر ، غير ما أضاعه الإهمال ، يزيد على
ذلك بكثير

وأعمال « يبرم » ، في مدى صلته بالأدب ، وهي مدة نصف قرن كامل ،
أشبه بالمين الثرة التي لا يبطل منها نبع الماء .





كالجبرتي كان « بيرم » يطوف الأحياء ليدون الأحداث .
والمصور السينمائي أو التشكيلي كان يسجل في لوحات أدبه حياة الشعب .

محمود يرم التونسي

عندما نذكر حياة المرحوم « محمود يرم التونسي » التي عاشها للأدب ، نتذكر في بعض معالمها المؤرخ العظيم « عبد الرحمن الجبرتي » الذي كان يطوف بأحياء القاهرة على ظهر بفلته التي أرقعها من طول تجواله ، وهو يدور بها بين الحوارى والأزقة ليلتقط الأخبار والأنباء من هنا ومن هناك ، ثم يدون هذه الأخبار يوماً بيوم في مذكراته التي أصبحت من بعده أعظم سجل لأحداث العصر الذي عاش فيه . فهكذا كان « يرم » يتنقل بين مختلف الأوساط ، ينقد حالات المجتمع ومشاكله ، وما يعيش فيه الشعب من مساوئ وعجائب .

ونتخيل فيها أيضاً المصور « الفوتوغرافي » ، أو « السينمائي » ، وهو يحمل « الكاميرا » ، يصوب عدستها نحو المنظر الذي يهجه ، والموضوع الذي يستهويه . فهكذا كان « يرم » أيضاً يلتقي بنظارة اللامحة على المشاهد التي حوله ، ليعكس علينا صوراً من انطباعاته

ثم نتصور فيها كذلك الفنان الذي يسجل بفرشاته المشاهد التي تثيره ، والتي يروق له التعبير عنها ، بدافع من أحاسيسه .

فهكذا كان « يرم » يفعل في لوحاته الجميلة التي أخرجها لنا في بدائع شعره وزجله .

نلخص كل أولئك في « يرم »

فقد كان « يرم » حقاً هو ذلك المؤرخ ، وذلك الفوتوغرافي ، وذلك الفنان التشكيلي

وضل من يحسبه ذلك الرجال الذي كان يصوغ الزجل ليطرب الناس ،

أو ذلك الشاعر والزجال الذى كان ينظم للأغاني ، بقدر ما استمعوا إلى ما غناه
ولحنه له المطربون والملحنون . أو هو ذلك الذى برع فى كتابة الأدب العالمى ،
بما كان ينشره على لغة العامة من موضوعات شعبية .

كان أكثر من ذلك .

كان الجوال فى جميع ميادين الأدب .

فى الشعر والزجل والنثر والقصة والنقد

كان بمفرده خلاصة لعبقريّة جيل بأكمله .

ولقد غذى « بيرم » المكتبة العربية فى جميع أنواع فروع الأدب بأروع
ما يمكن أن يخرجّه فرد بذاته . وأطرب الشعب بأنغام عذبة من لمحاته ، فى كل
غرض وغاية ، كما عالج شتى الموضوعات التى تهتم الشعب فى المجتمع الذى ينشده له ،
ويسعى إلى تحقيقه ، محاربتة للمساوىء والأخطاء التى تتغلغل فى كيان الشعب
وتهدم من قيمه .

فهو الشاعر ، والزجال ، والناقد ، والمصلح الكبير ، الذى يهدف ، جل
ما يهدف ، إلى رقى المجتمع الذى يعيش فيه .

مزيج من كل هؤلاء . ، تجتمع فى إنتاجه جميع الفنون الرئيسية الكبرى
من الأدب .

• • •

كنت تراه هادئاً ، وديعاً ، صافى النفس ، نقى السريرة .

وكنت لا تلاحظ للكبرياء أو الغرور أثراً فى نفسه ، فى الوقت الذى كان فيه

غيره من النكرات يملأون الجوف من حوهم ضجيجاً .

كان لا يجاريه فى صياغة الشعر ، ونظم الزجل ، وإنتاج الأدب الشعبى ،

أحد . ولا يبلغ شاعر ، أو زجال ، كفايته وبراعته ، فى دقة الوصف ، والتصوير ،

•

وفى التعبير عن حياة المجتمع ، بمثل ما أوتيته من البلاغة ، واللباقة ، والمقدرة . ومع ذلك كان لا يفتخر بشعره أو زجله . بل إنه لا يحفظ منه شيئاً ، ولا يذكّر شيئاً . بينما يتدفق منه الشعر والزجل تدفقاً ، حتى أعجز الجلمعين حصر ما قال .

وكان من أدبه ، كذلك ، أن يتوارى عن الناس قدر ما يستطيع . ويبلغ به التواضع أن يؤثر السكوت والانزواء فكنت لا تراه متصدراً جماعة ، أو متعالياً في اجتماع .

وكان خفيف الروح فى الشعر الذى يصوغه ، أو الزجل الذى ينظمه . وتبلغ خفة روحه فى تعبيراته حد الإعجاز

* * *

وقد آتاه الله حساً مرهفاً ، وقريحة وقادة ، وذهداً لما حاط . فإذا رأى ما يشبهه عبر عنه بواقعية لا تخطر على بال . وكان يطلق لخياله العنان فى تصوير المرئيات أو الأحداث التى تمر به . فأتى بيانه صوراً رائعة ، وكأنه فنان واقى من العباقرة .

أنيس هو ذلك المصور الفنان الذى يكشف انا عن وسيلته فى التعبير عن المرئيات ، وعن طريقة إخراجه لموضوعاته ، حين يدخل المعرض الزراعى الصناعى ، فلا يخطو بقدمه إلا ليضع لتوه اللمسات فى الصورة بكل تفاصيلها ؟

« حالى أنا له العجب . واتعجبوا ياناس

• تتفرج الناس على المعرض وأنا ع الناس »

وحين يصور ، مثلاً ، ذلك العامل المسكين « عم ابراهيم » وهو عائد حزينا من عمله ، محالته المعنوية ، وشكله ، وهمه :

« عم ابراهيم راجع حزين من شغله

ماشى على العكاز ، ورباط رجله »

« شابل رغيفه تحت باطه وفجله

يارب أطف بالفلاية ، وبيه »

وإذ يعلم عن مطرب فقير ، ترك ولده مريضاً ، وجلس على مقهى انتظاراً لصديق
يقرضه ثمن الدواء . فيطول به الانتظار ، ثم ينمى إليه ولده الوحيد ، في الوقت
الذى تسوق فيه الأقدار رجلاً يساومه على إحياء ليلة طرب ، وينقده جنهين .
فيأخذها ، ويذهب إلى بيته ليجهز ولده للقبر ، ثم يعود بمد دفنه ليحيى
حفلة الغناء !! .

فيلخص « بيرم » تلك المتناقضات بهذا التصوير الرائع ، في قطعة من الزجل:

آه عالى قاعد قدامكم له نفس ملوك
وشكله ظاهر لميونكم أول صملوك

المصر قاعد عا مش لاقى القوت
جاله اللى قال له على إبنك يموت

بين المشا كده والمغرب راجل جزار
داخل يفتش على مطرب ولقاءه فى البار

طلع على التخت وفه باسم فرحان
وكل ما ينوح من همه يقولوا له كان

فى سهرته الناس آهناوا على لحن نواه
وحقهم كانوا يفتنوا وهو يقول آه

قصة حياة بيرم

في يوم مجهول التاريخ ، من مطلع القرن التاسع عشر ، هاجر رجل من تونس ، يحمل في صدره نقمة وكرها لأبناء عشيرته ، نتيجة لضياع حقه في ميراث والديه ، الذي اغتصبته مطامع الأهل والاخوة .

نرح هذا الرجل إلى ميناء الاسكندرية ، ليستقر فيها ، ويتخذها وطناً .

وكانت أم هذا الرجل جارية من جوارى الأتراك .

وفي الاسكندرية تزوج من مصرية أنجب منه ثلاثة أولاد

يعيننا مهم واحد هو « محمد مصطفى بيرم » الذي أضيف إلى اسمه لقب

« التونسي » تمييزاً لأصل أسرته .

ولد « محمد مصطفى بيرم » في الاسكندرية ، وكان كأبيه المهاجر من تونس

يحترف التجارة ، وتجارة الأقمشة المنسوجة بالذات ، التي كانت مهنة شائعة بين المغاربة إذ ذاك .

تزوج هذا الابن من سيدة لم ينجب منها غير فتاة تدعى « لبيبة » .

ثم أدى فريضة الحج فأصبح معروفاً في الحى باسم « الحاج محمد مصطفى » .

وتزوج مرة أخرى من فتاة من الاسكندرية أيضاً ، أنجب منها ولده

« محمود » وبنثاً ماتت بعد مولدها بثلاثة أيام .

وفي غفلة من هذه الزوجة الثانية اقترن سراً بفتاة فنانة ، ممن كن يترددن على

متجره . وأصبحت زوجاته ثلاثاً . ماتت أولاهن قبل أن يقترن بالثانية ، ومات

هو والزوجتان في عصمته .

كان مسرح ذلك حى السیالة بالاسكندرية .

وكان یرى هناك متجر متنوع للأقمشة المنسوجة من كل نوع ، فى الجزء الذى يضم التجار المغاربة ، وتتجمع فى هذا المتجر ، بعد عصر كل يوم ، بضعة من تجار السوق ، وفريق من العلماء والأدباء ، من أصدقاء الحاج .

وشب الابن « محمود محمد مصطفى یرم » حتى إذا بلغ الرابعة ذهب به أبوه إلى كتاب « الشيخ جاد الله » فى « زاوية الشيخ خطاب » بحى السیالة . وكان هذا أول عهد « محمود یرم » بالتعليم .

كان « الشيخ جاد الله » هذا قاسياً على الأطفال فكره « محمود » الكتاب وصاحبه

وكان والد « محمود » يعزم على أن ينشئه قهيباً فى علوم الدين فأخلف « محمود » هذا العزم

وانتهى الأمر بانقطاع « محمود » عن كتاب سيدنا ، إلى أن يعاون أباه ، مع ولدى عمه « حنفى » و « مصطفى » ، فى متجر المنسوجات . ولكن أباه لا یرضى أن يستمر ابنه بائعاً دون إتمام تعليمه .

فيرسله إلى مسجد « المرسى أبو العباس » بالاسكندرية ، لیتلقى فيه العلم ، حيث كان بعض المساجد ، إلى عهد قريب ، يتخذ معاهد دينية تتبع الجامعة الأزهرية .

وكانت سن « محمود » فى ذلك الوقت قد نضجت . عصر الشىء إذ هو الآن يتجاوز الرابعة عشرة من العمر

ومات أبوه ، وتنكر له أولاد عمه . فهجر المتجر أيضاً ، كما انقطع عن معهد العلم .

والتحق بعد ذلك بمحل بقاله عن طريق خاله ، ثم تركه أيضاً .
ثم التحق بعمل في مصنع لهوادج الجمال ، يملكه زوج أمه ، التي اضطرت
لضيقتها أن تقترن بأحد أقربائها .

وماتت أم «محمود بيرم» وله من العمر سبعة عشر عاماً . فلم يبق له من أحد .
وقد فقد كل معين

وحينذاك دفعته الظروف الى أن يفعل شيئاً . فأفتح محلاً خاصاً للبقالة ،
ببعض ما تركته له أمه من ميراث . ولكنه لم يدم في هذا النوع من التجارة غير
شهور سبعة

ثم احترف التجارة بالجملة في صفايح السمن . وقد يسر له ذلك مبلغ الميراث
الذي آل إليه بعد وفاة أمه إذ كفي تجارته وفاض ، فاشترى بباقيه بيتاً صغيراً
في حي الأنفوشي

كانت هذه فترة من حياة الفتى «محمود بيرم» تناولتها عوامل من القلق
والتردد في اختيار المصير

فهو فتى غير محظوظ . محروم من الحنان والسند . يشق طريقه في الحياة .
بقسوة وإصرار .

فتى تتعاقب الأحداث ، وتتكاثر ، وهو بعد لين المود .
وتدور برأسه أفكار وآمال ، ولا يجد في نفسه ما يميزه هذه الأفكار والآمال .
إنه يشعر بنفسه فناً بفطرته ، أديباً بطبعه ، يحب الأدب ، ويعشق النظم
في الشعر والزجل . ولكنه إلى الآن ما زال يعمل في التجارة ، مقلداً بيته أبيه
وجده . فهل قدر له أن يلتزم هذا الجانب من الحياة . . . أم أن القدر قد هيا له
مها وجهاً آخر . . .

لقد كان الفتى سيلنزم العمل التجارى باطراد مكاسبه من تجارة السمن ،
فى عمله التجارى الأخير، لولأنه ضاق وغضب من كثرة الضرائب التى كان
يفرضها المجلس البلدى على تجار الاسكندرية ، وكان أغلب أعضائه من الأجانب ،
الأمر الذى كان فى واقعه سبباً مباشراً فى تغيير مجرى حياة « محمود » .

فقد بدأ أول محاولة أدبية فى هجاء هذا المجلس البلدى بالشعر

ونشرت له جريدة الأهالى هذا الهجاء وإذ نجح ما نظمه ، واستقبله
القراء بالإعجاب والرضا ، هيا نفسه للأدب ، ونوى أن يهجر العمل التجارى .

وكان قد اضطر ، بعد وفاة أمه ، وزواج أخته الكبرى الغير الشقيقة
« لبيبة » ، إلى أن يطلب لنفسه زوجة . فخطبت له فتاة من أهل الاسكندرية ،
تزوجها ، ولكنها ماتت بعد أن أنجبت له ولداً وبتناً ، هما « محمد » و « نعيمة » .

فافترن ، بعد وفاتها ، بزوجة ثانية أنجبت منه أول ما أنجبت بنتاً سميت
« عايدة »

ويهم « بيرم » لأن يخوض بحار الأدب فينشئ مجلة باسم « المسلة » ،
ويصدر عددها الأول بالاسكندرية . ثم ينقلها ، بعد العدد الثانى ، إلى القاهرة
ويصدر منها ثلاثة عشر عدداً . ثم تعطلها له السلطات بأمر من حاكم البلاد ،
حيث كان قد كشف عن فضائح أسرة الجالس على العرش . فيصدر غيرها باسم
« الخازوق » ، ويهاجم فيها الأسرة المالكة أيضاً ، فيكون مآله أن ينفى إلى خارج
البلاد . ويكون النفى إلى موطن أجداده تونس فيجد هناك من تنكر الأهل
له ، ومن سوء حال المواطنين ما يملأه ضيقاً .

ويقضى فى هذا المنفى عامين كاملين . ثم يحتال ليحصل على جواز سفر
مزيف ، ويعود إلى وطنه مصر متسللاً . ويعاود التحرير . ويظهر إنتاجه فى صحيفة

الشباب التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » . ويعيش في
الوطن المصري زهاء العامين دون أن يكشف أمره

ثم ينكشف أمره ، فيقبض عليه من جديد ، وينفي ثانية ، ولكن
إلى فرنسا هذه المرة . ويلاقى هناك أشد مما لاقى من الضيق في منفاه الأول
بوطن أجداده

يتمهن هناك أشق وأحط الأعمال ، لكي يعيش . ويقابله من المتاعب مالا
يحتمله بشر ، وما تنهار دونه العزائم .

فقد كان لا يلتحق بعمل حتى يطرد منه ، عندما يتبين أنه محكوم عليه
بعقاب ، أو يهجره كارهاً من صعوبة العمل ومشقته .

ولقد كان يقضى أياماً على الطوى لا يجد لقمة العيش ، فيقع في ركن من
حجرته الحقيمة صابراً ، أو ينطلق إلى الطريق يبحث عن فتات القوت .
ونتركة يحدثنا عن حالته إذ ذاك في عبارة من عباراته :

« أنا أعيش هنا حياة التشرذ . . أنا أكره البشر صحيح فيه جمال
أمامي . لكنني لا أستطيع أن ألمسه . . صحيح فيه موائد زاخرة بلماً كولات
أراها في اليوم ألف مرة ولكنني لا أستطيع أن أقرب منها فأنا أعيش
حياة السرايب التي يعيشها أي فقير في حي مونمارتر أو الحى اللاتيني . . !! »

ويقضى هذه المرة في المنفى الثاني بفرنسا سبعة أعوام ، من سنة ١٩٢٥ حتى
سنة ١٩٣٢ ، حيث رحلته السلطات الفرنسية إلى تونس بسبب أزمة البطالة في
بلادها إذ ذاك .

ويشارك في تونس في تحرير جريدة الزمان « التونسية » . ثم يصدر جريدة
خاصة باسم « الشباب » ، ويفلقها له الحاكم العسكري الفرنسي .

ثم يتقرر نفيه إلى السنغال

ثم إلى لبنان • فسوريا •

ومن سوريا تعيده السلطات الفرنسية إلى فرنسا • وتمر السفينة التي أقلته ببور سعيد ، فيهرب معها بمساعدة أحد المبعوثين — وهم الفئة التي تنقل السلع بين الميناء والمرآكب العابرة — ويحتفي عن العيون ، حتى يركب القطار إلى القاهرة • وكان ذلك في الثامن من ابريل سنة ١٩٣٨ •

وفي وطنه مصر يعيش مستخفياً عن العيون تارة ، ومتنقلاً من جهة إلى جهة تارة أخرى ، يستجدي الأصدقاء وأصحاب النفوذ لإطلاق حريته •

ويفوز بهذه الحرية بعض الشيء ولكنها حرية مضطربة لا تتم له إلا بعد استكتابه عبارات الاستعطاف الدليلة لحاكم البلاد . وأحاطت به ظروف قاتلة من يوم دخوله أرض الوطن متخفياً إلى أن صدر من وزارة الداخلية أمر بالاغضاء عنه ، لا العفو الشامل .

وعاش « بيرم » في وطنه كما شاءت له الحياة بمرارتها ، حتى أمن على نفسه أن يكتب ، وتشر له الصحف ، وتذيع له الإذاعة ، ما يتقاضى عنه الأجر ليعيش .

وإذ عاش مشرداً بين بلدان المنفى ، وإذ كان مفضوباً عليه من يوم أن شب فتى إلى أن منحته السلطات المصرية الاغضاء دون العفو ، فقد كان لا يحمل الجنسية المصرية ، من حيث كانت هذه الجنسية — في الفترة الأولى من حياة « بيرم » التي ولد فيها من أصل تونسي — لا يهتم لشأنها ، والامتيازات قائمة إذ ذاك ، وهي متعة وحصانة لمن ينعم بها •

ولسكن الثورة ، في عهد العادل ، اعترفت به مصرى النشأة ، وطنى الكيان . فنحته الجنسية المصرية في عام ١٩٥٤ ، ثم شرفته بإنعامها عليه

بوسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى ، وقد سلم هذا الوسام إليه بنفسه السيد / الرئيس « جمال عبد الناصر » .

وكان « بيرم » ، لما لاقاه في حياته من اضطهاد وتشريد ، ولما عاناه من شقاء وحرمان ، ولسوء حظه وخذلانه في كل أمل يأمله أو عمل يطلبه ، ولما سارت عليه حياته من ضيق لازمه من منذ نشأته ، بموت والديه ، وتركه وحيداً يعول نفسه ويعتمد على أعصابه وجلده وصبره ، كان لكل هذا مضطرب الكيان ، مهزوز النفس وقد ترك كل هذا على نفسه أثراً من المرارة والضجر ، وعدم الإيمان بالبشر . فهو دائم الانطواء على نفسه ، يتعد عن المجتمعات ، ويؤثر العزلة والوحدة . وقد فرض على نفسه ذلك لأنه في محنة ممتدة الزمن ، لا يؤمن بشيء إلا بإيمانه بالله وبالقدر المحتوم

وقد كان متديناً يؤدي فروض الدين في أوقاتها ، حتى أنه عوض في مصر ما كان فاته من الصلاة وهو في منفاه ، بأداء الوقت مرتين في مدى الزمن الذي قضاه بوطنه بعد استقراره الأخير .

وتفصيل خطوات حياة « بيرم » الخاصة أمر يطول استعراضه ، وهو ليس من شأن هذا البحث ، الذي يعني ، جل ما يعني ، بدراسة اتجاhe وعرض أعماله . وقد ظلت شعلة العبقرية في « بيرم » متوقدة ، مستمرة الوهج ، رغم إصابته في السنين الأخيرة بمرض الربو الذي هش صدره ، وأضنى صحته ، وهدم من كيانه . ثم ثقل الداء عليه ، فأنهى عهد الأدب ، في أوائل عام ١٩٦١ ، بهذا الصادح الشادى .

وكان مولده في يوم السبت ٤ مايو ١٨٩٣ ، ووفاته في يوم الخميس ٥ يناير ١٩٦١ ، وقد بلغ من العمر سبعة وستين عاماً وعشرة أشهر



بهم بين اولاده



يرم يحدّثنا عن نفسه

« ولدت في عام ١٨٩٣^(١) ، ولم أكّد أشب عن الطوق حتى أدخلتني أبي
مكتبا لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، في الحى الذى كنا نقيم
فيه ، وهو حى (السيلة) بالاسكندرية »

« وقضيت في ذلك المكتب فترة من الزمن تعلمت فيها وحفظت بعض
سور القرآن . ثم نقلت لطلب العلم في مسجدي المرسى أبى العباس والبوصيرى .
وهناك أقبلت ، في مهم وشغف على ما كان يلقى من دروس . ثم حدث أن رأيت
أحد المدرسين يتخصنى بعنايته ويخصنى بكثير من رعايته ، ويسأل عنى كثيرا ،
ويهم بى اهتماما عظيما . وما لبث أن أسفر هذا الاهتمام عن الغرض الخفى الذى
ينتويه ذلك المدرس

« إذ لا حظت أنه ينظر إلى نظرات مرية . فاشمأزت نفسى منه ، وعولت على
الفرار من وجهه وتركت المعهد إلى غير رجعة ، بعد أن كنت معدودا فى طليعة
الطلبة النجباء .. وتربت فى نفسى عقدة من جميع الشيوخ الذين يلبسون مسوخ
التقى والورع . وكرهتهم كراهة الأرض للدماء .

« وودعت المعهد الدينى غير آسف عليه . ثم اشتغلت بقالا فى الحى .

« وما لبثت أن ازددت ثقافة من كثرة ما كنت أقرأ من الكتب القديمة ،
التي كنا نجلبها لنبيع فيها للمشتريين . وسرعان ما أصبحت هوايتى أن أطلع على
ما هو مكتوب فى الورقة قبل أن أطوى فيها البضاعة ، وأعى ما فيها ، ومن العجيب
أننى عثرت ذات يوم على كتاب فى تاريخ « محي الدين بن العربى » وحياته ورأيه
فى الدنيا ، فراقنى كثيرا ، وأقبلت عليه فى مهم وشغف .

(١) ٤ مارس ١٨٩٣

« وكان هذا الكتاب نقطة تحول في حياتي ، إذ رغبت إلى حب التصوف ودراسة الإسلام وأحوال المسلمين ، على محط يتناسب مع العصر ، ويتفق وروح الجماعة التي نعيش فيها. واتسعت مداركي .

« وكنت أقرأ إلى جانب ذلك ما كتبه الذين سبقونا في الزجل والأدب الشعبي ، أمثال عثمان جلال ، والقوصي ، والنجار ، وإمام العبد ، وعبد الله نديم ، وغيرهم من أبناء الفكاكة الراقية ، والنكته اللاذعة فأجتمع لي كل هذا ، مضافا إليه استعدادي الفطري للتمرد على البيئة القذرة التي أعيش بين ظهرانها ، وأرى عيوبها الإجتماعية والأمراض النفسية فيها . فأخذت أنظم الزجل في بعض الحالات ، وأنتقد بعض التصرفات، وفي نفسي حنق شديد على المجتمع الذي يحيا في جو خانق من الاحتلال الإنجليزي . وفي أعماقي ثورة عارمة على الذين يعملون على أن يظل الجهل والفقر سائدين بينتنا إلى أبد الأبدين » .

« فتركت محل البقالة . . . وأخذت أجوس خلال الديار ، وأتجول في الشوارع . أرى وأنتقد ، وأكتب وأؤلف وأحمل في يدي سوطا أضرب به في كل ميدان » .

ثم يقول بعد ذلك :

« لا أعرف شواطئ هذا الموج الزاخر الذي يهدر في نفسي ، وفي قلبي ، وفي رأسي ، من روائع الشعر ، لأضخم الشعراء في أعظم العصور حفاوة بالشعر والشعراء .

« وقد حفظت القرآن ، ودرست ستة كتب مشهورة في تجويده وتلاوته ، بقراءاته الثابتة عن أئمة الشريعة والدين . ثم استوعبت دراسة الأدب العربي من أمهات مصادره ، وشربته من أصنى ينابيعه ودرست البلاغة ، وعلوم اللغة وفقهها ، وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالمعصم .

« وكنت أقدر أنني سأجتز هذه الثقافات العربية الصميمة في صقل استعدادى وموهبتى الشعرية. إلا أنني شهدت في مطلع حياتى صرعى الشعر وأشلاء الشعراء تحت أقدام المشعوذين ، وشذاذ الآفاق ، والمتجرين في سوق الأدب الفارغ ، والكلام الساقط ، واللغة الدارجة ، على أرض خبيثة .

« ثم تعاقبت الحن الثقال مع الليالى الطوال . فأخذت المجاعة مخناقى وخناق الأطفال وتلقيت وحشية الاغتراب^(١) ، ونكد المرض ، وفقدان الأوطان والإخوان ، وضراوة المجاعة ، في بيت لا يؤنس بقايا الآدميين فيه إلا الأتني ، والدموع ، والأنفاس اللاهثة . فلم أر أن أضيف إلى هذه الحن القاصمة محنة الشعر . فتركت ثقافتى واستعدادى ، وموهبتى الشاعرة ، أمانة في ذمة الأيام إلى الزجل ، أنظم به المسرحية والموال والأغنية » .

ويختتم بقوله :

«وكم استأجرتى كل دعى ومتسلى ، لقاء منحنى القليل من الاثابة والمكافأة
التي أجا به بها شظف العيش ، وخشونة الحياة ، ودعوة حاقد استجابت لها الأقدار ،
فبت أرزح تحت وطأة الهمم والرزم والجوع الأزلى » ...

بهذا التصوير الدقيق يقدم لنا « بيرم » نفسه . ولعله في هذه الترجمة يوفر علينا البحث في أصل هذه التنشئة التي أخرجت لنا ذلك النضوج الفذ في شخصيته وكفاءته ، وفي حقيقة هذه الجذور التي أنتجت تلك العبقرية النادرة في تكوين « بيرم » ، وإعداده هذا الاعداد العجيب الذي تميز به عن أنداده وأرباب فنه .

* * *

(١) يقصد نفيه خارج وطنه مصر حين شردته السلطات في عام ١٩٢٠ ، بنفيه إلى تونس ، ثم في عام ١٩٢٤ بنفيه إلى فرنسا ، إلى أن عاد خلسة إلى وطنه أخيراً في عام ١٩٣٨

ولقد كانت حقا ، تظهر في الصحف المصرية ، حينذاك ، مقطوعات من الشعر والزجل فيها روحية « بيرم » ولكنها تحمل اسما غير اسمه .

ولقد اضطر بسبب ضيقه في غربته إلى أن ينظم الشعر أو يصوغ الزجل لغيره . وكان يقدم القطعة التي ينظمها ببضعة من قروش لتعينه على حياته التي كانت قد تأزمت ، وجعلته يتلمس القوت بأشق الوسائل على نفسه .

تماما كما كانت الحال بالمرحوم الشاعر « عبد الحميد الديب » ، الذي كان ينظم القصيدة من الشعر بقرشين ، أو بقرش ، أو بقطعة من السندوتش ، « يبل بها رmqه . وكان يكتب مخطه أحيانا في ذيل القصيدة اسم طالبها منه .

ويسجل « عبد الحميد الديب » ذلك في بيته العجيب ، وكأنه نظمه عزاء لنفسه ونفس « بيرم » -

« بين النجوم إناس قد رفعتهمو

إلى السماء فسدوا باب أرزاقى »



من هو بيرم بين الأدباء ؟

اعتادت الجماهير أن تذكر في مجالسها من يكثر الحديث عن نفسه ، من الشعراء أو الأدباء أو من يثير من حوله ضجة يرمى بها ، من قريب أو من بعيد ، إلى الدعاية لمكاتبه بين أنداده .

ولكن « بيرم » كان من انطوائه على نفسه ، واعتكافه عن الناس ، وعن المجتمعات العامة . ومن هدوئه وقناعته ، وعدم حبه للزهو ، وبعده عن الفرور ، ما جعل الكثيرين لا يكثرثون له :

ولهذه الأسباب قل من شعر ببيرم ، وأحسن بجدارته

والذين يعرفون « بيرم » على حقيقته قلة هم المعنيون بالدراسة والمقارنة في الأدب الرفيع . وإن كان البعض منهم ، أيضاً ، منعته الأثرة والغيرة من الاعتراف الكامل بمكانة هذا الأديب .

لقد كان « بيرم » بعيداً عن الزهو ، والتظاهر - كما أشرنا - لذلك لم تمتلئ بذكره في حياته أعمدة الصحف ، من حيث ألفنا أن نقرأ المظاهرات الصحفية ، والمجادلات من بعض الكتاب والأدباء .

ولكنه ما فارق الحياة حتى نشطت في الإشادة به أقلام منصفة ، قدرت الرجل حق قدره ، وصححت ، من ناحية أخرى ، ما كان يشيعه عنه الغيورون والحاقدون ، من أنه أديب سليط اللسان ، سوق الألفاظ وضع المعاني ، ذلك لكي يحطوا من كيان الرجل ، ويشغلوا أذهان الناس عن قدره وامتيازته .

ومن هؤلاء الغيورين ، أو الحاقدين ، أحد كتاب الفكاهة والشعر والرجل .

وكان يرأس تحرير إحدى المجلات الفكاهية^(١) كان « بيرم » وهو في المنفى خارج الوطن يرسل إليه انتاجاً غزيراً مدى عام كامل لينشره له بأجر ، فكان يخفى الكثير منه ، أو يمزقه حتى لا يثير اهتمام القراء بصاحبه ثم اكتشف « بيرم » مقبسات من ذلك ظهرت باسم هذا الصديق .

وبلغ الحقد ببعضهم — قبل أن يمنح بيرم الجنسية المصرية (وكان المنح في عهد الثورة سنة ١٩٥٤) — أن يذيعوا نسبته إلى تونس ، ذلك من حيث الصق باسمه لقب التونسي ، وأن مجردوه من العلاقة بالجنسية المصرية . مع أنه ولد ، ونشأ ، وعاش في مصر وأحب مصر ، وتعلق بها ، أكثر من وطن أجداده فإن لم يكن الأمر كما قال المرحوم الشاعر « أحمد نسيم » « مصر لمن عاش في أحضانها وطن » ، فلا أقل من أن تنطق جميع أقوال « بيرم » بحبه وتعلقه الشديد بها .



أليس يقول :

واللى أنا متمشق فيه
ما شفت له فى الدنيا شبيه
و بروحى افديه
ولا فى السموات

من بعد ما أحلف بالله
وعشقى له طاهر ترضاه
أحلف بهواه
كل الـديانات

والقلب ده يانور العيين
غيرك ما فيش يا ام الهرمين
ما يساعش اثنين
معشوق بالذات

(١) يروى « بيرم » أن هذا الشخص هو الشاعر والكاتب الفكاهى المعروف (المرحوم) الأستاذ حسين شفيق المصرى ، وكان يرأس تحرير مجلة الإثنين التى أصلها « مجلة كل شىء والدنيا » من مجلات دار الهلال . وقد هجاه بيرم بقصيدة قاسية رأينا أن نهمل نشرها ، ولعله نظمها فى مرارة الواقع الذى كان يعيش فيه

إن كل أديب من الأدباء ، محا فاحية الشعر ، أو الزجل ، أو الزجل ، اشتهر بفرع أو فرعين ، أو أكثر، من فروع الإنتاج ، أما « بيرم » فقد اشتهر في فروع شتى لم تجتمع لأي أديب من الأدباء .

كتب بالثر والشعر والزجل المقامات الشعبية ، والمقطوعات الشعرية والزجلية ، في صور الحياة الاجتماعية ، وتقليد الشعراء والكتاب ، والفوازير ، وعلى الأرجل ، وعلى الرابة ، والقصص القصيرة والطويلة باللغة العامية ، والمواويل البلدية ، والأغاني ، والأوبريت ، والروايات القصيرة للاذاعة ، والروايات الطويلة للمسرح والسينما ، والملاحم ، إلى غير ذلك .

كتب في كل هذا ، وأجاد في الجميع ، بل بلغ القمة في الإجابة

وعرض في نقده اللاذع للكثير من مشكلات حياتنا ، ومن أحوال الناس في جميع الأوساط ، كما هاجم نواحي كثيرة من النظم والأوضاع التي تعيها الأخطاء . ومن ذلك مقارناته بين ما هو متبع عندنا من أساليب التربية والتعليم ، وما يمثله في الخارج ، وفساد الروتين الحكومي ، وضياع مصالح الناس في دواوين العمل ، والاسترخاء في المقاهي ، والفوضى في المنازل ، وجهل المرأة ، والرجل ، والشعوذة ، ونظام الوقف ، والمخدرات ، والاختلاسات ، والإسراف ، وغرائز الخيانة ، والاجرام ، وانحراف السياسة ، والزعامة ، إلى غير ذلك .

وكان في تهكماته ، وسخريته ، ونقده لأخطاء المجتمع ومساوئه ، إلى جانب توجيهاته بالعلاج والإصلاح ، ونواحي فلسفته ، ممثلاً لجميع رجال النقد وكبار المصلحين الاجتماعيين والنائرين على الأوضاع الخاطئة ، والموجهين من الشعراء والأدباء .

وقد قال عنه الدكتور « مصطفى مشرفة » :

« لو قيس فن « بيرم » بمقياس الفن الأوروبي لوجب أن يكون في مقدمة

مرء العالم ، كبارهم لا صغارهم . فهو يشبه إلى حد بعيد شعراء الإنجليز : سبنسر ،
واليوت بل ، وشكسبير

وكتب عنه الأستاذ « أحمد عبد الجيد الفزالي » :

« هكذا عاش « بيرم التونسي » يطالع الناس في كل يوم بإحدى شخصيته
التي كانتا تؤلفان فنه ومواهبه ، وظلت شخصيته كرائد ، وإمام ، وموجه ،
وأستاذ ، لكل من زجل ، تنأى به عن الشعر ، وتغريه بالزجل ، حتى استوى
على عرشه ملكاً متوجاً ، فكل زجالينا ، صغيرهم وكبيرهم ، روافد لهذا المحيط
عميق الأغوار ، مديد الأبعاد ، متلاطم الأمواج »

وكان يشهد له زميله المرحوم الشاعر الزجال « أبو الوفا محمود رمزي نظيم » ،
الذي كان معروفاً بأمير الزجالين : بأنه سيد الأدباء جميعاً في فن الزجل والأدب
الشعبي . وكان لا ينفعه إلا بأستاذنا « بيرم »

والحق إن هذه الأستاذية التي نسبها إليه زميله « نظيم » ، وهذا التفوق
الذي بلغه « بيرم » عن جدارة ، لتمثيلها براعته الفذة في صياغة القوافي الخلابية
اللطيفة ، التي لا تخطر على بال ، وصياغته للمعاني والعبارات الجديدة كل الجدة ،
والقوية كل القوة

والمثال على ذلك ، مثلاً ، قوله من قطعة يعالج فيها مشكلة الحب .

الحب ده حاكم ، وحاكم جاهل ، يقتل ويأسر في المرأة والراجل
جاب الشريفة تحت رجل السافل وجمع المسلم على اليهوديه

* * *

داير بكاسه والأمم عطشانه يستنظر السهران على السهرانه
يسقى اللي في المسجد وأهل الحانه ويبور الأديان على الأنبيه

وقوله وهو يصف القطن :

فايت على القطن كان لسه ورق في العود

واقفة عليه العذارى تحرسه م الدود

فقلت قادر إلهى يجعلك وى صعود

وان كنت مخلوق عفيفى يقلبك فولى جود

وإذ يخاطب زعيم الانقلاب العثماني الأول « مصطفى كمال » بقوله :

ياهلترا وقت ماتلضم بالحيل ل ترطم

حكمت بالشلضم بلضم مآخافش ملام

• • •

صبحت حالا ياجاهد للدين ج ——— احد

والمسلمين واحد واحد عذ ——— دك أغنام

وحين يصور الزواج الغير المتكافئ بين فقير الرجل وتمرد المرأة ، بهذه

الحكمة :

إن كنت يا ابن العرب راجل فقير وعفيف

فوت الجواز للغنى واقعد وحيد وشريف

دى العنة غالية ولكن تنشرى برغيف

والفقر يرمى العفيف فى أوسخ الأوحال

ثم هذه البراعة فى التهم على متعاطى المخدرات الذى قتلته سمومها :

حاتبكي عالى انفقده ماله وزاد غلبه

إبكي على اللى فى حظه انكتم قلبه

ياللى ربطت الكفن ليه الكفن مربوط

حاش الهوى عاللى داخل تربته مبسوط

وإذ تثيره مناظر النساء على شاطئ البحر فيخاطب ربه :

وأقول له يارب تحرقنى وأنا عبدك

واللى عشق واتعشق منك ومن عندك

أنا كنت فى الدنيا بتفرج على فنك

قال لى هناك صنعتى لكن هنا حكى

ثم قدرته الفاتحة فى استخدام الكلمات الأجنبية للقافية العربية بهذه العبارة
التي يتهم فيها على لغة التونسيين .

سأله إسمك محمد قال محمد « وى »

وقلت عندك بطاطس قال لى « نوسيه فنى »

وقلت عندك فاصوليا قال لى « توبنا كوى »

شوفتوش بقى بعد ده طباخ « تريه جنتى »

من ذا يمكنه أن يبلغ هذه المقدرة ؟

ثم من ذا يحسن مثل هذا الوصف لمدنى الجلوس على المقاهى (الملاطيع) :

قاعد لى للبببصة والرجل فوق الرجل

كراسى مترصصة ، والعجل جنب العجل

طالع لى فى الحنشطة ، وامه بتاعة لجل

لكن سبب نفخته عمه ، جوز امه ، غفير

هذا هو بيرم التونسى .

أسلوب بيرم

تناول « بيرم » مظاهر الفساد في المجتمع بأسلوب لاذع من التهمك ، بلغ فيه أحياناً حد الاقذاع . وعالج الصور التي استخلصها من نقده لشتى الأوضاع النابية بنوع فاضح أحياناً من الأدب المكشوف ، قد يؤخذ عليه في البعض ، وقد يغفر له في البعض الآخر .

وقد يكون لحياة « بيرم » في البيئة التي لازمها في أول عهده ، بعض الأثر في ذلك ، فضلاً عن الملابس التي تحيط بالموضوع الذي يتناوله .

ونستمع إلى « بيرم » وهو يصور لنا البيئة التي عاش فيها في أول حياته .

« كان حى رأس التين الجاور للأنفوشى صورة طبق الأصل من عشش للترجمان القاهرية . الرجال يرقصون القردة ، والنساء تسمى في الأزقة تميز ترعى القمامة ، والأطفال يجمعون السيارات »

« كانت أكثر مبانيهم مؤلفة من عشش الصفيح ، المرقعة بالخيش والأبراش ، يعلوها الدجاج والمعيز . وكان قسم كبير من هذه العشش يمتد في شارع رأس التين الموصل إلى السراى ، يتفرج عليه السفراء والقناصل في كل تشريفة . « وأسوأ ما كان يعرف عن أهل رأس التين هو الشجار الذى يقع بين نساءهم ، بتعاير يهتز لها عرش الرحمن ، وبالفاظ ترقص عليها الشياطين . . »

بما تتخيله من صورة هذه البيئة كان المؤثر الأول على « بيرم » ، وهو ما جعله يردد ، دون حساب ، بعض أنواع تلك التعبيرات التي كان يسمعها ، والتي زودته ألفاظها محصيلة شعبية لم يشاركه فيها غيره . فإذا أضفنا إلى ذلك حالة الانحدار ، التي كانت بادية في ذلك الوقت على المجتمع العام ، ندرك السبب

الذى حدا بييرم إلى أن يستخدم ألواناً من الألفاظ السوقية ، وعبارات المهجاء
السافرة ، والصفات الساخرة اللاذعة .

وهو يفسر لنا أمر ذلك فى رده على قارىء اسهجن منه استعماله لأشكال
تلك الألفاظ والتعبيرات ، بقوله :

« رويدك أيها الكاتب الملتهب . فقد نقلنا إليك شيئاً سمعته بأذنيك ،
عن شيء رأيناه بأعيننا . إننا قبل أن نحاول تبرير مسلكتنا نوافقك على أننا
خططنا بهذا القلم تلك الألفاظ البذيئة كما قلت ، المخجلة كما وصفت . وقد كان
غرضنا أن تكون بذيئة ومخجلة . ولئن تطلخ صفحات المسلة^(١) بمثل ما رأيت
فهو أحب إلينا من أن يرى ماخوراً مفتوح الأبواب فى أكبر ميادين العاصمة ،
وفيه الآداب تذلل ، والمروءة تنتهك ، وأحوال الشبيبة تضيع .

« وما كنا نتوقع أن يكون بين قراء المسلة قارىء تخفى عليه أغراضها
فيسئ الظن بنية كاتبها . فإذا فهمت أنت أننا نريد بما كتبناه هدم الأخلاق
أو نشر الفساد ، فأنت ضال عن مهجنا ، قصير النظر عما ذهبنا إليه .

« هذا الطيب يعالج الداء فى بدء الأمر بالعقاقير البسيطة فإذا خبث الداء ،
واستعصى فلا سبيل إلا إلى عملية جراحية ، تنرف الدم ، والقيح ، أو البتر ،
حيث يكون الشفاء أو الموت . وكلاهما صلاح وإصلاح » .

هذا هو المبرر لبيرم فيما كان يصدر منه أحياناً من ألفاظ نابية ، أو عبارات
سوقية وقد يكون فيما أشرنا دفاع عن هذا الكاتب فيما يحويه إنتاجه الأدبى
من بعض الفلتات اللفظية . وإن كان لا يفقر له هذا بعض الهفوات النابية التى
لا بد أن تحسب عليه ، حيث لا يقوم له عذر فيها .

(١) أول مجلة حررها وهو بالاسكندرية . وصدر أول أعدادها يوم الأحد ٤ مايو

سنة ١٩١٩

وقد تعمدت من ناحيتي ، في هذا الكتاب أن أستغنى عن الفقرات التي جاءت فيها الألفاظ أو العبارات النابية ، مستكفياً بالذخيرة الصافية التي لا تحصى من إنتاج « بيرم » .

ومن له من إنتاجه الآلاف من القطع الرائجة لا يجب أن تؤاخذ على بعض الفلوات . بل أننا لنفتخر له حتماً هذا الانطلاق الجارف الذي لم يتمكن من كتبه ، أو كبح جماحه ، وهو في دافع شديد من فيض دافق من الإنتاج ، لا يتحكم في غربلته ، أو تصفيته ، الكاتب الفياض ، الذي يريد أن يعبر عن كل شيء ، وأن يلمس الحوادث جميعاً ، وأن يصور كل الأحداث بواقعتها وطبيعتها .

* * *

وقد تميز « بيرم » بألفاظ بلدية غريبة على أسماع الكثيرين ، لأنها من التعبيرات العامية العميقة .

وبعض هذه الألفاظ من أظرف ما تسمعه الأذن في دقة التعبير ، وصدق الغرض الموضوع له ، فضلاً عن مقدرة « بيرم » الفذة ، ومطاوعة اللغة له ، وتحكمه فيها ، وسعة قاموسه في العامية ، وبراغته في استخدام اللفظ الناجح .

فمثلاً يستخدم لفظة « شباط » . في التعبير عن العراك ، بدل لفظة « شكل » المألوفة .

ولفظة « القشة » . في التعبير عن السيدة البالغة السمنة . .

وهكذا

ونعرض بعض النماذج من ألفاظ « بيرم » - البلدية - الفذة

يقول « بيرم » مثلاً ، للزوجة المناكفة :

« غلبتي جوزك وعلتيه على (الزناز) »

ويقول في وصف الفوضى المتسببة في نظام البيت من زوجة العامل الجاهلة :

« والأرض (تشفى) من طبيخها كناية »

« خطى الكانون و (البرمتين) والطاسة »

وفي وصف « الستات البلدى » في داخل عربة « السوارس » - وهى عربة ذات شكل خاص كانت إلى عهد قريب تنقل الركاب بأجر زهيد بين بعض الأحياء الوطنية ويجرها الخيل

« أو واحدة في حضنها قرطاس (يزك) الأنف »

« قرطاس ملان (بالكاخ) و (العكنة) و (الخاتيت) » .

وفي وصف حالة أحد البكوات في أيام الرتب ، وهو تاجر خضروات من

أصل وضع

« ولما فات (المفق) و (الصرحة) رافق »

« في سوق خضار مصر بياعة بلح أمهات »

وفي وصف الفضولى على الفن ، المتعجب بنفسه :

« يامطول الشعر و (مشلش) (بدلدولتين) و (ميلم) » .

ويخاطب السيدات :

يابنت أبنى الهرم لمى (هلاهياك) » .

ويصف مرة ولدا من أولاد البلد في لعبه مع ابن « صول » من

البوليس

« لعب أمين بن نظلة مرة (طب الميس) »

و« طب الميس » تعبير سوقى عن لعبة « الكرة الشراب »

ثم وصفه للأصوات التى سمعها ، وهو فى تونس ، من الإذاعة فى أول عهدها أيام إدارة شركة ماركوى لها :

« صوتهم (يطشطش) فى ودى ولا (طشيش المقالى) »

وهذا تصوير غريب ليس أنجح منه فى مثل التعبير عما يحسه الانسان من الصوت المضطرب لعدم ضبط الموجة .

ثم يقول فى هذا الزجل أيضاً عارضاً صورة مهائية لقبح الإذاعة حينذاك :

(تحود) و (تلود) و (تربع)

زى الحمار الحساوى

وكل هذه التعبيرات اللفظية ، بالعامية العميقة ، تصوير عجيب لا يخرج إلا عن خيال بارع ، ومن ناقد مصور ، متمكن من فنون الأدب الشعبى .

هذا فى اختياره للألفاظ ، عامية كانت أو عربية فصيحة أما فى فن النثر المرسل فإن « بيرم » ، بلا شك ، قد أجاد فيه إلى حد بعيد .

والذى نعجب له هو هذه العبقرية التى اتسم بها ، وهو لم يتخرج فى معهد رسمى ، أو جامعة من الجامعات ، بل كونه نضجه تكويناً من جهده الشخصى ودراسته الخاصة .

إنها عبقرية لن تجارى ، ولا نحسب أن الزمن سيجوز بمثله مرة أخرى إلا نادراً

* * *

قد البعض « بيرم » وهاجوه من غير حق ، فى إثارة للعامية .

قالوا إن عاميته لا ترقى إلى درجة الأدب الرفيع ، ونكروا على العامية قيمتها
كلفتة أصيلة ، لها مكانتها وقدرتها في الأداء .

وبعض الناقدین من الجاهلین ، والبعض من الحاقدين .

« وليبرم ، كما قلنا ، حساد كثيرون ، حرضتهم الفيرة على أن يبخسوه حقه
من التقدير ، ومهم من كان يشنع عليه بشتى الطرق ، ومن كان يخونه الأمانة .

وكان « بيرم » نفسه يشعر بذلك ، ولا يوليه اكرائنا ، حين كان يؤمن
برسالته كناقذ مصلح ، كرس جهده لخدمة المجتمع . وهو يلح إلى هذه الحقيقة
بقوله ، في مطلع قطعة بعنوان « الشرق » :

من قبل ما أكتب أنا عارف القول ضايح
والأجر بالتأكيد ذاهب حسب الشايح
والشتم حايحيني مسوچر من واد صايح
مهما انكويت بالنار والزيت من فونك فنان



بيرم واللغة العامية

آثر « بيرم أن يتخذ من اللغة العامية ميدانا ليتجاوب فيه مع الشعب في صميم حياته الواقعية ، فمارس الكتابة بالعامية ، من حيث هي لغة الحياة ، حتى هز المشاعر بمقدرته في ميدانها الذي تعذر ولوجه على الكثيرين .

وبيرم الذي كتب في كل فنون الأدب ، من شعر رصين بليغ ، وزجل لطيف أخاذ ، ونثر سليم ممتاز ، بالعربية الفصحى ، وبصور مختلفة في الأدب البحت ، وفي السياسة والاجتماع ، وفي القصة على اختلاف ألوانها ، وفي نوع المقامات الشعبية التي تمزج فيها الفصحى بالأدب الشعبي ، ويتطعم فيها الجد بالفكاهة . وفي تقليده المقتبس من القرآن الكريم ، وفي محاكاته لأساليب

المشاهير من الكتاب لم يكن إثارة اللغة العامية على الفصحى عن ضعف وقد تبدو اللغة العامية سهلة في الظاهر ولكنها تستعصى على قلم الكاتب ، حينما يحاول أن يوطنها إلى فن الأدب ، ويتخذ منها وسيلة للتعبير عما يريد عرضه كقطعة أدبية يجلو بها روائع إنتاجه .

أخذ « بيرم » اللغة العامية ميدانا لإجلاء روائعه في فنون الأدب فكتب بها أزجاله ، ومواويله ، وأغانيه ، وملحقاته ، ومسرحياته . وكتب بها قصصاً قصيرة وطويلة ، وبرع في كل ذلك براعته في نظم الشعر العربي الفصيح .

ونسجل هنا كلمة قيمة للأستاذ الجليل أمين الخولي ، في حديث له عن

« بيرم »^(١) متناولا الكشف عن طاقة اللغة العامية في كيان الأدب العام :

« إن حياة « بيرم » الحافلة شاهد على الحاجة الماسة الدافعة إلى استعمال

لغة الحياة في مختلف الفنون ، من مسرحية ، وصحافية ، وعملية .. إذ كان الرجل

(١) مجلة الأدب ، العدد العاشر ، مارس ١٩٦١ السنة الخامسة

مع الطاقة الفصيحة التي أثبتتها أقوى الاثبات وأبرعه ، يعمد إلى استعمال لفظة الحياة ويؤثرها ، ويبلغ بها من التأثير على الدنيا ذلك المبلغ الكبير .. وتلك فيما يستبين — شهادة — للغة الحياة لا يطعن فيها ولا تجحد .. وأحسب أنه لا موضع للمهارة في جدوى استعمال لغة الحياة ، بعد هذه التجربة الطويلة ، بل إن هذه التجربة لتشهد أنه لا حياة للغة الرسمية إلا بقدر ما تستطيع أن تكون لغة الحياة

« وحياة » بيرم» تجربة في هذا شهادة ، ينبغي أن تقدر دلالتها على أب اللغة العامة لا تقدر الكفاية للتعبير عن كرائم المعاني وكبار الأهداف وجلائل الأغراض .. بل إنها ، باستطاعة التأثير على النفوس والوصول إلى القلوب ، تستطيع مالا تستطيعه اللغة الأخرى من ذلك وتبلغ فيه مبلغاً لا تبلغه الأخرى .. وتنطلق إلى آفاق فسيحة ، كريمة ، تؤثر أن تعبر عنها بتلك اللغة الحيوية فيسففك تأثيرها على الإقناع بها .

« وليس مما يصح كثيراً القول بأن لغة الحياة هي ، دائماً وأولاً ، لغة الأعمار الجهال الذين لا يعرفون من الحياة إلا ما يقوم به بناؤهم الجسمي وكيانهم الحيواني ، ولا بد لهم بشئ من المعاني العالية ، ولا تستطيع لفهم التعبير عن أغراض سامية .

« وليس المعرفة ، ولا الخبرة ، بل ليست الحكمة نفسها موقوفة على القارئ الكاتبين ، بل إن الذين يمارسون الحياة ممارسة عامة ، والذين لم يقرءوا ويكتبوا ، قد يتهاون لهم من المعرفة والثقافة مالا يتهاون منه للذين وقفت معرفتهم بالدنيا عند فك الخط وقراءة الورقة .

« وحسبنا استطرادا في الحديث عن طاقة العامية ، فإما كان القصد الأول إلى بيان ما لبيرم من قدرة على الانتفاع بطاقة العامية والحكمة الاجتماعية ،

والنقد السياسي والأدبي ، وغير ذلك مما ترك فيه آثاراً شاهده بطاقة لنة الحياة ، التي
آثر استعمالها ، وأجاد .

« وما نحن فيه من وقوف عند تجارب الأديب الشعبي الوقوف عند بلاغة
لغة الحياة ، في آثار الرجل ، ومدار تلك البلاغة وأسامها ... وما يخفى من معرفة
مواطن تلك البلاغة فيها ، على من يحاولون استعمالها الفنى اليوم . فلا يتهاهم
ذلك القول البليغ بها إلا لقلة محدودة فيهم .

« و بلاغة العامية لا تكتسب بالمدرسة والتلقى المتعلم . لأنها لاتجد فرصة من
التعليم والتلقين ، في مدرسة ، أو في معهد . بل هي محرومة من ذلك تماماً . . .
فلم يبق سبيل إلى معرفتها واكتسابها إلا الممارسة المجربة المزاولة ، يسعفها الذوق
الموهوب ، والملاحظة الحساسة ، والوجدان الشفاف .. حتى يتهاهم من كل أولئك
مجتمعة ما يرجى من الشعور بوقع التعبير ، وتمثله بالحواس كافة فتحسه ، وتظفر
منه بالادراك الحسى ، كما يقول النفيون ، ويصل الأمر بصاحب الموهبة الذوقية
الممارسة إلى أن يرى الكلمات شاهدة ويسمها معبرة ، ويزوقها ذات طعم .
ولا يبعد عليه أن يتبين للكلمة ملامح وفسات محببة ، خفيفة الدم أو ثقيلة الظل ،
كأبناء آدم الذين يراهم في أوضاع من ذلك متفاوتة . ويسمها كذلك نهارنا
صافياً ، أو أجش كائياً كأنغام الموسيقى في التوقيع والتلحين ويزوق
الألفاظ طعاماً حلواً ، أو مرراً ، كالطعوم والأشربة ، وهو يشمها كذلك عطراً
وطيباً ، أو خبثاً ورتناً .

* * *

« وإذا كان الأمر في كسب بلاغة العامية ودقة الحس بها ، على نحو ما تهياً
لأديب الشعب « بيرم » فإننا لا نلفت الراغبين في شيء من القول البليغ بهذه
اللغة العامة إلا إلى تلك الممارسة المجربة ، يهتدون بها
وفي فن بيرم الشعبي ، وتجربته الحيوية في استعمال اللغة العامية ما يفسر

كل الذي نريد أب نقوله هنا عن بلاغة العامية ، وطريق إدراكها وكيفية إحساسها وتذوقها . فقد كان أديب الشعب من أكثر الناس توفيقاً ، في التذوق اللغوي وعن هذا التذوق النفاذ كان يتخير عباراته ويواتيه من التخير تدفق منطلق ، حتى لا يحوجه الوزن إلى تغيير الكلمات ، وتأليف الجمل في اللغة العامية ، فتحمل كل ما لها من تأثير ووقع ، وهي في نظمه من زجل أو موال ، أو أغنية ، كأنها تجري في الحديث العادي المرسل . . . وكذلك تقدم تجربة « يرم » الفنية المثل والشاهد ، ووسيلة الإيضاح ، التي نلتمسها في بيان بلاغة العامية .

وفي هذه الكلمة البارعة من الأستاذ الكبير « أمين الخولي » ما فيه الكفاية في الدفاع عن مكانة اللغة العامية ، و بلاغتها في التعبير والأداء ، ومقدرة « يرم » الفذة في استخدامها بنجاح منقطع النظير .



بيرم المصلح الاجتماعى

الذى يدقق البحث فى إنتاج المرحوم « محمود بيرم التونسى » لا شك أنه سيحس أن « بيرم » كان يجمع فى نفسه خلاصة كثير من مذاهب رجال الإصلاح ، الذين ظهروا على مسرح الإنسانية .

مهم « دانتي اليارى » شاعر إيطاليا الكبير (١٢٦٥ - ١٣٢١) صاحب « الكوميديا الإلهية » ، وهى المسرحية الرائعة التى صور بها الجحيم الذى يتوعد به الله عباده . وقد عانى « دانتي » آلام النفي والتشريد ، وهو أول من كتب باللغة الإيطالية التى كانت تعد فى وقته اللغة العامية للغة اللاتينية .

ومهم المصلح الدينى « مارتن لوثر » ، زعيم الإصلاح الألمانى (١٤٨٣ - ١٥٤٦) الذى ثار على الكنيسة معترضاً على سلطة البابا المطلقة ، التى جرت إلى المساوىء التى عهدتها القرون الوسطى فى منح صكوك الغفران ، والنذور الرهبانية ، وإكرام القديسين ، والإغراق فى التبتل ، حيث قال : « إني أحتج » . فكان مؤسساً للمذهب البروتستنتى ، مذهب المحتجين .

ومهم « وليم شكسبير » ، الشاعر الانجليزى الكبير (١٥٦٤ - ١٦١٦) الذى ألف المسرحيات الخالدة فى نقد المجتمع الأرسقراطى ، وأسرار القصور الملكية فى بريطانيا ، والذى حلل عواطف الحب والبغض ، والأمانة والجريئة ، فى رواياته المسرحية الكثيرة ، التى منها « عطيل » و « هملت » و « ماكبث » و « العاصفة » و « يوليوس قيصر » و « روميو وجوليت » ، وغيرها .

ومهم « جان مولير » ، شاعر فرنسا الحر الجرىء (١٦٢٢ - ١٦٧٣) الذى عالج موضوعات الحياة فى المجتمع الفرنسى ، وفضح المساوىء ، وعلى

الأخص البخل والاحتيال ، هادفا إلى تهذيب الخلق برواياته التمثيلية الهزلية ،
التي منها « البخيل » و « العامى النبيل » و « مريض الوهم » و « الطيب رغما
عنه » ، وغيرها . وهي بأسلوبه التهكمي النافذ .

ومهم « جان جاك روسو » ، أحد كبار دعاة الثورة الاجتماعية في تاريخ
فرنسا . (١٧١٢ — ١٧٧٨) ، وكان لمؤلفاته ، وكلماته القوية ، الأثر البالغ في
قيام الثورة الفرنسية . ومنها « أميل » و « العقد الاجتماعي » ، وغيرها

ومهم « جان جيته » ، الشاعر والكاتب المسرحي الألماني ، (١٧٤٩ —
١٨٣٢) ، صاحب مسرحية « فاوست » التي عالج فيها الصراع بين الخير والشر ،
وصاحب « آلام فيتر » التي تصور النواحي الإنسانية العميقة من الألم
والحرمان والصبر .

ومهم « آرثر شوبنهاور » الفيلسوف الألماني (١٧٨٨ — ١٨٦٠) الذي
نقد المرأة أشد النقد ، وهو صاحب مذهب التشاؤم
ومهم « ليونولستوى » فيلسوف الإنسانية الروسي ، (١٨٢٨ — ١٩١٠) ،
الذي تار على الزعماء من الحكام والأكليروس ، فهد للثورة ، وناصر الطبقة
الفقيرة من الفلاحين والعمال ، ودافع عنهم في قصصه البديع ، وكلماته الرائعة ،
وفي مقالاته ومؤلفاته

ومهم « رابندراناث طاغور » شاعر الهند العظيم ، (١٨٦١ — ١٩٤١) ،
الذي حلل مختلف الشخصيات ، وبالأخص المرأة التي نظم عنها في الحب والحياة
أروع القطع الشعرية ، وكتب أبداع وأرق القصص في الوطنية والسلام .

ومهم « برنارد شو » ، الفيلسوف والكاتب المسرحي الإنجليزي الساخر
(١٨٥٦ — ١٩٥٦)^(١) ، الذي نقد جميع الأوضاع الشاذة بجرأة لم تتوفر في

(١) راعينا في ترتيب السنين تاريخ وفاة المؤرخ له .

أحد غيره . وهو صاحب المسرحيات الناجحة التي منها : « بيوت الأرامل »
و « رجل الأقدار » و « كانديدا » و « بيجماليون » .

لقد جمع « بيرم » في نفسه خلاصة من مذاهب كل هؤلاء .

يزيد على ذلك خلاصة من آراء شعراء الحكمة ، والفلسفة ، والوعظ ،
والنقد ، والوصف ، في التاريخ الإسلامي بأجمعه . أمثال « البحترى » وأبي العتاهية
و « أبي تمام » و « ابن الرومي » و « أبي العلاء » ، وغيرهم

* * *

ها هو كمصلح اجتماعي يعرض الفارق بين الحال في وطنه والحال في البلاد
الأخرى التي آمنت مدنيته . ليقدم بذلك درسا في الإصلاح .

حا اتجن !

حا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن والا باريز
دى بلاد تمدن ونضافة ، وذوق ولطافة ، وحاجة تفيظ

مصرفون
MisrFone

ما لا قيشي جدع متعافى ، وحافى ، وماشى يقشر خص
ولاشحط مشمرخ ، أفندي ، معاه عود خافه ، ونازل مص
ولالب أسمر ، وسودانى ، وحمص ، وانزل ياتقزقيز
حا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن والا باريز

ولا عركة في نص الليل ، دايرة بالحيل ، وساحبها بوليس
قدامها جدع متجرجر ، وشه معور ، قال ده عريس
انخلق ما هي بتجوز ، واشمغنى احنا ما فيش تمييز
حا اتجن

ولا واحدة في وش الفجر تبرطع ، مالية الدنيا صوت
قال إيه جوز خالتي أم احمد سلفة أخوها السيد مات
سبحانك ، ما اعظم شانك، والله الموت دا مفيد ولذيذ
ح ا اتجن

ولا واحد طالع يجري ، وواحد تانى بيجري وراه
ويقول هاهع ، حصاتك ، يا ابن اللي ابصر إيه عامله
لا الشارع غيط يا اخوانا، ولا احنا بدارد، ولا احنا معيز
ح ا اتجن

ولا واحد يبيع حاجة يقول بريال ، وتأخذها بصاغ
يا اخوانا دي حتى الابرة تأخذها بدوشة وقلب دماغ
حلفان، وعراك، ومناهدة، ويمكن ضرب كفوف يا حفيظ
ح ا اتجن

ولافيش ميت ألف صعيدى بتوع يانصيب ، ولا فيش
ميت ألف معوض داعس ، جاى معاه صندوق ورنيش
والله كرهت القهوة ، وحرمت أقعد عا الأفاريز
ح ا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن ولا باريز

وها هو ينقد حال الأفراد التي كانت توفدهم البلاد في بعثات للخارج مهيبا
بالجميع أن يدركوا أن البلاد تريد رجالا لمستقبلها .

بعثات

تتعلم طب	يا فدى ياللى أبوك باعتك
تعشق وتحب	وفايت العلم وداير
تنظس ما تقب	سبع سنين فانت وانت
يكفر ويسب	خليت أبوك من مصروفك
وارجع بيجمع لب	سيبك بقى من دى الغربة
أقعد بطال	وان شفت فى مصر بطالة
مش عايزة عيال	دى مصر عايزة رجالة
فى أوروبا حقوق	وحضرتك ياللى بتدرس
سكران ماتفوق	بتعط من قهوة لقهوة
أنا أقول محروق	إب كان قانونك يسكت لك
ماخد الاخازوق	والله اللي جابك من ضهره
وشنب مخلوق	رجعت له بفرق وقصة
تقرا الجرنال	وتنجعص له فى الصالة
.....	دى مصر عايزة
فن الدويبا	وحضرتك ياللى بتدرس
دفتر كويبا	وتحت باطك لرفايقك

تاكل فراخ وأبوك قاعد
وتشرب البيرة وهو
حتى السجارة ماشرهها
واخرتها تخدم فى وكالة
دى مصر عايزة . . .

أما اسمه إيه اللي فالفنى
قال فى الزراعة بيتعلم
يقول لى طعم التين يشبه
والفلح لما بتربى
يطلع يبرطع فى العزبة
والساقية ما دام
دى مصر عايزة

فلوس بتورد م الكايرو
كثير ومين عارف يمكن
مع الولد يبيعتها
يحط للمشروب عشرة
ويعيش هنا زابط هايص
تقول إذا شفت الحالة
تحاوليل عا البنك
ميت ألف فرنك
بين هنك ورنك
والجرسون سنك^(١)
وقرايه فى ضنك
ياخسارة المال

(١) سنك عدد فرنسى معناه بالعربية حبة .

دى مصر عايزة رجاله مش عايزه عيال
وينقد الروتين الحكومى ، والتراخى المتفشى فى دواوين الحكومة ، حتى
تتعطل منه أعمال الجماهير :

دوسيهات الدواوين

فى دى الدوسيهات أشفالك وأشفالسى
بقى لها خمسين سنة فى وضعها الحالى
فيها معاش أرملة قالت يابو عيالى
وعرضحال شاب بائس م العمـل خالى
ومشكلة وقف فاتها خورشيد الوالى
حاططها صاحبك ويقول لك وانا مالى
دا حسى بيه المدير العام باعتها لى
ولسه عايزا لها إمضة منتشر عالى
والا حاتمزل على الأرشيف طـوالى
آدى النظام اللى خارب كل بيت مالى
ومركب الفقر أمثالك وأمثالى

ثم ها هو بصور رذيلة الاختلاس التى تنتشر فى مصالح الحكومة وفى
طبيعة بعض الأفراد ، ويدعو لذلك بالاصلاح .

الاختلاس

ياواد يافندى الديوان معفن من كتر ما بتحشى فيه وتدفن
حايطبطوك عن قريب مكفن بسرقتك والحنوط عليه

اتوسطت عمّتك حنيفة وخالتك أم ابراهيم ظريفة
لحدا ما اليه عطاك وظيفة يادوب عشان تقبض الماهية
جيت انت يادولة الموظف بدل ما تهتم أو تنصف
بديت لنا تختلس وتخطف من مال جناب أمك المالية
إهف وشيل، الفلوس، ياشاطر وشغل اللمس في الدفاتر
دا كل راجل شجاع، مخاطر والجبن للطفل، والولية
إسرق ياجدع، وخذ عيننا يامضحك الانجليز علينا
ما دام دا عاجب أمك أمينة إعمل خلاصك يانورعنية

في مصر أربع تلاف مجامى أشوف عددهم أقول يا حامي
أتارى فيه مليونين حرامى فوون وكل واحد عليه قضية
MisrFone

ياواد يافندى العقاب قريب في ذمتي إنك عملت طيب
لا بد من يوم يجيك يشيب سعيد^(١) يزيحك من التكية
إن كنت تسرق دى حسبة واهية إسرق وخليك تروح في داهية
تصبح بيوت الحكومة زاهية من خلقة المجرم الردية
إن كان يحب الوزير يوفر يقوم يراجع في كل دفتر
يلاقى نص العدد وأكثر يستاهل الرفت والأذية

(١) يقصد سعيد باشا الذي كثرت في عهده التكايا

لو نرَبط الخبص . والرشاوى نرتاح من الصرف والبلاوى
ولما قال يرفعوا دعاوى يبقى اللى يحكم تجيه رذية
دا جيش يا عالم بألف فرقة بتنصرف له الفلوس بحرقه
لله فى الله ، كان وسرقة الله يخيب دى فنظرية
ثم يتناول مشاكل الرشاوى فى القائمين على خدمة الجمهور من موظفى
الحكومة ، بهذا التصور الرائع لحالة من الحالات التى يتكرر حدوثها دائما :

شغل الحكومة

عيلة بناتها ثمانية ، وأربعة صبيان
ميت أبوم ، وأرشدهم جد غلبان
باع نص بيت ملك واتوكل على الرحمن
يفتح له دكان بقبالة زى بعضيشان
دفع إيجار السنة ، واخلو رجـل كان
جينا بقى للمساعى من ديوان لديوان
قال فهمى افندى : الرفوف تبعد عن الجدران
وحسنى افندى يقول : الحيطه ناقصة دهاب
وبكرى افندى ، حكم بالفلق عا الدكار
وقال حسن بيه حسين : الفتح فى الامكار
عبال ما فانت سنة فى المنح والحـرمان
ضاع رأس ماله ، وباع الصنجة والميزان
ثم هو الآن يتناول فى موضوع «الكوبونات» ، ويقصد نظام البطاقات.

التموينية ، ما يبدو من جفوة النظم الحكومية في المشرفين على خدمة الجمهور من رجال الحفظ ، والعناء الشديد الذي يصادفه الناس في التفاهم مع المتطرسين من بعضهم : بينما الرؤساء الكبار يمتازون بإنسانيتهم .

الكوبونات

دخلت قسم الخليفة أطلب الكوبونات لقيت شاويش منتفخ بيبرم الشنبات
قريت عليه السلام بالقول والاشارات قال لي ارتكن لما يبجي الباتشاويش بركات
وقفنا شلة إلى أن يحضر المذكور ولما فات المعاون وقفونا طابور
ولما شرف سعادة عزت الأمور خلانا نذكر آله الأرض والسماوات
قلت التذلل إلى الحاكم مهش عيبة والدولة يلزم لها التفخيم والهيبة
لا يصبح الشر بالقنطار وبالويبة ولا السجن والحديد ينفع ولا اللومانات
ولما جيت يا جماعة مجلس الوزرا حسبت روحى راح ادخل في بلاط كسرى
حجاب ورا كل باب واقفين بال عشرة وكل حاجب و باشحاجب عليه زغرة
تغير الدم من حمرة إلى صفرة لكن أخينا العزيز لما دخلت عليه
غير يقينى وأخلف ظنى بال مرة

ثم يتناول موضوع نظار الوقف ، وشرهم ، وعدم أمانتهم في المحافظة على حقوق المستحقين :

ياناظر الوقف من رب العباد ما تخاف ولا الحاكم بتملك منك الانصاف
وان كنت اجازف واقول إن البعيد خطاف أطلع أنا المعتدى و انت من الأشراف

الوقف لك مملكة ، والعدل عنها غاب
عشر سنين وانت تبلع لم حسبت حساب
أول سنة رحلت لك قلت أما أوفى الدين
ثالث سنة رحلت انا حجيت وزرت الزين
خامس سنة خمست عالمكة خشيت
طول لتاسع سنة حبل القضية ياريت
ياناظر الوقف خليت العبارة خل
بكره الأيادي الجديبة بالفلوس تقبل
لا برلمان يخضعك فيها ولا نواب
والمستحقين وراك ما يلتقوا عيش حاف
تاني سنة قلت لي جاري صلاح العين
رابع سنة رحلت لك كنت انت في الأرياف
لحد قاضي الشريعة عال بساط وبكيت
سلمت أمرى لربي خافي الألفاف
وانت اللي صبحت وقف المسلمين ينحل
ويسر سبوها على أروام وبنسيونات

ويتناول أحوال عبيد الله في علاقاتهم بالعباد والصلاح ، بينما تحجب مظاهرهم
الكثير من الأغراض والغايات ثم ينهي برأى قاصم في جنس العجايز من
النساء

يارب سلطان جمالك يتعبد بالذات
لكن عبيدك وخلقتك يعبدوك لغايات
التاجر أما افتقر صلى وصام الفرض
والقطن لما انحرق صاحبه سجد على الأرض
ولما قلت اعملوا بالشرع والسنة
جيات بها المتقين بالخور تنهى
خالص لوجهك لا للنيران ولا الجنات
صبحوا ، وانا عبد منهم كلهم ترسات
والعمدة لما اترقد جالك وقع في العرض
وكلهم عالعبادة يطلبوا حسنات
أضمن لكم يا عبیدی الخلد في الجنة
قام المريض والمكسح بالسمع ركعات

وانا اللى ناوى إذا حققت أحلامي لاحق في كل عام ماشى على أقدامى
واضبط ميعاد الصلاة وامسك على صيامى وانفق جميع ماملكه فى البر والصدقات
تقصف لى أعمر المرة لو حصلت خمسين وبالخصوص لو تكون وحشة من الناشئين
تروق لنا الدنيا، ويروق لك كمان الدين والخلق تستغنى عن ماشطات وعن دايات
تبلى العجايز بحمى حامية تمحيهم واذا اقتضت قدرتك إنك تخليهم
الأمر لك بس تطرشهم وتعميهم إنت اللى عالم بهم ياخالق الحيات

ويدخل ضريح السيدة زينب فيصور لنا هذه الصورة العجيبة للحقائق التى
تختفى وراء أشباح الناس ، فى داخل الضريح الشريف :

ضريح حفيدته محمد سيد الأكون
مصر فون
زواره تنسى الهموم وتفارق الأحزان
فيه جوهرة مفخرة متصورة انسان
أخت الحسن والحسين • السيدة زينب
وأقرب الناس بعهد الوحي والقرآن
وفى المقام الكريم محتال ومحتالة
عا الزائرين يلعبوا نسوان ورجالة
تعرفهم المسلمين فىكى ياغفالة
ويدور عليهم نقيب يبحث عن الحلوان

وكل يوم تتنشل كام محفظة فـلاح
وكل يوم تنغم الشباحة والشباح
واحـدة الحلق من ودانها باللطافة راح
والثانية ضاء من سكات من صدرها الكردان

والنصاين . والاصوص قاعدين بشكل مريب
في القبة « ليلا بهاراً » واسمهم محاسب
مترصدين بالمقالب ضد كل غريب
والغرب تحضر أوف من كافة البلدان
وفي المقام الكريم يدخل هاموش وهاموش
يحبوا أهل النبي لكن ما يبصلوش
ويحبوا أهل النبي لكن ما بيزكوش
غير قرش . والقرش ياريتة لفقير غلبان

ثم هو هنا يعطى درساً لجماعة الأمهات في سوء رعايتهن للأطفال ، مندداً
بالإهمال الذي يهوى إلى الموت .

في التربة حطت ثمانية

لو شفتي يا نظرة هانم خلتك أم رءوف

والموت يبجرف عيالها بالجاروف ويزوف

في التربة حطت ثمانية ، جنب بعض صنوف

وادى اللى فاضل على اديها ولد مقصوف

جابت في أول ولادة البكرى في شعبان ،
في النص باين ، وقام كل يا دوب رمضان
تعالى قال دغدغى له الكمك دى الغابان
ما بات بعيد عنك إلا في الكفن ملفوف

والثانى كان كل لحظة تعطيه البرة
ولما يصرخ تهزه ستميت هزة
راح من إديهـا على التربة وله حزة
عالبطن والركبتين من دى القماط الصوف

والتالت اللى حبي لها بلغ سنتين
فايتاه مومخ وقال خايفة عليه م العين
يقوم على اديه ، ويتدور ، صلاة الزين
شاف لك وابور الطبيخ والع وراح محذوف

وعاش لها الرابع اتناشر سنة بالزور
باعت عليه الأساور في علب وبخور
طلع عداكى ، بليد ، ألدغ ، عبيط ، مطيور
يوقع القرش ، ويقول عا الحمامة خروف

استنظره الموت ، وفي العيد الكبير جاه
في اللحم ، لما حشر من كل ما طاه

أكل في بيتهم ، وبيت عمه ، وبيت خاله
ويعيد غداه ، كل ما يدخل لأهله ضيوف

والخامس اللي طلع لك من أخوه أعبط
فسد ، وخاب ، ماتشوفيه في البحر يتلمبط
يا عاالترمواي بيتقنزع ويتشعبط
وصل الخبر للمرة إن ابنها منسوف

أما رءوف اللي كانت كل يوم توصيه
إذ ان أبوه يسأله عن أى شىء يخفيه

كبير ، وكان ان طلب حاجة ، ولم تعطيه
يدعها العلقة ، والسيم القديم معروف
ولما كان الولد في نشأته كذاب

والكذب دا يخلى صاحبه في الكبر نصاب
رءوف في كل الصنایع والوظائف خاب
طفش على الكبومات^(١) .ويا اللي ماتوا ألوف

قلت لها يا دلعدى العيل إذا كتر
من اللبن يتجمع ويش حال إذا اتظفر

(١) المسكرات التي كانت منتشرة للسلطات الانجليزية في ذلك العهد

قالت : ياشيخ كل شيء مكتوب ومقدر

قلت لها : طب والحجاب ؟ قالت : داشيء موصوف

يا نظلة هانم ، فى نسواننا أنا كليت

حتى الشتيمة بعيـد عن ستى ما خليت

قصـدى صلاح النسا ، والمائة والبيت

لأن نسوان بلـدنا رجالهمـا قحوف

ثم يتناول ما يدور بين الحريم فى البيوت من حوار سخيف ، يسىء إلى الكرامة ، ويضر برقى المجتمع الذى تتوخاه فى أدهن ، وتريبتهن ، وثقافتهن .



أنا حافتح شباك يازكة دى طراوة وساعة عصرية

شوفى ياختى الناس رايحة وجاية والعربيات المليانة

حلاوة بيتكم ياختى يافايقة عا الشارع وله شكل وهياة

يا ما با ابقى ف بيتنا متضايقة كدا وحدى وقاعدة طهقانة

الشيخ ده أبو جبه طرايشى وحزام متدلل مناوشى

جه خطينى وبابا مارضىشى قال مارضىش يسكن ويانا

شوفى شوفى الراجل يميل عا الشبة اللى معاها العيل

واهو بيكلمها المتليل واهى ردت رجرة التلفانة

وكان بتجاوب بملاطفة
يخفى النسوان جاتهم قصفة
واهى داخلة معاه جوه العطفة
نسوان اليوم الندمانه
والافندى اللى فايده عصاية
جاك نيلة دى زى الحراية
دا يومانى يفوت م النجىادى
مستقل وف حاله وهادى
أهو ده اللى هناك اللى معدى
فى صدره المنديل الوردى

يقولوا الناس دا مغلبها
وابصر مين كان قال سيبها
ومجموعها ومعذبها
ومرافق واحده خيانة
ياخى جاتها مصيبة فى خلقها
تفكر لفلانها وعلانة
هيه اللى بفل بسلامتها
خشى أحسن بابا حاشوفنا
من راس الشارع يكشفنا
يطلع يشتمنا ويكشفنا
وأبات أنا وانتى زعـلانة

وها هو يعالج مشكلة الحب الجنونى ، الذى يندفع فيه الأفراد بطيش وخيبة :

الحب

يا لى تقول الحب نعيم
بس انت بهيم
ما يعلك غير التلطيـم
بين الجمـالات

حسدت عاشق على معشوق لو كنت تـــــــدوق.
 تهـــــــ لم بان الحب خازوق مش بلح امهـــــــات.
 ما حد منـــــــه بلغ أمله وركب جمـــــــله
 ياما عمـــــــل وبلغ عمله بدع الســـــــتات
 آه لما تاخذـــــــ مرة ميعاد وتقف منـــــــكاد
 تقول ما جاتش البنت يا واد ليلتك حســـــــومات
 تقف من اثنين تحت الكن لخمـــــــة ترن
 لاسـت ولا ســــتوتة تحن على الشـــــــحات
 ولا أما تتمحك عالباب ويبجي البـــــــواب
 ويسالك إيه الأــــباب لك ستــــاعات
 يا يقول عليك سافل ملعون يا يقول مجذــــون
 يبقى إن ما كان دا يكون دا يكون ضرب مقشــــات
 الحب له تخايل وأمور وتاريخ مســــطور
 ودعس كبس من المأمور عالعربــــيات
 الحب خلا ناسات مهرت وناسات كفــــرت
 وياما ناس فيــــه اتتحت ف الذهبــــيات
 ومش مصيبة أما الإنسان شرفه ينهــــان
 لما يكلم دى النســــوان بالعرضحــــالات

واللى أنا متمشق فيه وبروحى افسديه
ما شفت له فى الدنيا اشبيه ولا فى السموات
من بعد ما أحلف بالله أحلف به هـ واه
وعشقى له طاهر ترضاه كل الديرانات
والقلب دا يا نور العين ما يساعش اثنين
غيرك ما فيش يام الهرمين معشوق بالذات

وفى هذه القطعة المؤلمة يصور مأساة فى ملجأ للأيتام بمدينة طنطا ، كان جميع الأطفال فيه قد أصيبوا بالانكاستوما ، لتناولهم طعاما ملوثا ، ثم حقنوا بحقن غير نظيفة فماتوا جميعاً :

من خوفى لا يجينى عيل يتيم
ويلوص من بعدى والناس فيه تشم
وان رحوه يدخل فى الملجأ يخدم
سعادتلو الناظر من غير شهرية
على يتيه يجره يقضى طلباته
ويوماتى على الله يمسخ له بلاطه
وابنه اللى بيرضع يفسل له قاطه
لا مليم ياخذ ولا شربة ميه
أيتام انصابت بالانكليسوما
ووراهم ناظر سابق بالشومه

اتحفنوا وناموا
وانشالوا وراحوا
حالف ما اتجوز
قولوا ويأيه
كأت آخر نومة
فأ الأمة ضحفة
ولا أجب لأذفة
تحفا العزوففة

وهو هنا يعطى درساً ناجحاً فى قفمة العمل الحر ، أختار له عنوا
« الصعافة » لفكون دلفلا صادقا للمقارنة بفن صاحب العمل أو التجارة ،
وحامل الشهافة العف

الصعافة

حلال عفكم فا صعافة
بعضكم نللو الفافة
فلوس عف المصرى عافة
خضار ، وسمك ، كاه مزافة
من عفر كتابة ولا قرافة
وانا والذوات اللف معافا
مقعدانا فى تكافا
فى كل كام عام وكفافة
شلة كوامل وصوامعه^(٢)
تكسبو الملاف
والفمع نافمف
مش عف الثانفف
واشغل فا زفدان^(١)
تملكوا العارات
قال بفوع شهادات
نشحت العلاوات
نفختك فا دفوا
شقلبو الأوصاء

(١) ناجر جملة صعفدى معروف .
(٢) الكوامل والصوامعة عشار صعففة .

كسب الوزير سنوى فى جمعة يكسبه البىاع
اتشبرى لنا انتى يا جامعة واخلى الصباغ
يترصصوا رؤيا ونسمة يلعبوا كونكان

وها هو يعالج موضوعاً خطيراً ، وهو موضوع أدعياء الأدب والفضوليين على
مأثدته . ويصور هؤلاء « الهلافيت » وسط بيئتهم . بل إنه ليصور الحالة المعنوية
لضيق حال الأدب ، وبؤس حال الأديب .

المؤلف

عبد السلام أحمدين صالح زنائى جاد
أفندى حاجج ، ولكن من بنى « شداد »
ما يفوتشى نوبة الصلاة ، بعد الصلاة أوراد
وكل أسبوع فى بيته الذكر والانشاد
له مكتبة تلقى فيها بهجة العشاق
واللجلال السيوطى لهفة المشتاق
ونسخة فى الطب والحكمة لسبعين داء
وكتاب محارى كان من ريحة الأجداد
طلعت فى راس أحمدين يعمل كتاب تأليف
حيث إزه عصرى وجده شيخ طريق وشريف
وصار يصنف ويجمع فى الحكم تصنيف
شء عن عطا الله وشء عن ظافر الحداد

هار وليل والكتاب يتعاد ويتراجع
وكل صفحة انكتب في طرفها تابع
سبع شهور والمؤلف ناوى فى السابـع
يطبع وصول اشـتراك ويحصل الايراد

قالت مرأة أحمدين لما وحشها البيه
ما اعرفش ليه بس يتعب كل ليلة عنيه
ماشفت مثله يفتش عما التعب بايديه
بشوف عمايله دى وحياة النبي بانكاد

لو كان داشيء منه فايده كنت أقول يا طباه
السعى عالرزق واجب ، لم أحد يأباه
لكن حيا الله ؛ كتاب عمرى ما انا شارياه
بقرش تعريفه ، والا قرش صاغ ان زاد

قال يا عبيطة ، بلاش دوشة وقلب دماغ
دا كتاب ثمين فى «العلوم» حقه حداشر صاغ
واهو النهاردة على وش انتها وفراغ
وبعد ما ينطبع ويجيب فلوس يتعاد

عبد السلام بالدفاتر دار على الاخوان
من له عشم فيه يناوله الدفتر المليون.

عشرين جنيه لهم بالقربة والفتجان
والوصل فيه الحساب لكن ما فيش ميعاد
قالت له هات لى بقى يادلعدى ملاية
وغويشة واحدة، ولومفرد بدلاية
وان كان نقص شىء أكل مللى ويابه
كان الكتاب اتجمع فى المطبعة يا اولاد

بيعت له صبيانه صاحب المطبعة سلامون
يقول لهم من سريره عندكو الكركون
لا بالمراسلة أخذ حقه ولا بتليفون
آخرتها باع الكتاب بيعة ورق فى مزاد
MisrFone

واللى اشترك فى الكتاب وصله الكتاب ثانى
الى اشترى فيه بلح واللى اشترى سودانى
واللى اشترى فيه عنب، واللى طحال ضانى
القصد إن الكتاب برضك لأهله عاد

ثم يذهب « ييرم » إلى بعيد، فيصور لنا، وهو فى باريس، مرقصا من
مراقص الزوج و«أناك»، وأنت تتاو عبارات « ييرم » فيه، تتبع الإيقاع
للموسيقى فى « جازباندا » الزوج خطوة خطوة .

مراقص الزنوج

تحت في الظلام دانسينج
مخبوطين محقنة ببنج
بنج من جمال أشكال
من جعب قصار وطوال
ترجف القلوب وتطب
هب شدوا حيلكم هب
طيلة العبيد السود
خلت ام أجمل عود
تسمع السودع يشن
لما كل عرق يحن
ترفع اليمين وتشيل
عالجده بشكل جميل
واللي حطوا لون على لون
والجدع من الكاميرون
يشغل الغرام ويقيد
بدع من أوربا جديد

يجمع البذور والزنج
أحلى من حقن مورفين
بنج من نعم شغال
مذغم نعم شياطين
والقدود تميل للحب
ياللى في الميدان نازلين
دايرة والتغير مدود
تنتقل شمال ويمين
يقرب الملايكة بجن
في المدموازيل جوزفين
أختها الشمال وتميل
ياختى والعيون ناعسين
«وكتوريس» من السريون
عن عصب أم غافلين
في المهج بفحم عبيد
بعده بطلوا الكوانين



واللعين إديه بتلف خصر يترعش ويرف
جسه يتسعد ويخف ضوغرى والجميع شايفين
لابسة روب حرير مكشوف من حروف تشد حروف
لى ما اتصلش يشوف يعنى كلهم فايزين
يجعل الكلام ده خفيف عالى عقله له ضعيف
واللى قلبه له عفيف يفهم الشرف والدين.



« إن بيرم كان يمكن أن يكون رساماً
كبيراً فالكلمات تخرج من فمه ، وكأنها
عذارى جميلات ، تلبس أنغر الثياب .
والصورة الشعرية تغادر خياله ،
وكانها مواكب أفراح وأحزان ، تسير إلى
دنيا الحواس . »

رشدى صالح

فلسفة بيرم

هل تقتصر على أن تعرف «بيرم» شاعراً وزجالاً، ومؤلفاً للأغاني، فحسب، كما تقف في معرفته عند هذا الحد، للأسف، أذهان فريق كبير من القراء أم الأجدر أن نكلف أنفسنا دراسة أعماله، وأن نتناول بالتحليل الدقيق أفكاره ومعانيه؟

ليس من شك في أننا سنؤمن بعد هذه الدراسة، وهذا التحليل، بأنه كان فيلسوفاً.

لم يكن شاعراً ينظم ما لا هدف له.

ولم يكن زجالاً يصوغ من العبارات ما يرمى فقط إلى النكتة والمتعة العارضة.

بل كان أعمق من كل ذلك بكثير، فيما نظم أو زجل.

كان فيلسوفاً بحق.

كانت عباراته السهلة الرقيقة نابضة بالفلسفة العميقة المعنى.

كانت نقداً لاذعاً.

كانت كالسياط التي تدمى الجسد، وتمزق الجلد.

أليست القوة كلها تنبض مع الفلسفة في مثل هذه الكلمات، التي يصور

بها «بيرم» قومه؟

يامدغدين بعضكم يامنفعين الناس

يامكسرين جنسكم يامجبرين «بابولاس»

من كان على شكلكم أجسام بدون احساس

حمض الفينيك والسلياني لهم موصوف

وَأليست الفلسفة في أعمق معانيها في مثل هذا الوصف ؟

في مصر أربع تلاف محامى أشوف عددهم أقول ياحامى

أتارى فيه مليونين حرامى وكل واحد عليه قضية

وفي مثل هذه الحكمة الصادقة :

ياما غنى يشتريها، والفقير مدعوق والرّب يخلق ، ويمنع نعمته المخلوق

بل يكفى دليلا صادقا على نجاح « يرم » في تعبيراته الفلسفية قوله في تصويره للمرأة مخاطبا المالتق .

ولك قوالب في الأجسام غلب الرسام
يقـلـدك بحجر ورخام يـلـمـكـ أشـطـر

وإذا ما قارنا « يرم » بشعراء الفلسفة والحكمة ، أمثال « أبي العتاهية » و « عمر الخيام » ، مثلا ، في العبارات القصيرة النابضة ، الصارخة بمعاني الحياة ، وجدناه لا يقل عنهما بل قد جاراها أحيانا على قدم المساواة والفارق الوحيد بينه وبينهما ، وبينه وبين الكثيرين غيرها ، أنه قد يصوغ عباراته بلغة العامة ، التي تتجاوب مع مفاهيم الشعب ، ليس إلا ذلك ، وهو لعمرى اختصاص لم يتأت لغير « يرم » .

* * *

ونحن معه الآن في معرض أقواله :

فلنستمع إليه في هذه القطعة ذات العبارات المختزلة ، والألفاظ الدقيقة المعبرة ، التي يحاكي بها فلسفة « أبي العتاهية » في مقطوعاته الصغيرة في الحكم والمواعظ ، وهي قطعة رائعة ، بل معجزة حقا :

قال لى مش الدنيا فانية قلت له حقة
قال إيه مراد ابن آدم قلت له طقة
قال إيه يكفى منابه قلت له شـقة
قال إيه يعجل بموته قلت له زقـة
قال حد خالد عليها قلت لـه لأه

قال لى ما دام ابن آدم بالصفات دى نويت
أحفظ صفات ابن آدم كل ما اترقى

وهذه القطعة الجميلة عن الورد ، وهى نوع مبتكر من فلسفة النظم =

يا ورد استنـظرك قبل الربيع بربيع

وأوهب لك العمر

واجعل لأهل الملامة فى هـواى شفيح

أوراقك الحمر

دى رقتك علمتى أبقى عبد مطيع

للبيض وللسم

واوهب لك العمر يالى عمرك انت قصير

ويقتصر المهم

أوراقك الحمر تشرب دم قلبي عصير

يا اغلى من الدم

للبيض وللسم تهدي وانت حر أسير

تنبئاس وتنضم

ويقصر الهم زولك وانت له جاي
في عالم الغيب
يا أعلى من الدم لونك في عروق الحى
حتى مع الشيب
تنبئس وتنضم قدام الرقيب فى الضمى
مافيكش من عيب

وفى الحديث عن الفن

الفن

الفن ياهل الطبيعة روح تخاطب روح
والفن ياهل الحجة عين تكلم عين
والفن ياهل القلوب صوت من سكوت الموت
ياطالب الفن ، افتح لك كتب فى الفن
يامطول الشعر ، ومثلثل بدلدولتين
شوف النجوم فى السما ، متوجهين على فين
وشوف بكاء العين ، وضحك الفن فى الاثنين
ورد الحدود فن فيه الفن يتغير
طول القودود فن فيه العين تتحير
وكل شىء فى الحياة بالفن متسير

ياطالب الفن

وفي قطعة عميقة بعنوان « بين القبور » . وكأنها « تابلوه » ناطق بحقيقة الحياة ، وواقعيتها ، في المفارقات بين طبيعة الفنان في نفسه ودقائق حياته، وبين محيطه الذي يذيب فيه نفسه :

بين القبور

باريس الفن ، ياسارح بأرغولك طالب من الله
إن شفت بين القبور أطرش ينادى لك أجرك على الله
زمر على بلوتك ، واجمع هلاهيلك وتوب إلى الله

طالب من الله وليه طالبة العبيد منك ياليل وياعين
أجرك على الله ، لا أجرك على فنك الفن دا زين
زمر على بلوتك، الله يزيح عنك يوم الحساب دين

ياليل وياعين . سهرتى بين تجار النوم أعدا وأحباب
الفن ده زين بس يرضى القوم وتقول ما يتمساب
يوم الحساب دين . يوفيه الجحود فى يوم فيه الشفيع غاب

أعدا ، وأحباب عليهم تنزل الشياطين محكم جبار
وتقول ما تمساب . جهنم تحشر الظالمين فى سجن من نار
فيه الشفيع غاب . وأهل فى العذاب خالدين لا ليل ولا هسار

وقطعة بعنوان « بنات نحري » يحتملها بفسفة عميقة رائعة

بنات نحري

أبواب جهنم في يونيه تنفتح رسمى
لى على الشط قالت يا جمال جسمى
أفواج بتدخل جهنم بعدها أفواج
وفى كل فوج الزبانية تلتقى اسمى
لادخل جهنم مع اللى جسمها م العاج
ووسطها لما تمشى يفتنى رجى راج
تمثال من الحسن فوق الشط والأمواج
قلوب زسى لم على التمثال وتسمى
وادخل جهنم مع اللى حصرها مزنوق
وجسمها فى المياوه المخترب مخنوق
الكورة ترميها فى وشى وأنا مفلوق
تيجى تقول لى ناولنى الكورة يا عمى
وادخل جهنم مع اللى مشعبطة ع البار
وتنتنى وتنفردى فى أدب ووقار
خلتى، أروح للشيطان اللى قاعد فى الدار
واقول لها إمتى تبقى طالقة زى امى

وأقول يارب تحرقنى وانا عندك
واللى عشق واتعشق منك ومن عندك
أنا كنت فى الدنيا بتفرج على فنك
قال لى هناك صنعتى لكن هنا حكى

ثم يرسم صورة عجيبة لعزرائيل ، يضع اللمسات فيها من جميع الأمم الأجنبية ،
المتطاحنة فى شرور الحروب والفتنة :

عزرائيل

فى النوم رأيت عزرائيل مركز أوروبى
ضوفره انجليزى طويل معوج وسبعى
وناب يشيل ألف فيل أزرق فرنسى
والقم يبلع قبيل فى مجرى مسوى
عليه قميص من سواد فاشيست طليانى
وجنبه منجل حصاد من صلب جرمانى
وف خرج زاده زواد من بمب بريطانى
ومعاه خناجر بولاد من دقة يونانى
واقف فى نص الطريق والوقفه مكسيكى
ماسك تليسكوب دقيق من طرز أمريكى
ينظر فى منجم عميق فيه فحم بلجيكى
يستنى إيمتى الحريق يشعل ميكانيكى

قرئت عليه السلام قام رد بلغارى
طلبت منه الكلام كلمنى باقارى
شاورت باليد قام شاور لى هنفارى
صحيت أنام المنام أقرض فى أظفارى

ثم يتناول كثيراً من أحوال المجتمع الذى يحيط به فى قطع متناثرة فى ديوانيه ، « الأول والثانى » ، ومنها هذا النموذج بعنوان « الفواكه » .

الفواكه

حاطين فى مدخل جاركنا خير حندوق
يقول على كل وارد للبلاد موبسوء
خايفين من الخوخ ، والكبرى ، والبرقوق
فيهم جرائم ختعدى الخندويل فى سوق
واحا هنا م (البصارة) قلبنا محروق
وريقنا يجرى على حنة جزر مسلوق
أصل الحكاية الذوات ، ولهم علينا حقوق
زارعين بساتين ، وخايفين من نزول السوق
ياما غنى يشترها ، والفقير مدعوق
والرب يخاق ، ويمنع نعمته الخلق

وهذا النموذج بعنوان الزحام

الزحام

شوف الجاموس لما يشرب من شطوط النيل

الواحدة جنب اختها واقفين في صف جميل
شوف الغنم لما تطلع للمراعى رعىل
لا الكباش يطفى ولا ينطح بقرنه فصيل
شوف الطيور لما بتروح في كل أصيل
أسراب متنظمة ، راجعة الحمى بدليل
وانظر وشوف البنى آدم ، بتوع الجبل
كل الأمور عندهم بالزغد والتشضيـل
قالوا اللي ما يكونش في الأول دا يبقى عويل
ومن كده بالقليل في كل زحمة قتيـل
والله البهايم ولا أولاد قايل وهاييل

وهذا النموذج أيضاً في استهلاله لقطعة تهكمية عن طبيعة البشر :

الفرق بين ابن آدم والخروف معروف
ان ابن آدم بعقله في الخطر محفوف
أما الغنم فاللى في وسطها فايز
لبن ، وزبدة ، وبسطرمة ، وجلد ، وصوف
وفي البلد مية والقاريين على الكاتيين
سبعة ومعنا الحخير أكثر من التسمين
ان خش في دول ودول الفجر والتمدين
نشوف مسخ شبراخيتية — وياما نشوف

أما وصفه لمختلف الألوان التي تخفيها عيون النساء فقد بلغ به غاية الإجابة
في تصوير الواقعية

العيون

من العيون ياسلام سلم شوف واتعلم
تحت البراقع تتكلم والدينيا مهار
عيون تقول لك قصدك إيه يتبخلق لييه
مالكش شغل تعس عليه ياراجل يا حمار
وعيون تقول لك أنا عارفك والنبي ما انساك
من يوم ما شفتك م الشباك ياجدء يا صفسار
وعيون تقول لك روح يارذيل يا بودم تقييل
يا باى كبة فى الخاليل ياما همسه كتار
وعيون تقول لك بالمحسوس أنا عاوره فلوس
وان شالله حتى محوس وتدوس أنا عاملاه كار
وعيون تقول لك إمشى ياواد أنا أم اولاد
وعيون تقول لك عندى ميعاد ويسا السمار
وعيون تسبل فوق الخد دى جدى جد
وعمرها ماتكله حد دى عيون أحرار

وعيون ما تعرف زعلانة
صبح مساأهي سهتانة
أو فرحانة
وصاحبة أفكار

وعيون لها ضحكة في وشك
وتبص من تحت البشمك
بس تفشك
تلقى المنقار

وعيون كده يبقم ساهتين
بالشكل ده عيون الخائنين
صفر وباهتين
تضرب بصفار



صورة بيلم التونسي أيام صباه
حين كان يهاجم أمرة محمد علي

بيرم وأسرة محمد علي

كان « بيرم التونسي » في وقته ، أجراً من تصدى لأسرة « محمد علي » فأعلن عليها الحرب
كان ذلك حين كان كل مواطن يخشى أن يتحدث عن مساوئها، ولو همساً.
بدأ عليها هجومه الجريء في عهد السلطان « أحمد فؤاد » - الملك فؤاد فيما بعد -
بل كان هجومه على « أحمد فؤاد » نفسه . مرات بأزجال مكتوبة ، ومرة بزجل
لم ينشر ولكنه دوى في البلاد حتى صار محفوظاً على الألسنة ، يتصايح الأفراد به
في الطرقات .

كان الديوان ، أو سراي السلطان ، هو المسرح الذي ظهرت عليه الواقعة
التي استغلها « بيرم » أساساً لهجومه .
فقد شاعت أخبار عن غرام جعفر لابنة السلطان « الأميرة فوقية » من
روجه الأولى « شويكار » التي طلقها واقترن « بنازلي عبد الرحيم صبرى » الزوجة
التي لازمته حتى مماته .

وكان هذا الغرام مثاراً لأقاويل علمت الناس منها أن محافظ القاهرة الباشا^(١)
إذ ذاك ، على علاقة غير شريفة بالفتاة .

فحين تسرب الخبر إلى خارج السراي طلب « فؤاد » من المحافظ أن
يتزوجها ، فرفض . فعرض الأمر على أخيه مغرباً له بالجزاء ، فقبل . وبذلك
ستر الأمر

(١) حسين باشا نجري

وكان حظ هذا الزوج الترقية المطردة إلى أعلى الرتب، وقضى أكبر قسط من حياته بفرنسا في وظيفة دبلوماسية بعيداً عن ذاكرة الجمهور^(١)
أسرع «يرم» وكتب في مجلة المسلة، التي كان يحررها إذ ذاك، هذا الرجل:

البامية السلطاني

على وزن الأغنية الشعبية المشهورة

مرمر زمانى يازمانى مرمر

البنات ماشية من زمان تتمخطر والفلة زارعة في الديوان قرع اخضر
تشوف حبيها في الجا كيتة الكاكي والسته خيل والقمشجى الملاكي
تسمع قولتها  والعافية هبلة والجدع متشطر
الوزة من قبل الفرحة مذبوحة والمطبة من قبل النظام مفتوحة
والديك بيدن والهأم مسطوحة تقرا الحوادث في جريدة كتر
ياراكب الفيتون وقلبك حامى إسبق على القبة وروح قدامى
تلقى العروسة شبه محمل شامى وابوها يشبه في الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك وجيب لها شيشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القديم من طوقك ينزل في طوعك لا الولد يتكبر
دا ياما مزع كل بدلة وبدلة ويا ما شمع بالقطاب والفتلة
ولما جه الأمر الكريم بالدخلة قلنا اسكتوا خلوا البنات تقستر

(١) محمود غزى (باشا) سفير (الملكة المصرية) بفرنسا

وكان لهذا الزجل رجة في جميع الأوساط

وما أن بلغ الأمر السراى حتى أعقب « بيرم » بزجل آخر . أشد إيلاماً

في مغزى عباراته للسلطان فؤاد .

فقد كانت ولادة ولي عهده « فاروق » في ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ ، ولم

يكن قد مضى على إعلان زواج السلطان بنازلى ، التي تزوجها بعد شويكار ،

إلا قرابة السبعة شهور . وكانت الوقائع تلمح إذ ذاك أيضاً إلى أن شيئاً غير طبعى

وراء عدم الاحتفال بمراسم الزواج ، التي كان قد تعودها الشعب من الأسرة

الحاكمة ، حيث اكتفى بالإعلان عنه^(١)

فنظم بيرم لذلك زجلاً طويلاً شديماً - هو الذى أشرنا إليه بأنه لم ينشر -

كان الناس يتصايحون به في الطرقات . ثم نشر في المسلة ، في العدد الأخير الثالث عشر ،

زجلاً آخر بعنوان : « البامية السلطاني والقرع الملوكي » . وجاء في هذا الزجل .

البامية في البستان تهز القرون وجنيها القرع الملوكي اللطيف

والديديان داير يـلم الزبون صهين وقدم وامثل ياخفيف

نزل يـلملعلط تحت برج القمر

ربك يبارك لك في عمر الفـلام

ياخسارة بس الشهر كان مش تمام

أما الزجل الذى لم ينشر ، والذي حفظه الناس ، فمن عباراته :

إسمع حكاية وبعدها هاها زهر الملوك في الولد أهو طأطأ

مالناش قرون كنا نقول ماما ونا كل البرسيم بالقفة

(١) كان يظهر دائماً في تدوينات التقويم السنوى أن زواج نازلى تم في سنة ١٩١٩

هون ذكر اليوم أو الشهر

سلطان بلدنا حرمة جابت ولد وقال سموه بفاروق
.. . . .

فاروق فارقنا أمال بلا نيلة دى مصرمش عايزة لها رذيلة
دى عيشة بالقوة وبالتيلة ومين بقى يلحس دى التفة
ياداية ليه ما انتش حداية خدتيه ورحتى على الجبلاية
جبتي لنا خبره وتنك جاية وندق لك فى البيت الزفة
ياعزرائيل اخلص بقى تاوى ناقص سوا وديه عا النار
وخذ كان جوليا قطاوى ياما الزمن كشف الأمرار

• الخ

وجن جنون السلطان فطلب القبض على « بيرم » وإيداعه فى السجن .
ولكن تنفيذ ذلك لم يكن ممكناً ، إذ كانت أسرة « بيرم » مازالت تحتفظ
بالحماية الفرنسية ، لتبعتها الأولى لتونس التى كانت محتلة من فرنسا . وكان
قانون الامتيازات الأجنبية يحول دون ذلك . فاكتفى بتمطيل المسلة وجمع
أعدادها التى طبعت .

وأصدر « بيرم » بدلها صحيفة أخرى باسم « الخازوق » ، ولم يسكت ،
بل ضمن صحيفته الجديدة فى عددها الثانى كلمة بعنوان « لعنة الله على المحافظ » ..
جاء فيها

بينما كنت سائراً فى طريقى (لاليه ولا عليه) إذ حدثنى النفس الأمانة
بالسوء ، وقادتنى رجلاى اللعينتان إلى العتبة الخضراء ، حيث يكتر النشالون
على الطريقة الأمريكية . فتقدم منى نشال فى خفة ورشاقة وسرعة . وانتقل

محفظتى ، فصحت بأعلى صوتى: «لعنة الله على المحافظ» . فمطلت له هذه الجملة أيضاً.

وكان « فؤاد » فى أشد حالات الغضب ، ولكن لم يكن من الميسور حبس « بيرم » فاتصل السلطان بالسلطات الإنجليزية التى ما أدركت خطورة هذا الأديب حتى انتهزتها فرصة لتتخلص من شروره ، واستقر الرأى بمعاونة الإنجليز ، على ضرورة ترحيل « بيرم » إلى تونس ، أى نفيه إلى خارج البلاد . واتخذت الإجراءات لذلك مع القنصلية الفرنسية .

ونفذ البوليس المصرى مع أولئك الأجانب أمر القبض على « بيرم » .

كان « بيرم » يسكن إذ ذاك فى بانسيون محارة الطواشى ، المتفرعة من شارع عبد العزيز خلف محلات عمر أفندى . فدخل عليه البوليس المصرى مع مندوب انجليزى وآخر فرنسى ، واعتقلوه . ومضوا به تحت الحراسة فى قطار السكة الحديدية إلى الاسكندرية . ومبها على باخرة إلى وطن أجداده تونس .

وكان ذلك فى يوم عيد الأضحى ١٠ ذو الحجة عام ١٣٣٨ هجرية ، الموافق ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٠ ميلادية . وكان يوم أربعاء

وما استقر هناك حتى أرسل زجلا فيه التجريح الخفى للسراى وجاء فى مطلقه

ما قتلش ياراعى الرعيان بقى لك أزمـان
إزاي أحوال الخرفان بتوع المجرر

ثم أعقب بزجل أرسله من تونس فى ١٩٢٢ ، بعد إذ أصبح السلطان أحمد فؤاد ملكا ، عقب التصريح البريطانى المعروف بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وفيه اعترفت إنجلترا بالاستقلال الذاتى لمصر .

وهو زجل فاضح ، أقرب إلى « الردح البادى » . وفيه يقول :

ولما عدمننا بمصر الملوك جابوك الأجليز يافؤاد قعدوك
تمثل على العرش دور الملوك وفين يلقوا مجرم نظيرك ودون
وخلوك تخالط بنات البلاد على شرط تقطيع رقاب العباد
وتنسى زمان وقفتك يافؤاد على البنك تشحت شوية زيتون^(١)
بذلنا ولسه بنبذل نفوس وقلنا عسى الله يزول الكابوس
مانابنا الاعرشك ياتيس التيوس لا مصر استقلت ولا يحزنون

* * *

واستمر عدا « بيرم » للأسرة المالكة - أسرة محمد علي - حتى أنه
كان لا يفوته التلميح بما يمكنه في نفسه وإنك لتشعر بذلك حتى في الوقت
الذي عاشه في مصر بعد استقراره الأخير.

(١) كان أحد فؤاد فقيراً قبل أن يدموه الإنجليز لتول السلطنة .



يهرم يمتقله البوليس المصرى والأجنبي

بيرم في المنفى

وقعت أوامر المنفى على « محمود بيرم التونسي » مرتين : الأولى حين نفي إلى تونس بعد قذفه المقذع لأسرة محمد علي ، وكان ذلك - كما ذكرنا - في ٢٥ أغسطس ١٩٢٠ . والثانية في أواخر ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، إذ نفي إلى فرنسا . وقد ظل في تونس في المرة الأولى زهاء العامين ، لاقى في أثناءهما الضيق والضنك ، حيث كانت تلك البلاد ، في ذلك الوقت ، تعاني أشد البلاء من الحكم الفرنسي ، وكان أهلها المقيمون لا يجدون لأنفسهم وفرة القوت . وهو يشير إلى ذلك في قول له « على الأرغول » ، نظمه بعد نفيه الثاني .

جاء فيه :

الأولة ، مصر ، قالوا تونس ، ونفوني ، جزاة الخير ، وإحساني
والثانية ، تونس ، وفيها الأهل جحدوني ، وحتى الغير ، ما صافاني
والثالثة ، باريس ، وفي باريس جهلوني ، وأنا مولير ، في زمانى

وكان قد عزم على الهرب من تونس حين ضاقت الحياة في وجهه ، فاندس عاملا في سفينة وصلت به إلى الإسكندرية ، وانتهز الفرصة وحاول النزول خلسة ، فاكتشف أمره ، وأعيد من حيث أتى .

ولكنه نجح في مرة ثانية ، حين تمكن من استخراج جواز سفر مزيف خول له المرور من اليناء ، والدخول إلى أرض الوطن . ومن الإسكندرية قصد إلى القاهرة في غفلة من عيون البوليس ، إذ كان أمر الأمن في تلك الأوقات (أواخر عام ١٩٢٢) في غير الدقة الممهودة اليوم .

وأجبه إلى المكان الذي يعرفه ، والذي كان صديقه (المرحوم) « الأستاذ عبد العزيز الصدر » يصدر منه صحيفة الشباب ، التي كانت في شهرتها ، إذ ذلك ، كصحيفة تهتم بشئون الأدب . وهو رقم ١٣٠ بشارع محمد علي (القلعة) في البناء المعروف بدار المؤيد ، والذي كانت تصدر فيه أيضاً مجلة النيل لصاحبها (المرحوم) « الأستاذ فرج سليمان داود » ، وتمتله الآن مطبعة الرغائب .

انضم « بيرم » إلى صحيفة الشباب ، وبدأ يحررها كلها من أواخر عام ١٩٢٢ إلى أواخر عام ١٩٢٤ ، وابتكر فيها طابعه الجديد في الأدب الشعبي . وكان هذا التاريخ فترة من الفترات الذهبية في حياة صحيفة الشباب . حيث كان الشعب يتخطفها حين ظهورها

وظل الكاتب الشاعر يخرج روايته دون أن يتيقظ له أولو الأمر ، حتى اكتشف أمره فعاد البوليس إلى ترحيله إلى خارج البلاد . وكان النفي هذه المرة إلى فرنسا .

وعاش في باريس منفياً من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٢ . ولكنه لم يهدأ في منفاه .

وتسلمته السلطات الفرنسية على ميناء مرسيليا ، ثم رحلته إلى مدينة ليون ليعيش فيها بعد أن سلمته بطاقة باسمه ذكر فيها أنه غير مصرح له بالعمل . وعلم بيرم من السلطات أنه مطلق الحرية في ربوع فرنسا ، يتنقل كيف يشاء بين مدينتي وريفها ، دون أن يفادر البلاد .

وقضى « بيرم » في ليون أياماً سوداء ، يقضيها كل غريب لا حول له ولا طول ، فكيف بمضطهد محكوم عليه بالنفي ، وتحوم حوله شبهة التآمر المشاكس ، وفي البطاقة الرسمية التي يحملها تحذير منه .



بيرم في مدينة ليون يشتغل عتلا في مصنع الخصور

عاش في ليون بأثنا سنتين كاملتين . كان في بعض أيامها يبدي على الطوى حتى أنه أمضى ثلاثة أيام دون أن يجد قوتا .

وكان يطرق كثيراً من الأما كن لعله يجد لنفسه عملاً . فلا يبقى في عمل إلا وقتاً محدوداً يهجره بعده ، إما لانكشاف أمره حين يعلم صاحب العمل أنه محكوم عليه بعقاب ، وإما لصعوبة العمل حيث لا يعهد للأجنبي عن البلاد بغير العمل المرهق الشاق ، هذا إذا أغفل أمر العقوبة بحرمانه من أى عمل .

ومن جملة الأعمال التي زاو لها في ليون اشتغاله عتالا في مصنع للخمور . وكان عليه أن يدحرج البراميل ، أو يحمل القنينات الثقيلة .

ثم رحل إلى مرسيليا ، لعله يستبدل فيها شقاءه بهناء . فعمل أول ما عمل في هذه المدينة حمالا في الميناء . ثم عاملا في مصنع للمنتجات الكيميائية

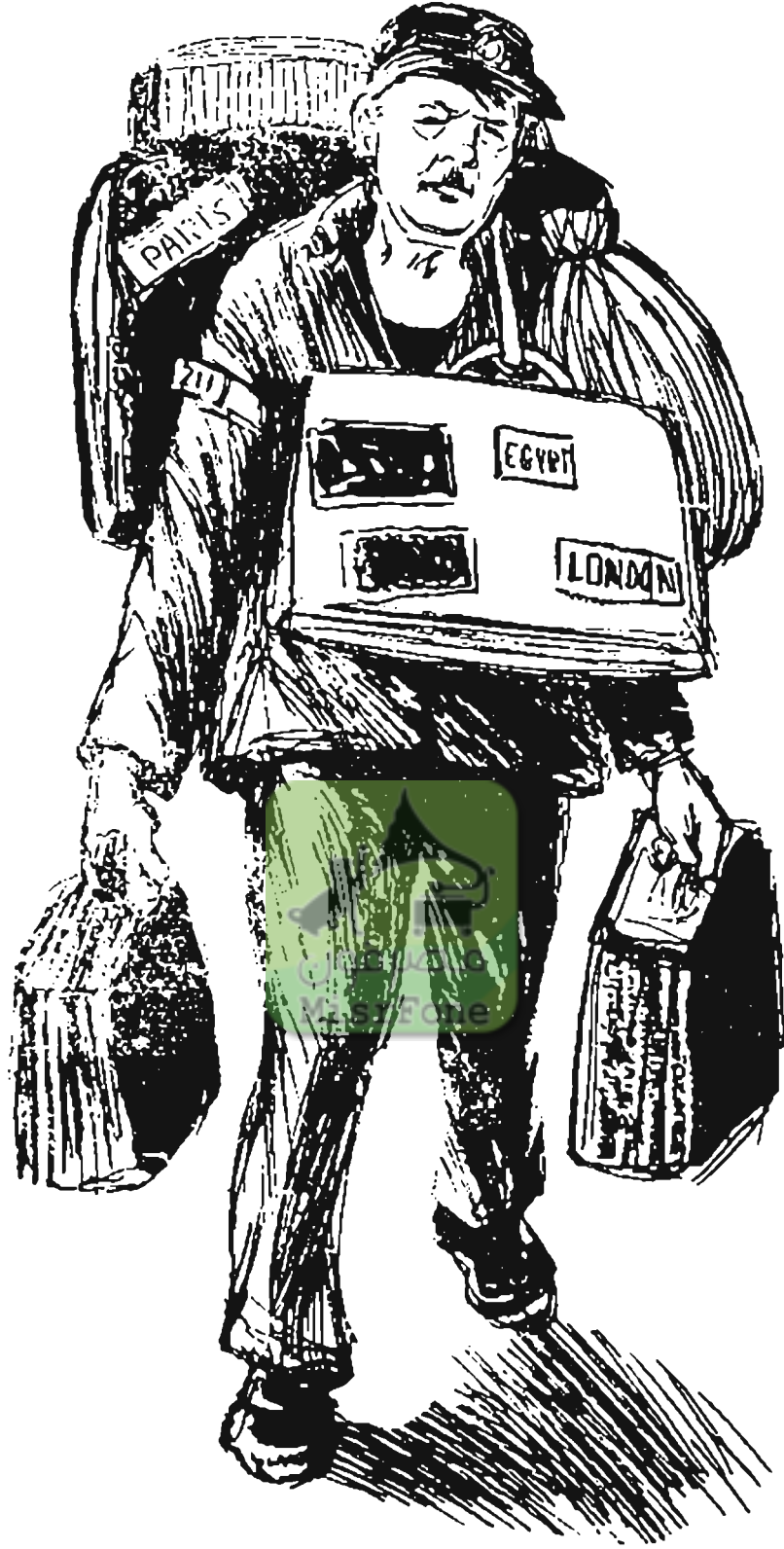
ثم قصد إلى باريس راكباً سيارة لورى قطع بها مسافة كبيرة من الكيلومترات

وفي باريس لاقى الضيق والضغط مرة أخرى وكان له بين الوافدين عليها من يشابهه في غربته من التونسيين والجزائريين والمراكشيين . فتمس فيهم ما تلمس من المعونة ، ولكنهم لم يكونوا أسعد منه حالا . بل كانوا يعانون مثله شظف العيش .

ولكنه عاش عاش متأسياً بالذل الذي كانوا فيه

وهو يذكر ذلك في قوله :

باريس خلاص صبحت خربة اللقمة فيها بمضاربة
وانا اترميت وسط مغاربة القلب والكرب قاتلها
مغاربة يا الزرفاشوكة يا الزر تربط به فلوكة
باكل معاش شكشوكة تشمط وتشوى الى يا كلمـا



بيرم يشتغل حمالاً على رصيف الميناء بمرسيليا
بفرنسا، لكي يحصل على لقمة العيش

وكانت عزيزته هي التي تصونه من الانهيار لقد كان يعتز بنفسه ، ويؤمن بانتصاره على الأقدار .

عاش فقيراً ولكن قوى العزم ، طموح النفس ، صابراً مكافحاً
إنه الذي ناضل وناطح أكبر رأس في وطنه . لقد عادى السراى والسلطات
والحماية الإنجليزية . فهو إذن لا يهزم ولا تخور قواه .

كانت تمر عليه أيام عصبية جداً من الفقر ، ويقضى أوقاتا طويلة بلا قوت ،
ولكن هذه الحال لم تدم كثيراً ، فلقد وجد هناك مصريين عرفوه .
وجد من ينصفه ومن يقدم إليه يد المعونة .

كان أمير الشعراء « أحمد شوقي » يخصصه بعطفه كلما زار باريس . وكان
يبحث إليه بما يعينه على متاعبه .
وكان أمير الكمان الأستاذ « سامى الشوا » من أحبابه هناك . وقد قام
بواجبه أيضاً في إكرامه .

وكان كثير من رجالات مصر الذين يعرفون قدره ، ويدركون حقيقة
الأمر ، يلزمونه بخدماتهم وعطفهم كلما زاروا باريس .
وكان كثير منهم يرسلون إليه المعونة بطرق خاصة .

وكان أصدقاؤه الفنانون يلزمونه كلما زاروا باريس ، ويعاونونه بقدر
طاقاتهم . ومنهم الأستاذان المرحومان ، عزيز عيد الممثل ، وزكريا أحمد الملحن .
ومن غير الفنانين جماعات من الذين تعرفوا عليه هناك .

وكان هو قد شق لنفسه الطريق في أن يعيش ، وأن يهدىء من باله بعض الشيء .

قام بإعطاء دروس في اللغة العربية لأبناء المقربين من الجاليات العربية .
وكان يجيد اللغة الفرنسية فدرسها أيضاً لبعض التلاميذ الصغار .
وكتب الفكاهات الطلية ، وبعض القطع الأدبية الساخرة لبضعة من الصحف الفرنسية .
وآخذ من كل ذلك ، إلى جانب المساعدات الأخوية التي يحوز عليها ، وسيلة للتغلب على المعيشة .

ثم بدأ يرسل الصحف المصرية من هناك ، فظهرت له الروائع في صحف :
« الشباب » و « الفنون » و « الامام » « وابولو » « والنبل » .

وكان ما يصله على إسهامه بإنتاجه في هذه الصحف من الضالة بحيث ينجلذ أن نسجله .

لقد كسب أصحابها أموالا كثيرة من رواجها ، نتيجة لمشاركته فيها بآيات إبداعه ، ولكنهم كانوا لا يكافئون صاحب تلك البدائع بما يستحق .
وقد ذكر صديقه الأستاذ « محمد كامل البنا » تلميحات قاسية عن ذلك في كتابه الذي أخرجه عن « بيرم » باسم (بيرم التونسي كما عرفته) . حيث كان يقوم بنفسه بالوساطة بين « بيرم » وبين أصحاب تلك الصحف .
والذي كان يهم من كل هذا هو أن « بيرم » عاش . . عاش رغم الأحداث المضنية التي أحاطت به في منفاه .

* * *

لم يهدأ « بيرم » في المنفى . فقد أنتج للأدب وأنتج ذخائر سجلها له التاريخ .

لم ينس من نفاه ، فشمته وهو هناك في منفاه .

ولم ينس الانجليز وطفياهم ، فشنع بهم وبأساليب استعمارهم ، ما شاء له

التشنيع

ولم ينس وطنه . وطنه مصر التي أحبها كل الحب ، وعبر عن تعلقه بها في كثير من كتاباته ، وكرس حياته لخدمة شعبها ناقداً ومصلحاً وموجهاً وقد أطرب الشعوب العربية عامة بروائع إنتاجه إلى جانب ما أفاد الناس في لفتاته المرة وتقده اللاذع .

كان يكتب من فرنسا وكأنه قائم بين أهل وطنه ، يراهم بعينه وبحس بأوجاعهم وآلامهم .

كان يصور الأحداث التي كانت تمتور البلاد بقلم أروع من آلة السينما التي تسجل المرئيات كما هي في حقيقتها . حتى كان كثير من القراء لا يدركون أن كاتب هذه الأحداث بعيد عنها مقرب في وطن آخر . وكان العالمون بأمره في دهشة من هذه المقدرة الفائقة على التصوير ، وبذهلهم هذه الواقعية الفذة التي كان يخرج بها « بيرم » تلك الصور

وحدثت بفرنسا أزمة للبطالة فاضطرت السلطات إلى أن تبعد الغرباء العاطلين ، فكان نصيب « بيرم » أن يرحل في عام ١٩٣٢ الى موطن أجداده تونس .

وبقي بتونس أربعة أعوام ، حرر في أثناءها في جريدة ، ثم أصدر لنفسه جريدة أسماها «الشباب» وشحنها بالهجمات الصاخبة على أعداء الوطن العربي ، إلى جانب أسلوبه الفكه الشعبي . فثارت عليه تأثرة الحاكم الفرنسي هناك ، وهو قائد القوات الفرنسية الجنرال « جاملان » ، فقرر نفيه إلى السنغال .

وفي السنغال لم يستقر به المقام ، فقد وجدوه هناك خطراً على الأدهان ، حيث ينهبها مجرد وجوده بين ذلك الشعب المستعبد إلى اليقظة والثورة التي يخشى الفرنسيون قيامها في أى مكان فأخرجوه من السنغال . فقصدهم إلى بيروت على باخرة إيطالية ونزل إلى أرضها خلصة وكان يعلم أن بقاءه في لبنان وهو تحت الانتداب الفرنسي لن يكون مرغوباً فيه .

ومالبت أن تنهت إليه السلطات الفرنسية ببيروت فأثر أن يسلم بنفسه وكان قد التقى في بيروت بصديق لبناني عزيز عليه هو الأستاذ الكاتب « نجيب كرم » الذي ساعده على الهرب من بيروت إلى دمشق متخفياً في لباس راهب ذى لحية مرخاة .

ومكث في دمشق في رعاية الأحرار من أهلها أربعة أشهر ، كان يكتب في أثناءها في بعض الصحف والمجلات باسم مستعار . وقد درت عليه هذه الكتابة بما أعانه على حاجاته .

بدأت هذه الرحلة الشاقة من فرنسا في عام ١٩٣٢ . بين تونس ، والسنغال ولبنان وسوريا .

ثم انتهى الأمر بأن علم بأمره المعتمد الفرنسي في دمشق . فأذره بأن يكف عن نشاطه الأدبي ، ولكن « بيرم » لم يذعن لهذا الأمر ، فأرعبته السلطات الفرنسية سفينة لتعيده إلى فرنسا مقر نفيه الأصلي ، ووضعت تحت الحراسة .

وكان على السفينة أن تصل في رحلتها إلى بور سعيد . وهناك غافل « بيرم » حراسه وفر من السفينة إلى الميناء ، مجازفاً كل المجازفة ، إذ كان يعلم ، فوق الحراسة المضروبة عليه في الباخرة ، بالرقابة المفروضة عليه في أرض الوطن . إذا هو حاول دخول هذه الأرض .

ولنتعرض بعض ألوان مما نظمه « بيرم » في المنفى فما هو يندون مشاهداته
وتعليقاته بفرنسا بهذا التصوير البارع :

فرنسا

قضيت حياتي غريب في أرض فرنسا يا ويحه من يدخل فرنسا غريب
لقيت كلام القوم شهد مكرر لكن عيونهم تشتعل لهاليب
مليون أوتيل مفتوح ، يتاواوا جتتنا وخدامينها كل واحد ديب
يرجع كلامنا ، والصلاة على النبي للرسوران ، والرقص ، والتخشب
عشر غيلان واقفين عليهم سموكن حول الفيلان قاعدين بنات مكاليب
ياما انجليزى انشال بدفتر شيكاته ويا ما هندي رجعوه سنديب
دفع الفتى على خان^(١) ملايين زرابي لبنت قرعة ما عليها رييب
واللى جرى لفهمي^(٢) من مرات فهمي خلت رصاصها في ضلوعه يغيب
أتمس عباد الله هناك الأجانب أقولها ، والمولى على حسيب
اللى دخل بفلوس ، يا ضيعة فلوسه واللى دخل يكسب جزاه توضيب
يدخل يشوف مالين قزان المسابك فولاذ مسيح. فوق دماغه قريب
عليه رئيس واقف ، وراه الجرادل شاييلينها من كل الأمم منا كيب
ميسل قزانه بالدولاب عاجرادل كأنه في الجردل يعبي حليب
خمس تلاف درجة يفظ شرارها ويطب يخرق أجمد المراكيب

(١) على خان ابن الزعيم الاسماعيلي أغاخان .

(٢) على بك فهمي (المرحوم) وكان من كبار الثروة . وقد اغتالته في باريس إحدى

الغانيات .

ولو تشوف ياخال مصانع غازاتهم
من كل بير يطبخ « كلور » المانيا
واقفين عليه أشباح عليهم كاييم
ومن بعيد جاعلي عجز وعجوزة
مين راح لهم غدوه بنص اليومية
ومن أكل يسقوه عصير البتاتى
كام مغربى مسلم نطق بالشهادة
وتخفق عدو من غير حروب وحبيب
أغوط من البركان ، وأقوى لميب
متحضرين للفرف والتقليب
فاتحين لو كاندة زيهم تخاشيب
بشوربة سايطة والفروطة زيب
ومن سكر يرموه فى جرف قضيب
ويا ما جرم صلبوا تصليب

وها هو يتحدث عن نفسه وسط الغربة متهمًا على الحالة التي ترك فيها وطنه،
ومهداً لنفسه حياة جديدة فى بلد جديد ، بهذا الزجل الذى نظمه على وزن
الفولكلور الصعيدى المشهور

عطشان يا صبايا دلونى على السبيل



عطشان يا صبايا

عطشان يا صبايا	عطشان والنيل فى بلادكم
متعكر مليون طين	ولا مهر الروب يروينى
ولا مية مهر السين	ودموع العين ما بتروى
نار القلب الحزين	شدة وتزول يا معوض
سبحانه رب معين	دى تلات حكومات يا اخوانا
ظلمونى واشكى لمن	يا بنت باريس استقينى
كاساتك مليونين	

فاضل عا العتبه الخضرا
زغروته يام سد احمد
راجع أتوضى واصلى
وأبوس ايد الشيخ بليغ
وأقول سلامات لخليفة
وأتوب على سيدى لاطوغلى
واعمل حانوتى ومغسل
وانجوز بنت الماشطة
إياك يتعدل نختى
والبس لى سموكن مقصب
ياما ناس ف نعيم وف نعمة
غير شى جعلوا التخشبية
يخرج مها ويسوح
دا جزاة الخايب اللسى
شايفمن تحمت البرقع
ما احبش حنكها مطبق
والقم المحمودية
وتحب كان وترافق
ولا تطرد بياع رنجمة
عشرين عام عا المهجين
زغروته يا أم ياسين
وأزور سيدنا الحسين
وايد الباشا التخمين
ولشعبان طيبين
عن كار الجرائين
وأشيل الميتيين
والكودية أم اسماعين
واخدم فى الدواوين
وابقى البيه التخين
وبتمشى عا العجين
للغلبان الفطيين
من مرسلها للصين
يعشق بنت التسعين
أهدابها مرعرعين
وسنانها مهرتمين
والراس دى راس التين
أهل الدينى والدين
ولا يباع الفلين

واولادهـــــــــــــــــ اسم الله عليهم
رجالة وضمـــــــــــــــــ ايعية
واحد تاجر طعمية
والى يبيع جوافسة
وواحد سمكري أفرنجي
واثنين سارحين بكلونيا
والحاج محمد برعى
وأخوه له معمل طرشى
والكل يزيد وبيارك

ماينوب الواحد
يارازق جيش الأزهر
غير قفل الدكاكين
إياك نستعين

يا باريز يا ام بلاده ره
بعت لك أم اللدنيا
يعمل أشعار لبرازة
وتـــــــــــــــــ لامذة وأزهرية
إياك ما يموتش عنـــــــــــــــــدك
يامريــــــــــــــــة لامرتين
شاعر فى الشعر متين
وصعايدة وفلاحين
وخواجات ومفتشين
فى أزيل المساكين

ثم يندمج فى حياته الجديدة ويسجل ما يشاهده ، عن يمينه وعن يساره ،
وما يقع تحت عينه من المشاهد الغريبة عليه والمثيرة له ، وكأنه يلتقط بألة فوتوغرافية
صوراً من مختلف الزوايا فى أنحاء باريس .

بـاريس

الفجر نايم وأهلك يا باريس صاحبين
معمرين الطريق داخلين على خارجين
ومنورين الظلام راكبين على ماشيين
بنات بتجرى وياما للبنات أشغال
وعيال تروح المدارس في الحقيقة رجال
ورجال ولكن على كل الرجال أبطال
ولسه حامد وعيشة واسماعيل نايمين

راحت على الشمس نومة والبلد في ظلام
وقبل دى الشمس فاق ابن المدينة وقام
الكور ينور بايده لما شمس تنام
فايتها للشرق تتلطمع على الأطلال
ينشف عليها الفسيل والطلبة والغربال
ويقوم على لدعها النايم سنة بطال
صبحت باريس في غنى عنك يا شمس الدين

للعلم والرقص دول في معهد السربون
أعجب عجيبة أشوفها هلوألف الكون

معهد حكومي، وحقه يشبه الكراكون
لكن فرنسا لها دون الأمم أحوال
ليبران^(١) في الاحتفال بيصافح الشيال
وبنت سوق الخضار ساكنة مع المارشال
والبوسته صندوقها واقف داخل الدكاكين
جارتى سوزان الجميلة اللي تبيع الموز
نازل عليها المطر من فم متراليوز
اتبست للمطر، أحسبها فازت فوز
لكن سوزان اللي واقفة وقفة التمثال
مجلس بلدها جعل رجلين سوزان سخنين
شفت العيون والشفافيف في باريس بتقول
إحنا ملوك البرايا حكنا مقبول
البدع والفن كله عننا منقول
سادات بنا في السيادة تنضرب أمثال
أحرار محرم علينا السجن والأغلال
الفقر والذل ما لهم في بلادنا مجال
ويوم سباق النجايب كلنا سابقين
إن دقت ائنين صباحا خش مونبار ناس
حي العذارى السكارى تحت كعب الكاس

(١) رئيس الوزراء

وجوه عزلها جمالها عن وجوه الناس
من كل نجمة عانقها في سماها هلال
تجذب بنورها أمم في الهند والشلال
هي فينوس عبادها من ملوك المال
وتبقى صالة بديعة والى فيها مين

وينظم قطعة أخرى يصور بها ما رآه من أنواع النساء الباريسيات اللاتي
يتمخطن على طريق «جران بولفار» .

جران بولفار

شوف الخفة	أم الشعور اللفة فوق اللفة
والمقصوعة	غير ام شعر طويل
والحمرانة	ورجلها فوق اختها مرفوعة
والمقفوفة	تستنظر الطوموبيل
والمختارة	من المعاصم للكتاف عريانة
والغندورة	زى اللى غاسلة غسيل
	باين عصبها والنهود مكشوفة
	ماخت إلا قليل
	بالشنطة والشمسية والنضارة
	رايحة على التمثيل
	تحسبها لولا مشيا صنيورة
	والا ام خصر نحيل

طالع نازل
لولا ما هي ماسكة دراع الراجل
من لمسة واحدة يميل

وينظر « بيرم » الى أعضاء البعثات التي كانت توفد من مصر إذ ذاك ،
وأغلبها كان بالوساطة والمحسوية ، من أولاد الذوات أو أقرباء وأصدقاء أولى
الشان ، فيتحسر على الانحلال الذي كان فاشياً بينهم ، ويصوغ هذه القطعة
اللاذعة بعنوان « موبلييه » :

موبلييه —————

زريبة متطرفة فيها المميز سايبين
ترعى حشيش المحبة والرعاة غايبين
سبع مراكب بتشحن عد بالطرازين
دكتور ، مهندس ، محامى والجميع خايبين
دكتور وراجع بلاده بنجد العيان
وهو فيه العيا أربع خمس ألوان
تشليل ، وتشو يش ، وقول هربس ، وقول سيلان
يعدى السليم قبل ما يشفى المريض يا شاهين^(١)

وفى البلد واد مهندس بس فى البوكر
ضاع نص عمره ياريت كان ضاع فى طوكر
له كل أسبوع جواب من والدته مسوكر
تسأل على الهندسة اللي اتكلفت ملايين

(١) محمد شاهين باشا وكان كبير الأطباء المصريين

وواد بيدرس تجارة ، انما نصاب
يقبض ما يدفع ولا يحسب لحد حساب
ان جاه مطالب بدينه يلطمه عا لباب
ويقول له خليك مؤدب داخنا مصريين

سألت شيخ الأساتذة في البلد دى سؤال
عن الشهادات اللى بنشوفها مع الجهال
قام شد عقب السجارة ، والتفت قال لى
« حار الطيب والأديب فيكم يا شرقيين »

بيطار مواشينا ينفع عندكم دكتور
والبنا ينفع مهندس بينى ستين دور
وان شا الله يبقى اللى داخل فى بلادكم طور
برضك مجوز له العبادة فى بنى القفاطين

فالحمد لله بقى عالجستر والبوجور
وعا المونوكل اللى زان العور ولاد العور
والفالس، والهاس، والطونجور، والكونكور
لا علم نابههم، ولا أخلاق بقت ولا دين

إباء بيرم

دخل « بيرم » أرض الوطن ، دخل متخفياً ، ولكنه ما لبث أن كشف أمره ، إذ التقى بإخوان له . وكانت فرحة الأوساط الصديقة ببيرم لا تعادلها فرحة .

ولكن الرياسة العليا ما زالت هي المارد الخفيف الذي يخشاه .

ظل محتفياً ، لا يستقر به مكان

وكان يرأس الوزارة في ذلك الوقت المرحوم « محمد محمود » ، وكان وزير الداخلية « محمود فهمى النقراشى » ، وكلاهما من المقدرين لبيرم ، المعجبين بأدبه .

وكان من رجال السراى حينذاك المرحوم « أحمد حسنين » وكان هو الآخر من الذين يعطفون على « بيرم » ، ويعشقون أدبه .

ولكن الإنجليز كانوا ما يزالون في تحكّمهم في شئون البلاد .

ومن جهة أخرى كان « فاروق » نفسه لا ينسى ما لحق أسرته ، ولحقه هو نفسه ، من تجريح شنيع من شخص هذا الأديب .

فكان الموقف من أجل ذلك كله في غاية من الدقة والتوريط .

وقيل لبيرم إن في يده الحل وطلب منه أن يستعطف .

وهنا بدأ الاضطراب يبدو على الرجل .

كيف يفعل هذا ، وهو المناضل الذى لم تكسر له شوكة ؟

كيف يطأطأء رأسه بعد كل هذا الصراع ؟

ولكنه أرغم على ذلك .

ووضع المسئولون أمر استعطافه لفاروق كفاء لحرية والاعضاء عنه .
طلب إليه أن يكتب ما يرضى فاروقا . فكتب ، مرغماً ، ما لم يحسبه الوسطاء
كافياً فنبهوا بإعادة الكرة . فكتب أيضاً . . . وظل ، في كل مناسبة ، يكتب
بغير رضى من ضميره .

وكان الوسيط بينه وبين فاروق هو « أحمد حسنين » . أما « محمود فهمى
النقراشى » ، فقد أصدر أوامره إلى البوليس بأن لا يتعرضوا لبيرم .

وكان في تلك الوساطة ما أذل كبرياء الرجل ، ولعل أكبر وصمة في تاريخ
هذا الشاعر أن تذل كبرياؤه .

وإن كانت روح التملق التي فرضتها في ذلك الوقت دكتاتورية الحاكم قد
تبرر كل ما كان يقوله الأفراد من عبارات الزلنى والتهليل والتكبير للجالس على
عرش البلاد ، إلا أن « بيرم » لم يكن ليصوغ من تلقاء نفسه ما كان يستجدى
به غيره من أصحاب الغايات .

فإن الأمر كان يدفع به إلى أن يصور بزجل حال عودته من المنفى في السفينة
التي أقلته . ثم هروبه من السفينة وتسلله إلى داخل اوطان . فنهال . ولكنه أمر
أن يضيف إلى ذيل عبارته شيئاً متعمداً

ولذلك رأينا الصحف تنشر له ذلك الزجل ، حتى جريدة الأهرام التي لم
تعودنا أن تنشر زجلا . وكان أمراً صدر باعلان الزجل ، ليس لجمال الزجل في
ذاته ، ولكن إطاعة لأمر الحاكم ، الذي نجح وسطاؤه في أن يذلوا كبرياء
الرجل .

وقد بكى « بيرم » وهو يضيف العبارة الذليلة إلى ختام زجله ، تحت الضغط
من الوسطاء .

وهذه هي بداية الزجل :

غلبت أقطع تذاكر
بين الشطوط والبواخر
وقلت عا الشام أسافر
فيها أجاور معاوية
جاورت قاسيون^(١) وجيرته
وعزرائيل انتظرتة
نافخ وسابق أمارته
البر تحت انتدابنا^(٢)
وأخرج دي ماهش وسية

رجعت للبحر تاني
ولسه طعم البوداني^(٣)
وان رحت تونس كفاني
«جاملان»^(٤) محضر مدافن
في بورسعيد السفينة
والبياعين حوطونا
لكن بوليس المدينة
يا بورسعيد والله حسرة
مخفور ورايح فرنسا
فاكره وانا عمرى ما انسى
عذاب أنا والتوانسة
للأمة والأمة حية
رسيت تفرغ وتملا
بكاتر بوستال وعملة
ماتروش من جنبه نملة
ولسه يا اسكندرية

(١) جبل يشرف على دمشق .

(٢) كانت سوريا تحت الانتداب الفرنسي ، إذ ذاك .

(٣) حلوى فرنسية .

(٤) اسم الحاكم العسكري لتونس في ذلك الوقت .

هتف بي هاتف وقال لى
إنزل دى ساعة تجلى
إنزل ده ربك تملى
خطيت فى ستر المهيمن
وأقول لكم بالصراحة
عشرين سنة فى السياحة
ما شفت يا قلبى راحة
إلا أما شفت البراقع
إنزل ومن غير عزومة
ففيها الشياطين فى نومة
فوقك وفوق الحكومة
للبر يا حكدارية
اللى فى زماننا قليلة
واشوف مناظر جميلة
فى دى السنين الطويلة
واللبدة والجلابية

هذا هو أصل الزجل ، ويلحظ منه انتهاء الموضوع عند هذا الحد .



أما ما أضيف إليه ، فهو هذا الختام :
يا مصر نور الوسامية

يا مصر نور الوسامية
لحن السلام والسلامة
والجو فوقه ابتسامه
تحوم عليها الملائكة
يا فرحتى يا هنايا
وكل قصدى ومنايا
واخذ تراب السراية
بس الحكدار وجيشه
ساطع وبارين شروقك
الدنيا سامعاه فى بوقك
زى ابتسامه فاروقك
وتنطق الإنسانية
حضرت فى عيد جلوسه
أفرش له خدى يدوسه
من تحت رجله أبوسه
داير يفتش عليه

وإنه حقاً لأمر يبكى الرجل الحرأسى وإشفاقاً ، ليس فقط حينما يعلم

الحقائق التي أرغم من أجلها « بيرم » على أن يكتب تلك العبارة الذليلة ،
ولكن للحالة المعنوية التي أرجفت روح الكاتب ، ورجت فؤاده ، وجرحته
وجدانه

تقد كتبها ، وسجلها التاريخ ، نكسة لم يكن ينساها « بيرم » ، بل كانت
تدمع عيناه كلما تذكرها ولكنه كان يتلمس من حبه للوطن الذي كرس
حياته لخدمته عزاء له .

ومع ذلك لم يصدر « فاروق » عفواً عنه ، بل سكتت السلطات عن اضطهاده..
وكان هذا كل ما حدث .

وكان من قبل ، قد توسط فريق من الكبراء لدى الملك « فؤاد » ليعفو
عن « بيرم » . ومنهم « سعد زغلول » ، و « عبد الخالق ثروت » ، و « مصطفى
النحاس » ، وطلب كل واحد من هؤلاء بدورته أن يعود « بيرم » إلى وطنه
ولسكن الملك « فؤاد » كان يثور في وجههم كلما سمع اسمه .

وكتب إلى « بيرم » ، وهو في باريس ، أن يبعث بزجل ينشر له ، وفيه
استعطاف ليصفح عنه « فؤاد » . فنظم « بيرم » هذا الزجل الذي لمح في بعضه
بشيء ، واحتفظ لكرامته في سآره .

ويلاحظ من عنوانه الذي وضعه له ، وهو « باريس خلاص » أنه كان
مطمئناً أن يكون الزجل عربوناً للعفو الذي ينشده فيستبدل بباريس مصر .

يا ابو الفاروق لما اسكندر حكم على الدنيا ودبر
شاف المداين واتخير اسكندرية وسمها

يوناني وخب الفارة ورخرة زيه أم مناره
 جبار وعاشق جبارة طلع هواه وفق هواها
 اسكندر اللي بجنوده الشرق والغرب في ايده
 والإنس والجن عبيده باسكندرية يتباهى
 واققت عظمته وجبروته لايفوها لحظة ولا تفوته
 الإمبراطور جود تابوته نائم هنا تحت ثراها
 يابو الفاروق يمد عمرك دى اسكندرية هلال مصرك
 النجمة رأس التين قصرك وإنت فى النجمة ضياها
 أما احنا يااسكندرية طالعين جيمع شضليه
 طبيعة فى الطين والمبة متركبة تحت سماها
 الاسكندرانى إذا صافح يفاط ساعات وروح ناطح
 وارثها عن جده الفامح فحل الملوك اللي حماها
 الاسكندرانى إذا اتحدلق جلف لكن له مبدأ
 يفواه لحد مايتزحلق فى نايبة عمره ماينساها
 الاسكندرانى إذا اتخمس يفقد صوابه ويظلمس
 لحد ما يروح متكربس فى نقرة إبليس يخشاها
 لكن يقوم يضل وشه وروح يجيب اللي غشه

في خلقته ويروح نانشه راسين يعيش مسخة بعااه

وانا اللي جيب من سياله فيها العيال والرجاله

شجبان ولكن بهباله يانتصر يا أكلناها

والحق نقطع له روسنا نقطمها إحنا بأنفسنا

مادام مليكننا وريسننا عا الدفة ماسك مجراها

ومين ياريسنا يفوقك دم الملوك مالى عروقك

وصل جدودك بفاروقك ورعرع الشجرة اياها

من أصابها الأصل العالي لفرعها الفرع العالي

مظلة الناس عقبالي ما اعيش واموت تحت نداها



ويلاحظ في هذه القطعة الفتور الذي يضمن على عباراتها . بل إن الذي يقرأ

هذا الزجل يرى أن « يرم » مازال ذلك المناضل الناطح ، كما يلمح عن عشيرته

أهل الاسكندرية ، وليس ذلك المتوسل الذي أرغموه أخيراً على الخضوع

الحنين إلى الوطن

كان « بيرم » في منفاه كثير التحنان إلى وطنه مصر ، لا يفضل عليه كل الأجواء التي أحاطت به . فلا جمال باريس ، ولا بهجتها ، ولا أرض أجداده الأصليين « تونس » التي نزع منها جده واستوطن ديار مصر ، فكانت وطنه ووطن ذريته ، ولا البلاد التي رست فيها السفن التي كان يستقلها مرحلا بأمر السلطات ، أو متربحاً للفرص التي يمكن أن ينتهزها ليغافل الحراس ويهرب إلى أرض مصر . كل ذلك لم يكن يوازي عنده نعيم وطنه .

وإنك لتلاحظ منه هذا الحنين في أغلب أقواله في منفاه . سواء أكان في الفترة التي قضاها في تونس ، أو في تلك التي قضاها في فرنسا وهي أطول مدى . أو في أقواله وهو يحاول أن يدخل مصر خلسة .

ولنسمع إليه وهو يخاطب الوطن في ذكرى ذلك اليوم الذي أبعد فيه من البلاد (وكان يوم عيد الأضحى) بهذه القطعة الباكية :

يوم الدبايح كان	آخر مواعيدك
وقفت له فرحان	أنصب رايات عيدك
وافرش لك الريحان	واسمع زغاريدك
زعم غراب البين	فصلت أ كفاني
خيبة أمل ومرام	واعمر وتمعسر
ياريته كان في منام	يصبح ويتفسر

أو حكم بالإعدام
ما كان تشوف العين
ع الناس ومتسطر
حالى اللى بكانى

عالسين يامصر مشيت
عليه عبـد جوليت
إيـاك يسلينى
تركى على صينى
جمـال ينسينى
واتفكر الهرميين
تجرى الدموع تانى

ثم يذكر الاسكندرية ، بلده الذى ولد فيه :

يا اسكندرية
يانور عينه
ياللى زايته البحر الأبيض
عالشباب وعايكى يعوض

كتمت نـارى
وفضلت ادارى
من مهارالين فى ضلوعى
عن عيون الخلق دموعى

رأيت مـوانى
ماشفت تـانى
غن يمين ملكك وشمالك
فيه أثر من بعض جمالك

واللى طويتـه
فراق ياريتـه
كان علم يخفق فى هواكى
كان فراق الموت وعزاكى

ثم يكتب أيضاً الزجل الذى سبق أن أوردناه تحت عنوان « يرم فى
للنقى » والذى مطالعه :

عطشان ياصبايا
عطشان ياصميرين

متعكر مليون طين

عطشان والنيل في بلادكم

الخ ،

وكتب كثيراً من القطع التي لمح فيها بالحنين إلى وطنه .

وهاهو يذكره عندما اشترى « راديو » وهو في غربته، أول ما أنشئت في مصر
دار للإذاعة ، وكانت قد قامت بذلك شركة « ماركوني » اللاسلكية ، ومقر
إدارتها كان رقم ٥ شارع علوى .

وصور في زجله الصورة البشعة التي كانت تصل بها أصوات الإذاعة في
الخارج عن طريق تلك الشركة :

أرض الحبايب بعيدة يالهفتي عا الحبايب

قالوا المحطة الجديدة حرر عليها العقارب

تحظى بمصر السعيدة عندك في أرض المغارب

جبت الجهاز أمريكاني بالدين ومبلغ يساوى

يامصر فالك مبارك ياقايمة من بعد نومه

خليتي صيتك يشارك لندن وباريس ورومه

أنا الرذيل المـارك لاجلك عشقت الحكومه

الى بنت لك محطة فى المحجر الزعبلاوى

حطيت على القلب إيدى لما سمعت المنادى

ولهان وناكر وجودى فى وادى والنيل فى وادى

أقول له شنف ياسيدى
أحنا اللى لا يدين عطاشة
صوته الخنون قربه لى
حسبته فى الوجد مثلى
ولا احبوش حس طفلى
فيها الترامواى يبرطع
« رنف (١) » بدا فى القرابة
دارت عليه الرحاية
أحلف ما فرت آية
درسى صوتك « يارفعت »
وبعدہ قام المبنى
واسمع معاه ألف جنى
صوهم يطشش فى ودى
فضلت أفتح وأقل
يامصر مفرز وجمالک
أحلف بشهرة جمالک

ياما انتظرنا الساعة دى
هات اللى عندك ياراوى
مخنوق وفى الحلق شارق
بيكى وفى الدمع غارق
بيكى فى أربع منسارق
والرعد من تحتہ داوى
وانا اللى « رنف » سباني
أحبها فى بيت جيرانى
فهمت المعانى
وانت اللى صوتك رهاوى
فتحت له الراديو على
فى الأودة واقفين قبالى
ولا طشيش المقالى
لما برت الملاوى
ماتلتقيش فيه مجامل
ماركونى (٢) بالعند عامل

(١) المرحوم المرفى، انهمر الشيخ محمد رفعت .
(٢) شركة ماركونى التى أدارت الاذاعة فى أول عهد انشائها .

شمر دراعه وبنالك	محطة من غير فرامل
تحود وتلود وتربع	زى الحمار الحساوى
ياللى بنيم محطة	للدنيا تسمع وتحمكم
مالك بنيم بفلطمة	جابت على العكس ربحكم
وضاع أذانكم فى مالطة	إكمنه من فوق سطوحكم
والله الفوتوغراف بدالها	ينفع ويمنع بلاوى

ثم هو يتألم لفراقه عن مصر ، ويستعرض الأحداث التي مرت . ونحن إلى
وطنه . ويعاتب في هذا الزجل القوى :

أنا اتاهيت وخذل زندي ما نيش نبى الله غاندى
إن كانت الغلطات من دى صمفون يكون فى عون اللى عامها .



إن كان على السجن دخلنا	وإن كان على الملاح أكلنا
والصوم نخلناه ونخلنا	خلى اللى فاضل أرجالها
ياما نطح شاعر قباي	واللوح كتب له اللى كتبلى
واشمعى شعرك يا غرابلى ^(٢)	خلاك تفوت من غربالها
أنا اللى ضليت فى جهادى	وغشنى حسن الوادى
وهبت للنيل أولادى	من بعد ما عمرو دخلها

(١) الرحوم محمد نجيب الراجلى . كان محامياً أديباً ، وأصبح وزيراً .

يام الكرانك والدلتا
 ماتغيرت كلمة رفاًتى
 حاتعملى طرشة لامتى
 والدنيا رافت أحوالها

قالوا اللى يشرب من نيلك
 وانا اللى عطشان فى سبيلك
 لابد يرحل وينجى لك
 الدنيا إيه اللى جرالها

ياريس خلاص صبحت خربة
 وانا ارمىيت وسط مغاربة
 اللقمة فيها بمضاربة
 القلب والكرب قاتلها

مغاربة يازر فاشوكة
 باكل معام شكشوكة^(١)
 يازر تربط به فلوكوة
 تشمط وتشوى اللى ياكلها

لا سطل خروب يسعنى مصرفو ولا
 ما يقصف العمر ويفى
 ابن نكته يكيفنى
 غير الخلايق بعلها

يامصر هجر كيكفانى
 دا يوم ما أرجع لك تانى
 يااملة قمع وناسيانى
 حاتبقى رجعة برسالها

خراب ماتحتاج لمعاينة
 أميرى جوز أم بثينة^(٢)
 وفن باير واهى باينة
 وأنا الرعية مع عيالها ؟

(١) طعام مغربى يحاط به الفلفل والشطة وجميع التوابل

(٢) الأستاذ محمد عبد المنعم (المعروف باسم أبو بثينة) وكان للرحوم الأستاذ حسين شفيق المصرى قد لقبه بأبى الرجالين

وها هو يجد وطنه العزيز على نفسه بهذه القطعة الجميلة ، التي لا ينسى فيها
أيضاً التعبير عن حرمانه من نعمة العودة إلى هذا الوطن :

يا مصر

يا مصر تتحدث الأملاك بجمالك

في وحي جبريل

من قبل فرعون وموسى الشمس ضاحكاً لك

في صفحة النيل

حسنك لوحدك لا نسوانك ولا رجالك

من جيل ورا جيل

في وحي جبريل قصائد واسمها سينا

منقوشة بالنور

في صفحة النور مرايا للحياة زينة

قدامها جمهور

من جيل ورا جيل ومن خوف ورا مينا

وكل طرطور

منقوشة بالنور قراها سيد الإسلام

بأمر مولاه

قدامها جمهور على ذكر الجلالة ينام

والأمر لله

وكل طرطور بقبة أو بني أهـرام
والكل سايعاه
بأمر مولاه محمد عا الجمال وصى
حاكم ومحكوم
والأمر لله وجدتي في الخلف غصه
تمدد وتدوم
والكل سايعاه وله من رأفتك حصه
آه عالي محروم



بيرم أيام حياته في المنفى

بيرم والاحتلال البريطاني

كان « بيرم » فى الحادية والعشرين من عمره عندما قامت الحرب العالمية الأولى . ولقد عاصر عهد الاحتلال البغيض وهو قتي . كما عهد الحماية البريطانية التى أعلنت على وطنه ، مصر ، الذى ولد فيه وشب وبما على أرضه ، وشرب من مائه ، وتغذى من خيره ، واشتدق أول ما خرج إلى الدنيا هواءه . فلم يكن لريب هذا الوطن ومجبه إلا أن يالم لأله ، ويدود عن حياضه .

كان يسمع من أيه مالحق ببلاد أجداده من أذى على يد الاستعمار الفرنسى . وكان يرى بعينيه ما لحق بوطنه من ضغط الاستعمار واستعباده .

فأشبهت نفسه بالكرهية والبغضاء لأولئك الدخلاء الذين اغتصبوا حرية وطنه . وكان العداء للاحتلال البريطانى .

وما أن قامت ثورة سنة ١٩١٩ حتى كان « بيرم » من أبواقها .

إنه لا بد أن يثور مع الثأرين . فكتب ماشاءت له الظروف أن يكتب . ونظم من الشعر والزجل مادونه ومالم يدونه ، وإن كانت قد تناقلته الألسن وأنشده الشباب الثأر .

وتقدم للقراء مثلاً مما نظم ضد الإنجليز بعنوان : «يامتقع الحجر» ، نشره فى

العدد الأول من مجلة المسلة قبل انبثاق ثورة سنة ١٩١٩ بخمسة أيام :

أحمدك يا من فتحت الباب علينا بعد أزمان لما دبنا واستوينا

بالله تصلى على طه نبينا وأحفه بالقل والوردة الزكية

جالنا ضيف بارد وصاقع وابن جزمة
 والضيافة بالكثير ما تكونش لازمة
 طقة الضيف فى الفطور ميت ألف بيضة
 بعث عفشى وبعث ملكى وبعث بابى
 إسأل البنك العقارى وبنك رومه
 والتلم مش طالع إلا بالحكومة
 نام ومزغ فى القماش والوقت أزمة
 غير تـلـات أيام ودى بالتلمية
 غير ميتين طور كل طور غندور وموضة
 والطاحونة والحمار والبطانية
 تعرف المبلغ وشيكات العزومة
 إن كانت تنفع وبالقدرة القوية

ثم نقرأ له هذه القطعة بعنوان « الحماس »، وفيها وصف دقيق لحالة البلاد
 فى عهد الاحتلال :



الحماس ما اتبط من أيام عرابى
 لأنجليز شالوا المدافع والطوابى
 واتلمينا
 واتمهينا
 بالخازوق ماسك متين والفرقة نينتى
 والحقوق تطلبها بالروب والجوانتى
 بالمدافع
 وابقى رافع
 للبلد جايين حكمدار من جلا كسو
 متحمق لو كان فى مدريد والاموسكو
 واستلمها
 كان هدمها
 فى القوتيل قاعد أمير والسفل داير
 وإن زغر لاعظم وزير، بردون ياماهر
 حمري حمري
 بطنه تجرى
 مشروعات اتنفذت ، وسيادنا تنهب
 من سكات وان كنت تزعل ياللاهيب
 فى الفوايد
 فى الجرايد

المعسكر يبنى يوم المفاوضات وانتمالك
دى الأوامر ، والمرافعات ، والمعارضة خلوها لك
وقت مايهف الغرام قول ياللا بينا عا المراتب
ستميت كبتن بجولك عا المدينة م المراكب
تتفق أو نختلف برضه انت تطلع بالبشاشة
والنشان الخلو فى صدرك بيلمع وانت باشا
ياللى قصر الزعفران مقبول عليكم كلمونا
سلمتكم مصر روحها بين إيديكم طمنونا

وإذ جاءت إلى البلاد لجنة ملنر ، وهى اللجنة التى أراد الانجليز بها تخدير الأعصاب فى عرضها المفاوضات فى مطالب الحرية والاستقلال مع « سعد زغلول » ، وفشلت هذه اللجنة فى مهمتها ، وتجددت الحركة الثورية ، وتشدد الانجليز فى قمعها بضربهم الشعب الأعزل برصاص البنادق ، كتب « بيرم » هذا الزجل تحت عنوان « على الأرغول » :

الثورة المصرية

الأولة آه ..

والثانية آه ..

والثالثة آه ..

الأولة ، بالبندق سكنوا الثوار

والثانية ، جالورد ملنر يربط الأحرار

والثالثة ، تصریح فى فبراير وأصله هزار

الأولة ، بالبندق سكتوا الثوار ومدافع .
والثانية ، جا اللورد ملنر يربط الأحرار . ويترفع .
والثالثة ، تصریح فی فبرایر وأصله هزار . ومش نافع .

الأولة ، بالبندق سكتوا الثوار ومدافع . أهم فاضلين .
والثانية ، جا اللورد مانر يربط الأحرار . ويترفع . عن الغاييين .
والثالثة ، تصریح فی فبرایر وأصله هزار . ومش نافع . وقولوا آمين .

الأولة ، مين يمزق حجة الطالب . في دين مطلوب .
والثانية ، مين بس يمنع حجة الغالب . عن المغلوب .
والثالثة ، تسلب ولكن قال لنا السالب . أنا المسلوب .



الأولة ، بالسهولة ضيعوا الأرواح .
والثانية ، غول بن غولة جار علينا وراح .
والثالثة ، هيه المهولة تلتقيها مزراح .

الأولة آه . . الثانية آه . . والثالثة آه . .

بيرم والسياسة الداخلية

وبقدر ما كان « بيرم » يهاجم الاستعمار والمستعمرين ، بقدر ما كان ينقد رجال السياسة من مواطنيه في أعمالهم ، ومبادئهم التي قلما كانوا في نظره يحرصون عليها ، وفي نواياهم إزاء الشعب الطيب المسلم ، الذي سلمهم زمام أمره .

وقد عاصر « بيرم » ثورة سنة ١٩١٩ مدة عامين ، ثم نفي عامين ، وعاد فعاش مع هذه الثورة عامين آخرين . ثم عاصرها وهو في خارج البلاد ، فكان لا يفتأ يبعث برسائله الوطنية كلما دعاه داع

وها هو يخاطب بلاده بهذه المحاور السياسية ، ملمحاً إلى القيود التي تحيط بها من الاحتلال إبان ثورة ١٩١٩

الثورة المصرية ١٩١٩

مصرفون

مالك شهقتي على العسالى MisrFana يالى مالك زنىد؟
مالك يا واقعة طوالى فى طريق الهند؟
ياراضية بالمسيو المالى يفقرك بالعند
والقطر ينضاف عا الفلة جوا بيت المال
والفحل يضرب بالقسلة يطلب استقلال
وتبص فى الناحية الثانية تلتقى القاضى
فارش وقاعد بالعنية للشكل فاضى
يعد عمرك بالثانية ويعيد الماضى

ويجيب الـدلال	ويقوم ويحجز عا الحـاة والفحل يضرب
ينضرب تليفون يحضر الكركوب والحاجات البـون والزعل ينشال	وإن قلتي ياخي وآنـي يانا م القنطرة للشفخانة بالسكويت والجبخانة والخرق ينسد بفلة والفحل يضرب
دا اللي عدى وراح فاللي مات ارتاح له بكا ونـواح ينكتم في الحال	وإن قلتي صـبرى وجهادى وإن قلتي ماتت أولادى والحى ساكت والحـادى وينشوف خيال الفرقة والفحل يضرب
وان طلبتى حقوق تتربط بخـروق ممتلية شـقوق تتعمل غربال يطلب استقلال	تفضل معاكى الشرطية تظهر سوارىخ رسمية والحجة تصبح مهريـة وان كارب ما تنفع دنتلة والفحل يضرب بالقلة

ثم يلخ ، فى مناسبه أخرى ، بعبارات تهكمية ساخرة إلى أبعد الحدود ، عميقة المعانى ، إلى الحالة الواقعية التى لازمت البلاد فترة طويلة ، بين فورة الغضب من الاحتلال ، وبين عوامل التخدير بعرض المفاوضات ، ثم تبليبل الأفكار بين الضجة والسكون :

متجمعين كلهم	دخل وشاف الفتم
سلم عليه قبلهم	وشاف منولى ابتم
وقال له يا للعجب	استغرب البيه عمر
قال كل شيء له سبب	وشك دا والا القمر
فيه ثورة قال فى البلد	بيته-ول لى جارنا على
نزات أشوف الولد	قلبي عدوك غلى
الكرشه أصل الزعل	قال الفقى قول لنا
فضك بقى م الزعل	شياء نعرفه كذا
على منولى حضر	البيه نده وقتدى
فيكم هنا يا غجر	قال مين بقى المعتدى
راح الزعل وانطوى	عبد الله قال من زمان
عملنا غدوة سوا	وقال منولى كان

ثم يشير المصرى للتحفز واليقظة ضد الأحداث التى تحيط به ، وضد الاستعمار
بوجه خاص :

يامصرى

والكون ساعك	يامصرى ليه ترخى دراعك
يشفى اللهب	ونيل جميل حلو بتاعك
على سردينييا	خلق الهك مقدونييا

والكل زايطين في الدنيا
ليه انت كتيب
مأحط نفسك في العالى
وتنبأ غالى
وتتفلى عالى فى بالى
من غير ماتعيب
وتقول له كرماء لصيوفنا
لكن صوفنا
مايتنتفش الا بكيفنا
ويبد حيب

ثم يهاجم الامتيازات الأجنبية التي جعلت من الأجانب على البلاد
أسياداً لها:

المولى ناظر لعبيده
فوق شطوط السين
جاب الجمال بدره بايده
والا نالا ثنين
المسكرى الزنجى يريده
بالقليل اتنين
الكل دولة فى توحيده
جات بلادنا بين
المبتلية بكو تاريللى
عرة الخواجات
المبتلية بيلقانى
نحس البلقار
وكل بلوة سيسيليانى
خاف من البركان
ساكنين لى فى الدور الثانى
واحنا فى الأكفار
اشرب ودوق ذلك يالى
تكرم القفوات
اللطخ فيهم بهبالتة
يكسب الملايين
والندل فيهم بفالتة
باع لنا الكوكابين

واللى فرش لأمه وخالته
الله لا يحى ولا يخلى
فرش فى الدكاكين
ينعمة امتيازات

يابو الشهادة المحتومة
مادمت بتقول يا حكومة
دكتوراه فى حقوق
شغلى المزنوق

لا أعزى أمك فطومعة
وانزل عليك أنا بالشومة
دى اللى والدة خازوق
وابعتك للسوق

تشيلى مواهى المتولى
صاحب الكرامات
داخلى لسا بتقل وضجة
زى ما تقول هون

وفى الحافل تهيجى
وفى الحكومة تترجى
كلمة السر بوب
شفلة فى الكركون

أو يعملك يا ابن الحاجة
عمدة البجامون
تضبط جناية وتعمل لى
شامبيون نشانات

ويتناول موضوع المحاكم المختلطة، التى كانت فى خطورة تشريعاتها وغيابها
جزءاً خطيراً من أنواع الامتيازات الأجنبية وهو يخاطب فى كلمته المرحوم
« عبد العزيز باشا فهمى »، الذى كان قد طالب بإلغائها، تلك المحاكم، وتسبب عن
ذلك امتعاض السفير الفرنسى.

المختلطة

أخطب يا عبد العزيز وشرح وانا أكتب

بدم يسيل

عتب علينا السفير ، خلى السفير يعتب

دا باله ط-ويل

هوه السعيد العظيم فى كادر مترتب

وغيره ذليل

هوه اللى ينشال ويكره كل شىء متعب

وغيره يشيل

أخطب يا عب-د العزيز عن شعب متدرج

وعزمه شديد

مرت عليه العسر والقلب واتخرج

بعلم جديد

ويخترع ملح و عابدين اللى يتفرج

على البيراميد

أو يخذ المنكوبين عا النور ويخرج

على المواليد

ويتهم على أنواع المفاوضات التى كان تجرى مع الزعماء بين الحين والحين..
بهذه القطعة ، بعنوان المفاوضات ، على الأرعول :

الأولة آه... والثانية آه... والثالثة آه...

الأولة . عالسودان كرزون . خلق تفانين - على كيفهم - ومالناش كيف

والثانية . بوظها هندرسون . سنة ثلاثين — وشرفهم — نسوه في جنيف .

والثالثة . فى الزعفران بالحرملة داخلين — وسيوفهم — مفاوضة بسيف .

الأولة . عبست . والبرلمان حلوه — بمقالب .

والثانية . لما اتنست . خزان كبير وبنوه — بلوالب

والثالثة . أهى اتكربست . والهلب فيها رموه — بمخالب .

الأولة . ياخلف للأفريكان تأديب

والثانية . يا اهل البلد أرزاقنا فى دواليب

والثالثة . أسطول يوفى بين حبيب وحبيب

الألة آه .

والثانية آه . . .

والثالثة آه . . .



ثم ينقد حكومة « أحمد زيور » فى سهاونها فى حقوق الوطن ، بتسليم إيطاليا — التى كانت مشرفه على بلاد ليبيا إذ ذاك — واحة جفبوت ، التى كانت داخله فى حدود مصر ، وموافقته على التعويضات المالية للموظفين الأنجليز ، التى فرضتها دار المندوب السامى البريطانى ، وكانت تقدر بملايين الجنيهات :

يا لى الأوامر فى ايديكم — سلام عليكم

مشتاق بيسألنى عليكم — راجل محبوب

محبوبكم اللى صبح نيلة — ولا لوش حيلة

وغير لا حمد ولا جميلة — هو المسبوب

فالحق عا اللى عملكم ناس
 ولا شاف يا أمة جـوزة نحاس
 وهاجـم وانـداس
 بيته الخـروب
 راخر الهى سبحانه
 معظم شانـه
 يخلى مثـلا روفيانـو
 يـلـطـش جـفـيـوب
 ويخلى دكـيه أبو ضـب عريـض^(١)
 ويلهف تعـويـض
 ويخـش تانى معـاه تفويـض
 رسمى ومكـتـوب
 أما اللى ساقـها وزاد عا الكـل
 الواد الفـل^(٢)
 سقى التخـان كاس الـذل
 أهـودا المشـروب
 من شخـطة منه يـفـنـور الـنيل
 تفهم السادة المساطـيل
 مصر فون
 MisrFone
 آدى اللى حاكم بالقـسـوة
 أما أبو كـسـوة^(٣)
 شيخ خـدامين حتى ما يسوى
 فردة مركـوب
 مطلوب تقـوم وتـشـرفنا
 وتنضـفـنا
 من التخـين اللى قرفنا
 وملانا عيـوب
 ويتهم أيضاً على المعاهدات التى كان الإنجليز يعشمون بها المصريين ،

(١) بهى الموظفين الانجليز .

(٢) جورج لويـد الـندوب السامى إذ ذاك .

(٣) أحمد زيور باشا رئيس الوزراء إذ ذاك .

وما هي إلا شرك للابقاع بهم . ويعرض بالحكام الذين آذوا البلاد .
بسياستهم الملتوية :

يا قرن عشرين ياريتك كنت قرن الفيل
وفيك محمد بعث بالوحي والتنزيل
وفيك عمر يعرب العالم بلا أساطيل
جيت والتمينا قلاشوه بالجاروف نبيع
لا المشتري في التمن ما كس ولا البياء
ومين في سوق الدلالة يشتري الصياغ
إلا لمسح الجزم ويدحرجوا براميل
سأت زيور ، وريبور صنعتها حاكم
بحكم ولاد العرب بالسحر والخاتم
وينقذ الملك^(١) لا يحارب ، ولا يخاصم
الورد^(٢) جاك بالأمانة يعمل ايه قول لي
يا للى الخروف أكلتك ، واللغد متدلى
رمى « الماتان »^(٣) من يمينه . والتفت قال لي
بعد المعاهدة أقول لك عا السبب يا رذيل

(١) كان زيور (رئيس الوزراء) يقول أنه « تولى الوزارة لإنتقاد ما يمكن إنتقاده »
بعد حادث قتل سردار الأنجليري المروفة
(٢) التدوب السامى البريطانى إذ ذاك
(٣) جريدة فرنسية وقصد يرم بها تصوير شخصية الرجل و ميله للأجنبي

قلت المعاهدة البديعة باينة يامونشير
بالحبر دول لغمطوها ، والله بشرة خير
الحبر يقعد ، وهيه تنكتب بأثير
يقراها ولد الولد ، ويسب بالأيمان
فيها الجنود داخلة أكثر م البنود بزمان
والطيارات م الدخيلة لأمننا درمان
تطبق المادة ١٦ بمب تقيـل

أرجع لسيركين بويد^(١) سيد الجميع وأقول
يجعل كلامنا عليك نسخ خفيف معسول
إمسك معايا القلم أحسن أنا مسطول
منح اللي شاور عليك بالحبر دا مضم
يوم المظاهرة الجدع بالدم متعلم
أما اللي يهرب مهار الهول ويسلم
عويل ، ومن يجرى بعده يبقى زيه عويل

وينادى بضرورة تفاهم الأحزاب التي كثرت وتطاحت في سبيل الفوز
بعضها على البعض ، والبلاد تن من فوضى التغيير والتبديل في الحكم ، بينما
الانجليز يتربصون :

حتى الفوريـهـ لا متفقين والمصريين
أحزاب ورا أحزاب نـازلين طحن وتكسير

(٤) انجليزى كان يتولى الأمن العام .

وقت الخطر هم الأعداء
في الفرزة تلقى لها مساعدة
لكل واحد قال مبدأ
ولما تحرب ما يصدق
يعنى المبادئ، مجعولة
في الربط تربط بسهولة
دستورى حر يقول قدم
واتحادى يقول إهدم
والانجليز في اللوج قاعدين
حيكون فتو الزفة ومبين
والعترة فيهم أهم ويأه
ويخلوا غيره يزن وراه
واللعبه آخرتها يياظه
ومسير كان... أباطه
والطور إذا اتسب عا الطور
أهو كل حزب يكون بالدور
والريج من غير تضحية
ماي الوزارة يا عضوية

أما العقدة
واهو ده التعمير
يوم الخندق
يشبع تشخير
جبال مفتولة
والحل عسير
طيب افندم
وبلاش دساتير
منتظرين مير
يا كل التصوير
يدوله كراه
مطرح ما يسير
ووزير طازه
يبقى لنا وزير
آخرتها البور
وزرا ومأمير
مئة المية
عن أهل ابو قير



إسأل صاحبنا المازى اليوم
 الذى عطوك المال بالكموم
 يقول لك الولد العفريت
 غشونى فى المبدأ ورضيت
 عن حال القوم
 أجرة تحرير
 كلك عكارت
 من غير تأخير
 وقبل ما حط العرقوب
 جوه المركوب
 والحزب^(١) صغير
 عالم بأن المال منهوب
 ثم هو يفرح لاتحاد الأحزاب الذى يعود على البلاد بالخير:

اتحاد الأحزاب

يارب أنا اتوكلت عليك
 ما تنسانيش أنا صنع ايديك
 مين كان يقول ان الأحزاب
 لك وحدك الحمد يا وهاب
 جاعل خلايقك ناس بتحش
 ورحمتك من فوق بترش
 يعود وبعد ما كان جلاوين
 عيدان طويلة تلا العين
 كانت زيرية السندين دول
 وبيص لك عمك جون بول
 ورجعت إليك
 ياروف يساودود
 تصبح أحباب
 يا صاحب الجود
 وناس بتقش
 الزرع يعود
 يرعاه خروفين
 الله عا العود
 يرعاهما الصول
 يلقاهما أسود

(١) حزب الأحرار الدستوريين الذى كان من جملة الأحزاب القائمة .

شدوا اللبان بزيادة كلام
 الساعد اللي بنى الأهرام
 يخلق بدال الأنتيكة
 ويبيع لأمة أمريكا
 الدنيا كلها حاسدانه
 « وادى الملوك » أما تنانة
 يعنى الحبة لأمواتنا
 وكلنا محرافيتنا
 تزخرفونا بترتركم
 وتشغلونا فى دواركم
 وحق من أنبته زينحة افون
 ليتسج منه خاكيننا
 ويتقلب شعب الوادى
 ما فيهش عاقل ولا هادى
 خيوب عليه ان ما جملها
 م اسكندرية اشلاها
 والنيل بين وشمال مجراه
 وصخرة الجيزة ياولدها
 وامشوا لقدام
 هوا موجود
 ميت فابريكة
 وبتوع فرى جود
 عا الجبانة
 منك يا حسود
 واحنا حياتنا
 فى الخارطة قرود
 وبأحمر ركم
 نلقط فى السدود
 وفتلة متينة
 والباقي بارود
 كله جهادى
 غير الملحود
 يمشى داخلها
 فى عمارة ممدود
 يخلق سافواه
 تصبح هوليوود

وَيَصُورُ الْاِسْتِقْلَالَ الَّذِي كَانَ يُطَالَبُ بِهِ بَعْضُ الزَّعْمَاءِ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ التَّهْكِيمِيَّةِ
«الاذعة بمنوان « استقلال عدلى باشا » .

قومي اقلى الطرحة السوداء يا أم الهرمين
وركبي الوردة المـسودة بين النهدين
يا أم الخصال المعبودة أنا احطك فين
جميع لوازمك موجودة عا الراس والعين

إن كان هـ لال

والا استقلال

والا رواق بال

على الفوانيس والخنينة يا ما بكيتي
مخلتيش يا ام مسنة ولا بقيتي
قالوا ما ترضاش تسنى لما شكيتي
فالمقد حايبكون بالسنة عا الكيتي

مخناش صومال

ولا وش قتال

داحنا ناسات عال

يا كتاف صلاة النبي أعرض وحيوت غزلان
وطول من البحر الأبيض لامك درمان

وشىء مسمى ومحفوض إسمه الخزان
وحوض ذهب ساعة منفض وساعات مليون

أما القنال

زى الخللخال

وطلوعه محال

ركك على الجمعة الجاية بالك على ايه
حاتنقد لك جمعية وصالون وبوقيه
من كل كفر ومديرية يبجي باشا وبه
يخيطوا لك ناموسية وداير ستاتيه

وابن الخلال
تحت التمثال
مصنفون
وادى الاستقلال

بـيرم هو شعبيتنا الخالصة ،
هو أنفـاس هذا الشعب ،
تنبت من أعماق فكره
ووجدانه .

—مرد دواره

بيرم والسياسة الخارجية

ويتناول « بيرم » السياسة الخارجية ، فيحول في شتى ميادينها .
ونقرأ له هذه القطع المنوعة ، يخاطب في إحداها بعنوان « ميتم الأمم »
الدول الغربية بما شاء له خياله من تحليل للواقع الذي كانت تعيش فيه هذه
الدول ، إذ ذاك :

ميتم الأمم

(أمريكا)

فين عين واشنطن تشوف روزفيلت أبو التفانين
القمح قال يتحرق ، والبطلين جمانين
آدى جزاتكم ياولسن عصبتك شينة
فرنسا وانجلترا بيضعوا فينا

(روسيا)

باللى صبحتم غنم ستالين راعيمها
إرعوا اللي بطرسكم الأكرزوع فيها
شمتان في قلة مقامكم نصكم أجرايع
والنص في أوربا داير يشتغل ويبيع

(اليابان)

بالرز قانعين ، وميكادكم رشيق ونحيل
حسرة على اللي عليكم ركبوا براميل

وكان صفار الوجوه اسمه صفار الموت
صبح صفار الوجوه له في الموازين صوت

(انجلترا)

الفرس فين والفراعنة فين ذراريهم
الجبارين ربنا يكسر رقابهم
طالب من الله أعيش واشوف بعينية
يا انجلترا أمتك تصبح فلايكية

(فرنسا)

المظ كان محتكر والناس تروح له باريز
صبح متلل في تومبوكتو وفي تبريز
وف نص يوليوا افتتح باب السما غلطة
أما اللي في النيب لا لباسيتل ولا مالطة

ثم يخاطب دول الشرق ، بعنوان « الشرق » ، بهذه القطعة الرائعة ، مصوراً
فيها طابع الشعوب العربية ، التي كانت في ذلك الوقت مستكينة الجانب

(الشرق)

من قبل ما اكتب أنا عارف
والأجر بالتأكيد ذاهب
والشتم حايجينى مسوجر
مهما انكويت بالنار والزيت
القول ضايح
حسب الشايح
من واد صايح
برضك فنان

يا مصرى وانت اللى هامننى
 هزبل ويحبك الجاهل
 من دى الكيوف اللى تصبر
 ونمت والعالم فايق
 شوف الشعوب وانقص ودوب
 واللى آلمتى وبكأنى
 عا الأكل نازل طول عمرك
 وقلت لى لما هيتك
 لحمد ما الجزار خلا
 والله الخروف سايب معلوف
 والمغربى المسلم راخر
 ما اتقده فزع قال لى
 وانا اللى قصدى أشوف قيده
 لقيته فرحان به وراضى
 خليك ققىر، دق البندير
 روح العراق راخر قول له
 لأمتى تفضل يا أخينا
 ما تعرف الجاز يستعمل
 من دون الكل
 عيان بالسل
 على كثر الذل
 قوم بص وطل
 وارجع انسان
 إنت يا شامى
 بارد حامى
 مصرى حرامى
 جرحك دامى
 ما يفوته جعان
 أبو زر فاشوك
 يلعب بوبوك
 يصبح مفكوك
 طيب مبروك
 وكل التعبان
 كيف الأحوال
 بحرام وعقال
 غير للمشمال



ألطم بقى وقول ويايه
واوعى المداس يفلت تحتاس
الجزاز أموال
وتقول لى أمان
ياشرق فيك جو منور
والفكر ضلام
وفيك حرارة ياخسارة
وبرود أجسام
فيك سبعميت مليون زلمة
لا بالمسيح عرفوا مقامهم
لكن أغنام
ولا بالإسلام
هى الشموس بتخلى الروس
كدا هو بدنجان

وإذ أعلن مرور المهاتما «غاندى» رعيم الهند الخالد الذكر ، من قناة السويس ، فى طريق ذهابه إلى لندن مفاوضاً فى سياسة بلاده كتب هذا الزجل الجميل ، الذى أعجب به المرحوم «أحمد شوقى» أمير الشعراء ، لما فيه من براعة وبيان ، ودقة فى وصف حالة كفاح هذا الزعيم الخالد ، وجهاده ضد الانجليز الذين كانوا يستعمرون الهند ، متخذاً من العصيان المدنى مبدأ له ، ومن اكتفاء البلاد الذاتى سلاحاً ضد المستعمرو ، ومن صيامه المتكرر أساساً للمقاومة :

غاندى

السلام لك والسلامة
يا اللى أظهرت الكرامة
من هنا ليوم القيامة
بعد عهد المرسلين
يا اللى من لعبك بمغزل
تطلع البورصات وتنزل
فوق دماغ لندن وتمزل
لا نكشير الفزالين
فيلسوف ما يخيش قولك
كل فلسفتك فى نولك
والتلاميذ اللى حولك
بالمكاكيك شفالين

الانجليز عايشين فى لذة	عندهم أسطول وعزة
وانت تغلبهم بـ عزة	سودة بنت اربع سنين
الانجليز تاخد ماتدى	بالحنان من كل هندی
وانتبح صوتك ياغاندى	ما التقيتش المنصفين
قول مادام الحق ضايع	والغرض بيع البضايع
الحزام سار وسايح	والا تمشى عريانيين
يخضعوك ليه للتجارة	وانت فى أرض الحرارة
كل قرش يروح خسارة	فى الزفير والتفتالين
يازعيم الهند صومك	حبيب العالم فى قومك
وانتهت حجة خصومك	اللى باتوا مليوخين
كلهم واقعين فى حيرة	يقعدوا جلسات كبيرة
فوق موائد مستديرة	يعنى له محلقين
يفضب الحاكم لنصحك	يجسك ويعود لصالحك
وانت تستعجب وتضحك	عا الجبارة القحطانيين
يخسوك طالب جراية	ترعبك هزة عصاية
يلتقوك ياغاندى آية	فى الجهاد صايم سجين

ونعرض لبيرم بعد ذلك قطعتين فى السياسة الخارجية ، إحداهما بعنوان «سياسة
مدبرة» ، وتحمل تاريخ ١٩٤٧ ، والثانية بعنوان «ياجلس الأمن جينا» .

سياسة مدبرة

لله سياسة مدبرة من الأزل متة — مدبرة
سخر لها المتفشخرين الأمريكان وأنجلسترا
الحرب جاية والسبب هيه الفنايم والسلب
الهند والصين والعرب وجعلهم مستعم — رة
تبرك عليها الأنجلو أما اللاتين فيرحلوا
وفي بلادهم يفضلوا أمم ركش متأخرة

الروسيات حاتقول حصتي حايقولوا للروسيات اسكتي
حاتقول جنودي وقوتي حالا تقوم الجزرة



وبعد ما يمر الزمن حايقول تشرشل لترومان
من طنجه — تي لليمن أراضى تبغ لنـدرة

ولسه تدفع لى الكلف وتجب سلف غير السلف
جديدة غير اللى سلف والدفع عنـدالمقدرة

يهـدوا تانى اللى اتبنى محرب تالتة تسرنا
ونبص نلقى نفسـنا فى دنيا زاهية منورة

باجلس الأمن جينا

باجلس الأمن جينا وحققنا في إيدينا
نصف ما نصف عليكم الحق يمشى علينا
قضية ماهيش عسيرة مش عايزة تمحك وحيرة
انجلترا في جزيرة ويش جابها تحمك واديننا
حاقول بيناتنا معاهدة وتسوق أمور الناهدة
نعود قوام للمعاهدة والبحر يصبح طحينة
واللى ما تقدر نصده بالضفر والناب نعصه
نميش نموت زى بعضه ولا التجار يحكمونا
تجار سعارنة جواءة عاملينا في السوق بضاعة
من ساعة تنزل لساعة في كل بورصة ومينا
فرنسا في الغرب تريح وانجلترا دايرة تفتح
والست هولنده تدبح في أندونيسيا الحزينة
أمة محمد جهادها وجب لتخليص بلادها
ونص مايار عددها لو تعرفوا تحبوننا
أمة محمد عظيمة شعوب وأملاك وقيمة
ماهيش هدية وغنيمة لجورجي والا ساريننا

ثم بعنوان « إيه نابنا بعد الحروب » يصور الحقائق بهذه القطعة الصادقة :

إيه نابنا بعد الحروب

بعد الحروب اللي هـدت قلبنا المروع
طلعم منابنا شوية خردوات وبتوع
وكام جباردين مشمع ، نصهم ممزوع
وجنبهم ربعميت مليوب جنبه مطبوع
وكام حمار حرب أصبح بالفنى ممروع
وجيش بنات اسمه أرتيستات ، يقوده الجوع
وفوج مهاجرين أكاسرة ، ذكرهم ممنوع
أجروا المشاريع ، ولم تعرف لهم مشروع
ولسه جاياك معاهدة غير ذات موضوع
تمص عود القصب ، وتفوت لك الزعزوع

بيرم والثورة

قلنا إن الذين كان بيدهم الأمر، حينما دخل «بيرم» خلصة إلى أرض الوطن، في عام ١٩٣٨، كانوا يضعون أمر استعطافه لفاروق كفاء لحرية والاضضاء عنه . وأنهم طلبوا إليه أن ينشر ما يرضى حاكم البلاد، فكتب بالرغم عنه ما كتب .

ولكن الأمر تهادى إلى أكثر من ذلك . فكانوا يستكتبونه في كل مناسبة مديحاً لفاروق ، حتى سمع له الناس في الإذاعة بعض الإشادة بذلك الملك، في عبارات يعلم الله كم كان يتألم لها « بيرم » في أعماقه .

ومن الانصاف أن تخطى هذه السوءة في حياة « بيرم » إذ لم يكن له فيها ذنب ولا جريرة ، وإن كان البعض قد التزم اتخاذها مجالا للتشيع به .

وقامت الثورة المباركة في عام ١٩٥٢، على يد الضباط الأحرار، فتنفس « بيرم » الصعداء وحمد الله على أن زال ذلك الكابوس الذي كان جائماً على صدره .

ولم ينقلب طفرة متملقاً للعهد الجديد ، ولم يسرع ليعزف على قيثارة الرياء والنفاق لمن آل إليهم الحكم ، كما حاول أن يفعل غيره من الذين دأبوا على أن يلبسوا لكل حالة لبوسها ، وكانوا بالأمس القريب من أبواق الماضي الفاسد . ولكنه وقف وقفة المؤمن في محراب الصلاة ، يستغفر ، ويتهلل ، معتذراً ، تائباً

وقد عهدته في ذلك الوقت ، كما عهدته غيرى من أحبابه ، تدمع عيناه ، ويتألم ، من تسجيل تلك الأقوال الزائفة في صفحة حياته .

ووقفه الله كل التوفيق في صياغة هذا الزجل الجميل ، الذي نشره في أول عيد
لثورة عام ١٩٥٣ . وجعله على وزن وقافية زجله الذي هاجم به الملك فؤاد ، والذي
كان السبب في نفيه ، وهو على سياق الأغنية القديمة «مرمر زمانى يازمانى مرمر»:

العيد ده أول عيد عليه القيمة

ما فيهشى تشريفية ولا تعظيمة

صباحين وأعراضنا أقبله سليمة

باللى سمعتم فى الإذاعة صوتى

دى مسألة فيها حياى وموتى

مطيبانى كنت والا حانوتى

فى الفرح والأحزان باقوم متأجر

يارب سامحنى ، وانت الغافىر

تفرح إذا استغفر وتاب الكافر

فضلت أقول يامتقى للفاجر

ويا خايفة الله لشيخ المنصر

وقد صور « بيرم » بلباقة واقع الأمر الذى أزم تلك الضرورة . وأنه لعمر
الفن والبيان كفارة عن تلك الزلة الغير المقصودة . وهو أبداع ما تنطق به روح
أديب مخلص مؤمن بوطنه ووطنيته .

بعد هذا مضت الأيام ببيرم وهو راض مفتبط ، وكأنه استرد كرامته وأباهه ،
ولمح فى مجال الأفق قبولا لذلك الاستغفار الصادق ، على صورته الحقيقية
الصادرة من أعماقه .

لذلك أعقب بهذا الزجل الذى يصور به واقع الثورة التى قام بها أولئك
الأحرار :

سرت فى المدينة حكومة بنينا
نولى بايدينا
بلاش بفل شهدى يقول شعب جدى
على عرش والدى له الأولوية
يقوم من سراية ينم فى سراية
ويبت عشاية لجرمين هدية
وخالتى الإذاعة تقول كل ساءة
نصير الجماعة جزيل العطية
و.ا. ملكنا أذنا سبنا
تمثيل ملو كنا براخ سقية

ثم يصور حالة الفساد التى كانت متفشية فى أنحاء البلاد ، واتى قامت الثورة
على أسبابها ، منوهاً بانتفاضة الشعب ، فى قطعة من الزجل يقول فيها :

والرشوة مش بينى وبينك لأ ... عيني عينك
وحط عرضى على دينك لجماعة كبرار
أتارى ده كان كله رماد والفحم يساواد
من تحت والى والوقاد ساكت على نار

وياما من تحت الأمواج بركان وهـاج
إذا صحا من نومه وهـاج يقلب أخطار
والشعب يا اخوانا إذا قال يمى الزلزال
تطير عروش وملك يذشال م الدار للنار

ويكرم الثورة في الأغاني التي صاغها لينشد بها المطربون ، تمجيداً لقائد
الثورة ورئيس الجمهورية العربية . ومن ذلك الأغنية التي تنشدتها مطربة الشرق
أم كلثوم ، ومن عباراتها :

بعد الصبر ما طـال نطق الشرق وقال
حققنا الآمال برياستك يا جمال
الشعب اللي رفع الراية لصلاح الدين
أودعها يمين عبـد الناصر ويمينه يمين

• الخ

ثم يتجاوب مع الأحداث ، في ظل هذه الثورة ، بأناشيده الصارخة ، التي
مها هذا التصوير البارع لانتصار الشعب على العدوان الثلاثي الفاشم ، الذي
قامت به إنجلترا وفرنسا وحليفتهما إسرائيل . على مدينة بور سعيد الباسلة :

صوت السلام هو اللي ساد والى حكم
على الدخيل اللي اندحر والى انهزم
عدونا لما اعتدى قدمنا أرواحنا فـدا
واستعجبت من بأسنا كل الأمم

تلات أمم يا بور سعيد متقدمة
بدبابات وطيارات تملا السما

الأولة : داخله البلاد مستعمرة
والثانية : بعد الانكسار متجربة
والثالثة : على العرب متأجرة

هدموا البيوت قتلوا النفوس . وإنما
إحنا هدمنا عزمهم
في الشرق كله ومجدم

تلات أمم جايبة العتاد . لكنهم

متقدموش في بور سعيد ولا قدم

اسم السلام هو اللي ساد واللى غلب
وبدمننا الفعلى على الأرض انكتب

لا يتمحى من أرضنا ولا يزول واحنا هنا
متمسكين بحقننا متسلحين بعزمننا

أعدانا شافوا البينة

اللى بنوه في سنين . في ساعة انهدم

شافوا العدا في مصر عزم ومقدرة

شافوا النفوس تنباع . والله اشترى

شافوا الهواب واتندموا عاللى جرى

عادوا بالخذلان وبالعار والندم

وإذا عدنا إلى الماضي ، فإننا نلمح في كثير من أقوال « بيرم » تلك الجذور التي كانت متأصلة في أعماقه من عدم الرضا عن الأوضاع التي كانت قائمة ، وكيف أنه كان ينادى بصيحات تلو صيحات ، في كل مناسبة من المناسبات ، وكأنه كان يحس من وراء الغيب بذلك اليوم الذي ستحرر فيه البلاد على يد الأحرار بوثة الثورة .

من ذلك ، وعلى سبيل المثال ، قوله حين كلف أن يصوغ الملحمة المعروفة بملحمة محمد علي . وهي التي كانت الإذاعة تكرر ها أيام فاروق .

وليه القاضى والوالى يجيبهم بابنا العالى
وليه ما يكونش طوالى حاكمها من أهاليها
مزارع جوها دافى وطولها وعرضها وافى
وليه يمشى ابنها حافى بيد الإيد ويطويها

ومن السهل أن يلحظ القارئ ماذهب إليه « بيرم » من تلميح لا ينطبق على أسرة محمد علي . وقد فات أمره على أولى الشأن إذ ذاك ، فاستساغوه اصالحهم . وهو لا يصورهم بشيء ، فليسوا من أهل البلاد ، ولكنهم أرناوط الأرومة ، أترك الأصل ، وافدون على البلاد .

كما يبدو من المقطع الثانى بوضوح ذلك التعبير الصادق عن الأسر التي قامت عليها الثورة من العمل على الاشتراكية الاجتماعية

مزارع جوها دافى وطولها وعرضها وافى
وليه يمشى ابنها حافى بيد الإيد ويطويها

ثم ها هو ينادى بوحدة العرب والعروبة ، وكأنه يتنبأ بتلك الدعوة الجليلة

التي ينادى بها ويعمل لها رئيسنا ، وزعيم ثورتنا ، من جمع شمل الأمة العربية ،
وتكتيل قواها ضد مطامع الاستعمار :

أمة محمد جهادها وجب لتخليص بلادها
ونص مليار عددها لو تعرفوا تحسبونا
أمة محمد عظيمة شعوب وأملاك وقيمة
ماهش هدية وغنيمة لجورجى والا سارينا

وفي لحظة من لحاته ، وكان ذلك من منذ نحو ربع قرن ، ونح عن عنوان
« اتحاد الأحزاب » يبدو وكأنما كان يحس متنبئاً بالمستقبل ، حين يشير إلى آثار
التصنيع والبناء والتعمير والإنتاج ، التي هي من المبادئ والأسس لثورتنا
الحاضرة ، في هذه العبارات :

شدوا اللبان بزيادة كلام
الساعد اللي بنى الأهرام هو هوان موجود

يخلق بدال الأنيسة ميت فبريكة
ويبيع لأمة أمريكا وبتوع فرى جود

وحق من أنبته زينة وقتلة متينة
ليتنسج منه خا كينا والباقي بارود

ويتقلب شعب الوادى كله جهادى
ما فيهش عاقل ولا هادى غير الملحود

خيوب عليه ان ما جعلها يمشى داخلها
م اسكندرية اسلاها فى عمار ممدود

والنيل يمينا وشمال مجراه يخلق سافواه
وصخرة الجيزة يا ولداه تصبح هوليوود

ثم هو يتناول مساوىء المجتمع فى دور الحكومة وغيرها ، وكأنه يشير إلى
ما تعمل له الآن خطة الثورة فى تطهير أداة العمل فى كل المصالح والمرافق ، من
المفاسد والانحرافات :

إن كان يجب الوزير يوفر يقوم يراجع فى كل دفتر
يلاقى نص العددوأكثر يستاهل الرفت والأذية
وفى كلمة أخرى :

نؤ نؤربط الخبص والرشاوى نرتاح من الصرف والبلاوى

والاشترائية التى حددت الثورة معالمها لصالح الشعب والمجتمع العربى ،
فى حنى كل فرد فى حياة قريرة سعيدة ، كان يلج إليها « يرم » فى هذه الكلمات
التي هاجم بها الإقطاعيين المتكبرين ، وأصحاب الأملاك الجشعين ، الذين
لا يهمهم حياة الشعب :

أصل الحكاية الذوات ولهم علينا حقوق
زارعين بساتين ، وخافين من نزول السوق
ياما غنى يشتريها ، والفقير مدعوق
والرب نخاق ، ويمنع نعمته الخنوق

يرم الشاعر

آثر « يرم » أن يكون زجالاً على أن يعرف عنه أنه شاعر . مع أنه نبغ في الشعر نبوغه في صياغة الزجل .

وقد كان يمكن أن يكون في طليعة شعراء عصره ، بل كان من السهل عليه إذا اختص بنظم الشعر أن يبرز الشعراء ، وأن يتفوق على أساطيلهم . ويمكننا أن نسجل عليه أنه بدأ شاعراً فأول ما أنتج من المقطوعات كان شعراً . ولكنه عزف عن الاستمرار في الشعر ، ليكون مع الشعب في طبيعته وبيئته ، وليتجاوب مع الجماهير في روحيتهم ومشاعرهم .

ولنتركه يحدثنا بنفسه عن السبب الرئيسي الذي دفعه إلى أن يتجه لفن الزجل . ولقد قال ، وسبق أن أوردنا ذلك من قبل « استوعبت دراسة الأدب العربي من أمهات بنايعة . ودرست البلاغة ، وعلوم اللغة وفقهها ، وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالنعيم

» وكنت أقدر أنني سأجتز هذه الثقافات العربية الصميعة في صقل استعدادي وموهبتي الشعرية ، إلا أنني شهدت في مطلع حياتي صرعى الشعر ، وأشلاء الشعراء ، تحت أقدام المشعوذين وشداد الآفاق ، والمتجرين في سوق الأدب الفارغ ، والكلام الساقط ، واللغة الدارجة ، على أرض خبيثة .

» ثم تعاقبت الحن الثقال ، مع الليالي الطوال ، فأخذت الجماعة بخناق وخناق الأطفال ، وتلقيت وحشة الاغتراب ، ونكد المرض ، وفقدان الأوطان والأحزان ، وضراوة الجماعة في بيت لا يؤنس بقايا الأدميين فيه إلا الأبن

والدموع والأنفاس اللاهنة، فلم أر أن أضيف إلى هذه الحن القاصمة محنة الشعر
فتركت ثقافتى واستعدادى وموهبتى الشاعرة أمانة فى ذمة الأيام إلى الزجل أنظم
به المسرحية والموال والأغنية .

ونقل للقراء كلمة للكاتب الكبير الأستاذ « أحمد عبد الحميد الغزالي » فى
حديث له ، بجريدة المساء ، عن المرحوم بيرم التونسي ، بعنوان (بيرم التونسي
الشاعر الذى ترك قمة الشعر إلى قمة الزجل) .

قال فيها

« هكذا عاش « بيرم التونسي » يطالع الناس فى كل يوم بإحدى شخصيته
اللتين كانتا تؤلفان فنه ومواهبه . وظلت شخصيته ، تنأى به عن الشعر ، وتفريه
بالزجل ، حتى استوى على عرشه ملكا متوجا . فكل زجالينا ، صغيرهم وكبيرهم ،
روافد لهذا المحيط عميق الأغوار ، مديد الأبعاد ، متلاطم الأمواج

« ولمع « بيرم » وتألقت نجمه ، أستاذاً فى فن الزجل ، لا يشق له غبار ، وأقل نجمه
فى سماء الشعر ، رغم إرادته . وكان ذلك تلبية - لا مفر منها - لحكم الأيام

« وكنت أحياناً ألمح عليه أسى وحسرة تنطق بهما أسارى وجهه الصارم
المتجهم ، حين يثار حديث عن الشعر المعاصر ، فكان يضغط على أسنانه ،
ويلوح بيديه ، فى مرارة . ويقول

« أين هؤلاء الشعراء المعاصرون الجديرون بهذه التسمية ؟ .. »

ثم يقول الأستاذ الغزالي

« وكان « بيرم » فى شعره الجاد ، أو الساخر ، مشرق الديباجة ، نفخ
الأسلوب ، جزل اللفظ ، رائع الخيال ، حلق فى آفاق لم يحاق فيها شاعر من قبله ، لأنه

كان يعيش في حقائق مجتمعه ، التي يصنعها المجتمع ، وتتألف منها آمال الشعب وآلامه ، وتبلور فيها أحلامه ورجائه .»

« ولن نكون مغالين إذا قلنا إن « بيرم » الزجال الكبير الذي زحم أيامه بأثاره الخوالد ، من الأوبريت ، والمسرحية ، والموال ، والأغنية ، لا يعرفه كثير من الخاصة والمثقفين شاعراً كبيراً ، أسهم بشعره في أفراح الشعب ومباهجه ، وجوانب الحياة الشعبية الضاحكة » .

* * *

أتاح لي الحظ أن أتعرف على « محمود بيرم التونسي » .

كان ذلك في يوم من أيام نوفمبر ١٩٢٢ و كنت إذ ذاك بالسنة الثالثة بالمدرسة الخديوية .

كانت الشكوى قائمة إذ ذاك من كثرة المتسولين في الطرقات ومضايقتهم للناس . فرسمت صورة بالريشة معبرة عن هذه المضايقة إذ كنت أعيش في بيئة فنية شاملة من الأب والعم والأخوة والأقارب ، وحملت الصورة إلى مجلة النيل التي كان يحررها المرحوم الأستاذ « فرج سليمان داود » وهي المجلة التي استبدل بها فيما بعد « مجلة الحسان » .

كانت مجلة النيل تصدر في دار المؤيد (مكان مطبعة الرغائب اليوم) . فلما رأى المرحوم « فرج » الصورة أشار على أن أقصد حجرة أمامه ، لأرجو شخصاً أن يكتب كلمة من الشعر ، أو من التعبير الفكاهي ، تخدم موضوع الصورة ، وأخبرني عن اسمه أنه « الأستاذ محمود بيرم التونسي » . وكنت قد قرأت لصاحب هذا الاسم « مجلة المسلة » ولا أعلم أنه مقيم حينذاك بالقاهرة فرحت ، واستأذنت الأستاذ « بيرم » ، الذي كان مشغولاً بكتابة بعض روائحه أن يتكرم بما عرضه الأستاذ فرج .

وأسجل هنا المقدرة الفاتحة التي لمستها في هذا الكاتب النابغة

إنه ما كاد ينظر إلى الصورة المرسومة حتى أخرج ورقة من درج مكتبه الصغير المتواضع ، وكتب في سرعة عجيبة هذين البيتين

فته مضها الشقاء فأضحت وسم عار في الأمة المصرية

قد زعمتم بأنكم أهل جود أين ياقوم مبلجاً الحرية ؟

ثم سلمنى الورقة وقال : لانتعجب لكلمة « مض » ففي هذا المعنى في اللغة « مض » و « أمض » . والحق إننى من هذه اللحظة قدرت الرجل . وتأكدت من جذراته في نظم الشعر

هذا هو « بيرم التونسي » الذى داومت اللقاء به في نفس المكان ، ونفس الحجر ، وهى باقية المعالم إلى اليوم ، بعد ما عاد هاربا من منفاه الأول في تونس . وكان يحرر صحيفة الشباب كلها للمرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » .

ذكر « بيرم » في غلاف مجلة المسلة التى أصدر عددها الأول بالإسكندرية في ٤ مايو ١٩١٩ أنه صاحب قصيدة المجلس البلدى . وكأنه حدد بذلك تاريخاً له في عالم الشعر

فقد كانت قصيدته في المجلس البلدى من بواكير ممارسته لنظم الشعر .

ويرجع تاريخ حنقه على المجلس البلدى بالإسكندرية إلى العهد الذى كان فيه والده يملك محلاً لتجارة المنسوجات ، وكان « محمود » يعاونه فيه وكانت الضرائب والأتاوات التى يحصلها المجلس البلدى في الإسكندرية حينذاك يمازحها التجار . إذ كانت رئاسة تلك المدينة في أيدي أجنبية بحتة .

فلما افتتح « محمود » لنفسه ، بعد ذلك محلاً للبقالة ، زاده إرهاب المجلس البلدى حنقاً ، فنظم هذه القصيدة التى تشهد له ، على صغر سنه بالعبقرية المبكرة ، وقد نشرها له الكاتب الصحفى الكبير المرحوم « محمد عبد القادر حمزه » في جريدة الأهالى

المجلس البلدى

قد أوقع القلب فى الأشجان والكمد

هوى حبيب يسمى المجلس البلدى

ماشرد النوم عن جفنى القريح سوى

طيف الخيال ، خيال المجلس البلدى

إذا الرغيف آنى ، فالنصف آكله

والنصف أتركه للمجلس البلدى

وما كسوت عيالى فى الشتاء ، ولا

فى الصيف ، إلا كسوت المجلس البلدى

كأن أمى بكل الله تربيتها

أوصت فقالت أخوك المجلس البلدى

أخشى الزواج فإن يوم الزفاف أنى

يبغى عروسى صديقى المجلس البلدى

وربما وهب الرحمن لى ولداً

فى بطنها يدعيه المجلس البلدى

يابائع الفجل بالمليم واحدة

كم للعيال وكم للمجلس البلدى

ثم أعقب هذه القصيدة بأخرى فى نفس موضوع المجلس البلدى ، وهو

يتهمكم فيها على الفارق بين استمتاع الأجانب وحرمان أهل البلد :

وحول منازل الغرباء عنا
غرست الورد ثم الياسميننا
وأخضلت الفصون لهم سماء
ومهدت الرخام الجذع حيننا
وما قرمو واللحم الطير حتى
منحتهم الأوز العائمينا
تفجر تحت أرجلهم عيوننا
وتفقأ وسط أعيننا عيوننا
وترضى عنهمو وتصد عنا
وقد سخطوا ، ونحن الشاكرونا
فربها علينا كل عام
نحي الأشقاء البائسيننا
ترى الوحالات جائمة وفيها
بنات قد تعلمن العجيننا
إذا كنت الطيب ونحن مرضى
فأوص الناس خيراً بالبئينا

ثم قرأنا له هذه الأبيات التي نظمها حينما رأى أحد الأفراد المهزولين يقوم
بتمثيل دور البطل « صلاح الدين الأيوبي » :

يامشرفين على التمثيل ومحكمو

إني لأمر عظيم هـاجني الغضب

لقد كثرتم فهلا كان بينكمو

شهم لمثل صلاح الدين ينتخب

ما كان ممتناً حتى تمثله

على مسارح مصر مصرفتية

ولنقرأه شاعراً مجيداً في هذه القطعة الصوفية الجميلة

قد دعاك المحزون في غسق الليل

وقد نام كل حي سـواك

رب أنت اللطيف بالبر والعاصي

مجبب لكل عبد دعـاك

لك لطف في الخطب لو أمعن المكر

وب في وقفه يكاد يراك

أنا مستمسك نخيلك في اليم

إذا الكائدون مدوا الشباك

فوق من دبوا على الأرض كيداً

كسيد رب يدبر الأفلاك

ثم ها نحن نراه محلقاً في سماء الشعر الوصفي ، في هذه القطعة التي يصور فيها

فقيها بهره الرقص في داخل المرقص الذي يعج بالرجال والنساء (الكباريه) ،

بما لم يكن يأنفه

وكان من « شقاوة » بيزم أن يلتقط له هذه الصورة السينمائية:
العجيبة المضحكة

ياصاح وحقك ليس على
الرقص نعيم العمر فقم
جمعوا الفتيات على الفتيا
ما كاد معنى القوم يدق
حتى انفطت وحداتهم
رجل وقرينته التقيتا
فعلى كتفيه معاصمها
وخطا الأقدام موقعة
ورواحهما ومجيشهما
طوراً كالصاعد في درج
فاذا انجذبت فلنجدب
وإذا نقلت قدما ، رفعت
وأساورهم وخواتمهم
والقوم تموج الأرض بهم
وقيه الله على حدة
في الركن يرقص لحيته

من رام المرقص من حرج
وادخل في المرقص واندمج
ن فيا للأمر المنهج
الدف باحن منه شج
ثم ازدوجت بالمزوج
بصدر العمز وبالمهج
ويدها منحصر ذى عـوج
بالرقص على نظم الهـرج
في النهج على أرق نهج
أو كأنحط من الدرج
وإذا اختلجت فامختلج
قدما . . . والرفع بلاعرج
خطفت عيني من الوهج
مما هم فيه من الهرج
مثل بالشوق المعتلج
وتروج عماتة ونجي

وينظم على لسان أحد الفقهاء أيضاً ، في إحدى مقاماته الفكاهية ، هذه
القطعة التي يصور فيها هذا الفقيه وقد قبل الخدمة في أحد المساجد :

قلت صبر لملها تجلب اليسر والغنى
إنها خدمة وإن كنت فيها مؤذنا
والإمام الذى بها هرم عمره دنا
فإذا مات ذا الإمام توليتها أنا
ولقد قمت بالمهم كمن كان ديننا
قاصداً فنع دينه خادما بيت ربنا
فأناجى مكبراً وأنادى مؤمنا
وكنست التراب والغنكبوت الذى بنى
ونشرت الحصير فى الشمس حتى تحسنا
والكنيف الذى اعتنيت به أيما اعتنا
كان مزراقه نقصيراً وعرجونه اثنى
فقد أبيت راحة، مستعداً مزينا
ثم أمسى وقد مسحت الزجاج المدخنا
كان قنديلها عم فائتى يبعث السنا
كل يوم وليلة جاعلا ذلك ديدنا

ثم نقرأه فى شعر من الفصحى الممزوجة بالتعبيرات البلدية اللطيفة وهى
قطعة على كل لسان أحد الفقهاء أيضاً :

بأبى النساء اللابسات خلا خلا
الحاططات خمائساً وجـ لـ جـ لـ
الخارجات بأحمر وبأبيض
الرابطات شرائطاً وحملاً

اللابسات شباشبياً وقباقيباً
الحامسات مقاطفاً ومنساختلا
الماضفات لبسائةً وحلاوة
الآكلات مدمماً وفلافلا
الراكبات سوارساً وبضاعة
التاركات مساكناً ومنسازلا
الضاحكات لمسير ولوسر
الآخذات مبيضاً ومقاولا
الضاربات صدورهن تمنجيباً
القائلات البخت أضحى مائلا
الداخلات محاكماً ومكاتباً
العاملات مع الرجال عمائلا
هن اللواتى ما انتهرن مداعباً
أبدأ ولم يشتس قط مفسازلا
وكذاك لم يسألنه عما إذا
كان المقاول جاهلاً أو فاضلاً
مهن سائلة ومهن التى
عن كل مسألة تجيب السائل

سم نضع أمام القارئ النماذج الفذة من شعره القوي الرصين فيما أسماء «لزوم
ما لا يلزم»، مجاكياً به لزوميات «أبي العلاء المعري»، وفيما قلد به جماعة الشعراء
من القدامى والمعاصرين، وقد أوردنا بعض النماذج لذلك، كلا تحت عنوانه .

وفي مجموعات المقامات التي يزيد عددها على المائة، القسط الوافر من نماذج
الشعر الذي روع فيه «بيرم» كل البراعة، لولا أنه آثر أن يكون زجالاً



بيرم الزجال

أرغم « بيرم » كما وضح ، على أن ينظم الزجل ، بعد أن كان يكاد أن يبلغ القمة في إجادة الشعر . وقد أشرنا إلى أن الظروف التي كانت تحيط به ، ودوافع البيئة ، وحالة المجتمع العليل في عصره الذي كانت محازيه وأمراضه تثير نفسيته ، كل أولئك دفع به إلى أن يكرس حياته لعلاجها . وهو لا يتجاوب مع الجماهير في ذلك إلا باللغة التي يفهموها ، والتي تهز مشاعرهم ، أى اللغة العامية ، التي يستقيم بها النظم في الزجل

لذلك آثر أن يكون زجالاً ، أكثر منه شاعراً . ولم يكن بالمسير عليه أن يقفز طفرة إلى المجد ، فيكون في الطليعة لكل من يمارس فن الزجل .

وقد قال عن نفسه في ذلك ، وسبق أن أوردناه :

« كنت أقرأ ما كتبه الذين سبقونا في الزجل والأدب الشعبي ، فاجتمع لدى كل هذا ، مضافاً إليه استمدادى الفطرى للتمرد على البيئة القذرة التي أعيش في ظهرايتها ، وأرى عيوبها الاجتماعية والأمراض النفسية فيها ، فأخذت أنظم الزجل في بعض الأحيان ، وأنتقد بعض التصرفات ، وفي نفسى حنق شديد على المجتمع الذى يحيا في جو خانق من الاحتلال الإنجليزى ، وفي أعماق ثورة عارمة على الذين يعملون على أن يظل الجهل والفقر سائدين بيتتنا إلى أبد الآبدين ... »

ولكن « بيرم » استخلص لنفسه في فن الزجل طرازاً خاصاً ، فإن أزجاله تختلف عما اعتدناه لغيره منها ، وهى تنبض بالحياة وتشيع فيها جميعاً خفة الروح والإثارة ، وتجدد المفاجآت ، مع التصوير المتقن ، والقوافى العجيبة التي يرسلها سهلة متدفقة ، حتى لتكون العبارة مع القافية إيجازاً لا يجاريه في جمالها أحد .

يضاف إلى ذلك ما يجب أن يلاحظه القارئ ، من أن المرحوم « بيرم » يتخير لكل قطعة من زجله وزنا وإيقاعاً موسيقياً في سياقها ، يلائم موضوع القطعة ، ويتمشى مع معناها والهدف منها . وهي خاصية تميز بها هذا الفنان الشعبي دون غيره من رائدى فن الزجل . فالقطعة التي يتحدث فيها عن مرقص مثلاً يكون وزنها مع الإيقاع التعبيري راقصاً . . وهكذا .

على أن الأجواء والبيئة التي كان يعيش بين معالمها ، والتي جعلته يستخدم ألفاظاً وعبارات طريقة كل الطرافة ، تدفعنا إلى أن نشير إلى ما جاء منها في القطع التي يفرضها كأمثلة من أزجاله التي تبلغ في إحصائها الآلاف ، وتتنافس جميعها في الإجادة والبلاغة

وإليكم هذه الصور الرائعة منها . وهي لا تحتاج إلى مقدمات . وقد يدرك القارئ الفطن ما يقصده بها « بيرم » ومارمى إليه من غرض ، لأنها أشبه بالفيلم السينمائي الواضح المعالم ، الذي لا يحتاج إلى تفسير

هذا فضلاً عما يلاحظه القارئ ، ويحس به من المهارة في التصوير ، والإبداع في اختياره الأوضاع المناسبة ، واللقطات البارة التي تثير الإعجاب ، بل الضحك ، على ما فيها من مواقف مسلية ومشجية . مثل قوله :

خمسين سنة عمرها ، لكن من (المناغيل)
وراهما قنطار (شفت) شايلاه ، وهم ثقيل
وتحزق الخصر (وتقرط) على (الزنبيل)

وقوله :

قالت حماة (القفا) يسعد يا عمدة مساك
والمولى يجعل فهيمة من (عضاك) ونسك

وقوله :

حاطة السنان الذهب (والقمطة) عا القورة
وجوزها (مستهوى) مقطوع النفس (دهبان)

وقوله

عرجة وفوق ضهرها (كبير) ومكارة
ومثل اختياره لهذه المسميات من العطارة التي لا يلم بها إلا كل مندمج تمام
للاندماج في البيئة الشعبية ، وهو قوله :

قالت لى أم المرة انزل وهات لى قوام

رتم وتنفيل . وإيد مريم . وسنبل خام

وعكنة ، ومغات ، ومحب عفصلى . وخزام

ومخشبان هندی أزرق ، كل شىء رطايين

ولنستمع بعد ذلك إلى مقطوعاته

أم خليل

فى حارة القدرة دلالة اسمها أم خليل

خسين سنة عمرها ، لكن من المناغيل

وراها قنطار شفت شايلاه وهم تقيل

بالاختصار لما تمشى تفكرك بالفيل

والبرقع الى على الخشم العريض محطوط

بالصنعة والفن فوق كرسى الحدود ممطوط

ما يظهر إلا العيون متكحلة وخطوط
ويخفي داهية حنك واسع وصدغ طويل
الست دي يومي بتفوت م الصنادقية
وتحب واد خردجي جنب المناخلية
تنظر لها م الدكا كين الصنايمية
يتجننوا الكل لما تنقصع وتميل
واحد يقول للى جنبه : بص يا سيدنا
يرد دو كهات يقول يارب توعدنا
وتزور مقامهم ، وتسعدم وتسعدنا
آدى الحريم التمام . آدى اللى منه قليل
إيش قولكم الناس دي ربت للمرّة وسوا من
وخمنت نفسها ست النساء والناس
تفوت عليهم وتسمع دي المديح تحتاس
وتحزق الخصر ، وقرط على الزنبيل
إن كح واحد تقول قصده يشاغلنى
وان تف راخر تقول عايزيقى ابلى
وان بص راجل تقول مالك حاتا كلنى
أما اللى يضحك دا يبقى فى هواها قاتيل

يوم رايحة للخردجى بالقيمة والحشمة
وهيه بين المفارق ماشية فى الزحمة
أتاها شيال لا ذوق عنده ولا رحمة
غرف له غرفة من الحلة ، وقال يا رحيل
حست بدى البهدلة بصت وراها قوام
ماتلقى فى السكة غير واحد أفندى تمام
نزلت على خاقتة أربع خمس أقلام
اتلمت الخلق حمارة على مساطيل
قال الأفندى بذلة : إيه جرى ياست
والله إيدى ما جات يمك ، ولا حسست
قالت : وانا ما تعميت لسه ، ولا هلوست
يلعن أبوك ، دون ، قبيح ، طور ، ابن كاب ، رذيل
قال واد هناك عربجى ، فى السجن تقيده
يعنى الأفندى القبيح إيه اللي حايفيده
أنا اللي شايفه تمام لما تنى إيديه
وقال عمل حجته بيطلع المنديل
بقى الجسدع ، اللي متعلم ، وابن ذوات
فى وسط كبشة غجر ، أولاد بلد قفوات
لولا وقف من مكات كان كلها لما مات
لحد مراح بعيد عن دى الخناقة ميل

وان كنت تعرف ياسيد خصلة النسوان
وعا الخصوص المرة الوحشة أم خاقة دهان
تعمل ولو بالفضيحة في البلد إعلان
عن نفسها، والغرض تمهم في شاب جميل
لاجل اللي عايزاه. يغير حالا ويخطبها
ويقول خلاص ياولد دى الناس بتربها
وان حد غازها تعطى له بشبها
ومن هنا تلتقى حاجة اسمها التفيل
راحت على الخردجى قالت : أنا جاياك
آخر محبة ، عشان أعرف خلاصى معاك
إنت بايعنى ، وكارهنى ، أما أنا شارياك
والشء دا يلزم له ، وخصوصى الجواز ، تشهيل
روق لى فى المسألة بالمقل واتأمل
أحسن أنا غير كده ما أقدر بقى أحمّل
فضيحتى ما بين جيرانى واللى حايفك
بهدلتى دلوقت بين الهبل والنخاليل
إيش قولكم إن الكانون دخن عليه ياولاد
والحرمة قامت وراحت واخدة منه ميعاد
من بعد أسبوع يكون كتب الكتب عا الواد
إلهى يلفف بعبده ليلة الهلاهيل

جوز فہیمہ

لما انعدم جـوز فہیمہ السيد الجزار
جابت لها الخاطبة بالقيمة جـدع نجار
وشیخ بلد من (معینہ) واه دوار
وساعى فى البوستہ ، وتنقى بقى وتختار
قالت لها أمها یکنى بـکا ونـواح
ویا ما دقتى وقاسیتى من الـلى راح
إن كان فىہ قسمة ف رجاله خدى الفلاح
الفلاحـین قيمة وفلوسهم یابنت كتار
الخاطبة دى اللى سعت فى السعى ماخابت
والشغلة ما عـت وقت ساعتین ولا غابت
راحت تشحتف ودعـرى بالقوام جابت
شیخ البلد م اللوکاندة دى اللى جنب البار
دخل قلع بلفته ویقول یاعـوافى
وخش یخطر رجـله عا البساط حافى
حس القدم بالبساط ناعم كده دافى
قادت فى جسمه وطلت من خدوده النار
قالت حماة القفا یسمد یاعـمدة مساک
والـولى یجعل فہیمة من عضاک ونساک

ياهل ترى راح تاخذها في البلد وياك
والا ليالى الوصال تبقى هنا في السدار
قال أما أجـول لك وصلى عالنبى جبه
أخـدها إن هيه كانت بالبلد جابله
واديها مصر أما تيدى منى أنا حبله
آخذها شبه وتردع لك دموسه عشار
طلت فهيمه وقالت من ورا الدرفه
قـولى له يامه وهيه قصدها الخلفه
في الشهر ليلتين إذا بات عندنا يكفى
وإن هفنا الشوق بارحل له على الدوار
راحت فهيمه على العـزبة مياها العفش
منفوشة في الجلايه والمـلالية نفس
قعدت سبوعين وعادت تانى ليه ما اعرفش
مايعرف المسألة غـير عالم الأسرار
رجع يقول له لـرة إزاي تفشيننا
وتجـولى إن العروسة بيضة وسمينة
ولما خشيت عليها الجـاها سردينه
ولسه جال ناوية تجطع لى كان انذار
قالت حماته يا عمدة كان عشمنا فيك
البت من قبل ما تجيب الشوار وتجيك

نزل عليها العياض فاضحها لم يوريك
خست وكانت ما تعرف في السرير تندار
ولما خست كده ناديت لدادتها
استغربت والله يابى لما شاقها
وبات قطرها الليلة دي عند كوديتها
طلع لها ، لاجل سمتها ما ترجع ، زار
واندق لك يافهيمة زار ، وزار بصحيح
استعجبت له جميع الخلق دون ومليح
لكن ياخية الأمل راح في الهوا والريح
والهز ، والنفخ ، ما يجيب الدرہ إلا فشار
ياواحدة شيخ البلد شيخ البلد شاري
بيعة علف مدهنة والبيعة جزاري
ان كنتي متسبكة عا الضيقة داري
البردعة تلتقي يوم الجوازة حمار

زفة المطاهر

بشوف يوماني بعنية في السكة ساعة العصرية
موكب وفيه ميت عربية راكين عليها عيال حافين
تعدى قبة الجمالة والطبلة فوقها شفالة
والقرزان والرجالة من الفتوات الصايين

وبعد مها جمل أزعر
 قدامها شيبوب يتمخطر
 بعدين تفوت الرفاعية
 والنشالين والحرامية
 وبشوف بقى آخر الزفة
 وعربجى ومملوك خفة
 وفيه ولد جربان أعور
 وزر طربوشه أزعر
 أبو الولد شاييل الراية
 والملح شايلاه الداية
 يبقى الولد زى النساس
 تعال ساعدنى بمداى وزن
 وبعد يوم من دى الفارة
 يمجن وسخ فى الفخارة
 والخنفسة فى إيده تلعب
 القرد إب شافه يهرب
 الواد بيحجى حدى بدى
 أعمى نظر مايشوفش الضى
 جابوا المطاهر يقطع له
 وام الولد تتشخلع له
 وفوقه عبلة مرات عنتر
 وف وسطه طزينة سكاكين
 والمجذوبين والسطلية
 وبتوع أبو زعبل رخرين
 حنطور عليه كشمير لفة
 عليه زواق ورد وياسمين
 قاعد يمخط ويبربر
 وكل حاله زى الطين
 وأمه شاييلة الدقاية
 تطفى فى عيون المشيين
 وتخاف عليه من عين الناس
 أصحابنا تسعين
 تلقى المطاهر فى الحارة
 وإديه على الوحلة لازقين
 أما الدمامل شىء أعجب
 ويفتخر عا البنى آدمين
 والحاج عيسى الحلاق جى
 وكلبتينه مصدين
 وأبو المطاهر يدفع له
 والباقي بالزغاريد راقعين



يُعلمُ بِسُجُودِ المَوْضُوعَاتِ مِنَ مَشَاهِدِ البَيْتَةِ

دكان مرسى

ندرت على الطاهرة أم مرسى الداية
إن ربنا خلاه وزاده هداية
لتحط له رسمال ويصبح تاجر ،
يقتى ان كسب مهر العروسة كفاية
سمع السميع مها ومرسى آرشد
طلع جدد يطوى المدينة ويفرد
جدد صلاة الزين عليه متبدد
يسد باب حارة ويملا عباية
فتحت له دكان فيه بن وسكر
يعجن ، ويخبز ، فى التجارة ويخمر
مادام لا يستعطى الحشيش ولا يسكر
يفلح ، ويبنى لها الخرابة سراية
فعد سى مرسى والكوفية تزينة
عليه طاقة كاسية نص جينيه
وتلت سبحة كهрман فى يمينيه
والورد عا المكتب وفى الكباية
والأمهات وانت عليهم ترسى
فى الصبح نينتسه لما يرجع مرسى.

ترقيه ثلاث مرات باية الكرسي
ويفوت سبع خطوات على الدفاية
وتقول يا قادر يا كريم تهديه لى
إنت اللى آخر قطعتى مديه لى
بقدرتك من ريحة أبوه خليه لى
لحد ما ياخذ بإيده عزايا
جوه اليهود من كل صدغ وكالغ
مللى فى تصريف البضائع فالغ
اليوم تعاملهم وتصبح شالغ
ما يكسبوا المسلم ولا قشاية
مضوه على بيعة ورق عسراوى
وبيعة تانية شمع كله بلاوى
وكونتراتو زيت وابور كفراوى
والكمبالة اتحررت فى غاية
صاحبنا ياخذ من عميله ما يكتب
ويعطى للشارى البضاعة ما يحسب
يجرد كده بالعين ، والعين تكذب
تشوفها طيارة تقول حداية
قالت له يوم أمه يامرسى قالوا لى
جماعة من درب المقشات جولى

إنك عارف لك واحدة في المدبولي
دافع لها اتناشر جنيه في ملاية
إن كنت قصـدك في الجواز يا حبيبي
من بكرة أعمل للفرح ترتيبي
والشرط ما ادفع مهرها من جيبى
انت اللى تدفع مهرها يا ضناية
قال مرسى أنا مليوخ في شغلى وانتي
من بعد وعـدك بالجواز صهينتى
أما اللى قال لك عالمـة لاية يا نينتى
كذاب ، وقصده ، تقصديها معايا
خطبت له بنت سيد احمد السرجانى
واتوضبت لـاية الفرح سلطانى
جمعت ما بين المصرى والطليبانى
واتفرقت فيها تحف وهدايا
بعد الفرح خلوا المعيشة ذواتى
أحسن فواكه ، والجيلاته يومانى
والكستليته والفراخ دى لـياتى
وياما نعم ربنا بطايا

الكبيالات استحق ميعادهما
من قبل ما يروح م العزومة رمادهما
جاله صاحبها يسترجى سدادهما
سعر الدراهم ما هو سد قنـاية

أبو المراسى قال له : مالك خايف
وانت اللي جيتنا في فرحنا وشايف
مع المدامة بتاعتك المايلايف
قاعدين كده بين الفانوس والراية

اتكلفت لياة الفرح دي دواهي
فوق عن ميتيب أهيف كده والله
أما البضاعة فاضلة عندي كما هي
مش عايزة تتفتح ولو بمصاية
والحسبة فارغة ما تأسيش على مالك
وقت الفرج من عيني أَدفعها لك
أرجوك ومن فضلك ، تطول بالك
ولأجلى أنا تقبل يا مسيو رجاييا
قام قال صاحبنا للجـدع بإسارة
الشغل دا مش شغل ناس في تجارة

ده شغل يا أستاذ عيال في الحارة

إدفع قوام ولا فيش لزوم لقضايا

قال مرسي : حيث إنك كده بتترافع

واللطف وياك والأدب مش نافع

روح إمشى والله العظيم ما انا دافع

مليم من المبلغ سوى برضايا

المسيو برطع ، والشتيمة سمعها

عا الكوتوار بالكبيالة قطعها

جاله المحصل في الصباح يدفعها

والمرغ في عرف البنوكة جناية

مرسي اللي طالع في التجارة بالوصته

بين التجارة والتجار وياحوسته

ساعة مايدخل محضر البورتستو

في البيت ، ويحجز حتى عا المقلاية

جو المحضرين عا البيت ، وأمه الشايبة

عارفة المصيبة من زمان والنايبة

كانت مرارة مرسي العروسة غايبة

في النحاسين ، بتصلح الدلاية

قالت يامرسي تنضرب في لسانك

وتنفضح قادر ماين إخوانك

ضيمت يامنيل قوام دكانك
وياما فاضل له غلب ورايا

بيت رضوان
سكنت بيت جوه حارة، اسمه بيت رضوان
فيه كل ما تشهيه ، الفشة والمصران
من الصباح للغروب، أهجم على الدبان
ومن الغروب للصباح، أجرى ورا الفيران
في أول الشهر صاحب الملك وصانى
على الملاق ، وحفظنى وقرانى
قال أوعى حارب تعيد الحظ من تانى
لأن يوم طب فيه واحد وكان سكران
رضيت، ومن يرضى حتى بالعذاب يرتاح
وفضلت وحدى، ماليش صاحب غير المفتاح
بعيد عن الشر ، جاني أول استفتاح
تهمة غرام ، وادعتها أوحش الجيران
جارة عجوزة ، ولكن عايقة غندورة
حاطة السنان الذهب ، والقمطة عا القورة
أولادها جدعان ثمانية ، والبنات طورة
وجوزها مستهوى، مقطوع النفس دهبان

الست بتحب سرأ ، واد مجاور شيخ
يومى على الله تدخل له بصحن طبيخ
راخر يجيب الهدية ، م الأجازة فسيخ
لا القرع يظهر ، ولا قشر الفسيخة بيان

أما العذول اللي شايف دى الفرام جارة
عرجة ، وفوق شعرها كيبور ، ومكارة
خلت فضيحة الولية شايعة فى الحارة
وناوية تصبح تبلغ جوزها فى الدكار

سمعت رفيقة المجاور دى الخبير فى الليل
وجوزها داخلى ليلة جمعة ، وعنده ميل
شهقت ومالت ودبت صدرها بالحيل
قال جوزها مالك ماهى الدنيا بخير وطمان

قالت : جابوا لنا جدع عازب ، وحطوه فوق
جدع ، يابو فرغلى ، بارد ، ما عندوش ذوق
تبعى نوبة من القلعة لسباب اللوق
هارما حبيت ازور البنت فى حلوان
واليلة خلانى قاعدة بالقميص المور
وهو على البسطة فى الضلعة وانا فى النور

دعس عليه ، لا ياسار ولا دستور
ما لحتش اتغطي ، والبارد ضحك لي كان.
إهيء مهىء . . ينضرب ، قادر ، مايوعى يبات
إهيء وينشك في قلبه ، ولم يتغات
وينضرب زى ما خلاني قاعده وفات
وشافى من فوق لتحت ، الصايح الندمان
سمع صاحبنا الحكاية تنته طالع
على السلام ، وعينه فصها والع
خبط ، فتحت ألقى ده راجل كبير قالع
وماشى حافى ، وفي إيده عصا خزران.
أول ما شاف وشى قال : بلمن أبوك خنزير
وأبو اللى جابك هنا ، عبد الله افندى بكير
وأبو اللى يبجى يحامى لك ، كبير وصغير
بارد ، قليل الحيا ، دمك صحيح هربان.
عشرين سنة ، ما ابن آدم شاف حرىمى يوم
ويتى جامع ، ما فيه غير الصلاة والصوم
حتى البنات والعيال عايمين على دى العموم
وازاى ما تدخل في بيتى والحريم عريان

اطلع لي بسي كده ، بره وانا اوريك
واجيب لك ابني الكبير عبد اللطيف يعميك

وابني كامل افندي ، في البوليس يا ذيك
تفيت ، وقال استعوذ بالله من الشيطان

على ايه ياعم البوليس والخوثة والمهرجة
أحلف يمين إني في الدخلة وفي المخرجة
ماشفت في البيت دا عمري غير مرة عرجة
وواد مجاور ، نجبة أصلها قفطان

ردت ، وقالت منك يا جـدع لله
إنزل ، يا بو فرغلي ، دا شغل انا عرفاه
إن شاء الله من جاب في سيرتي ينضرب في حشاه
وتخوض في دمه اليهود ، والمسلم السكران

نزل ، وقال : حا بقى اشوف شغلي أنا بعدين
واجمص جميص يتسم لك ، والا يضرب عين
عن إذني حطى صوابك في عينيه الاتنين
باقول على علو حسي ، قدام الجـيران

سبح الخالق

سبح الخالق الى زينها
بالجمال دينا سايبه نسوانها

الى قاعدالى	شوف لى من فضلك
صدرها العالى	شابكة بالوردة
انصبغ مودة	وام شعر اصفر
والعيوب سودة	لاجل يهوسنا
ربع برنيطة	واللى لاسالها
عمدة وشنيطة	ثم رابطاها
خصرها الداھية	طب وشوف رخرة
والكفل موهية	سر متخفى
عالية مشنوطه	شوف جا كتبهيا
ورخرة مسخوطة	قول ما هي الدنيا
وصلتين رقة	واللى فستانها
والعبيط شقة	للفطين شقة
باينة منفوزة	واللى سرتها
تفرز الموزة	لو تيجى تقيسها
يا ابراهيم يابنى	والتفت حبة
ضهرها المبني	للى عاطيانا
تترى رجالها	تنقص قصعة
ساهية وف حالها	قال وعاملانا

الى عا اللحم لابسه تنورة
ماشية قاطريها خلق بالطورة
قول لى مش عيب دا نفتح الباب ده
والعيال قاعدة

الحاج جابر

الحاج جابر على عيسى اللى كان حطاب
فى الحرب ورد لجيش الاحتلال أخشاب
فى ظرف شهرين صبح يملك ثلاث أعتاب
وفرن ، واصطبل جنبه ، سبحان الوهاب

للحاج جابر دا حرمه اسمها مباركة
وبنت من واحدة تانية من سنين داركة
وكل عقدة لها عند الكريم فكة
البت فى جمعة جولها أربعة خطاب

واحد جدع سنكرى افرنجى ، وله دكان
والثانى أوسطى ، كوالنجى ، وله صبيان
والثالث ابن اسماعين راشد ، من الأعيان
والرابع الساعى اللى كان جاب له نوبة جواب

الحاج جابر ملا نحه من ابن البيه
ودار يلف البلد يسأل صحابه عليه

قام قال له عقله حاتتحير ياواد على إيه
الفاتحة في شرع مالك تبقى كتب كتاب
قروها عند العريس ، أحسن من الخبلة
وخلوا كتب الكتاب في ليلة الدخلة
ويومها يبجي الشوار بالزمر والطبلة
وياما للحاج جابر في البلد أصحاب
بيت العروسة في غمرة والعريس في بولاق
مسافة ، وان قصرت ، تطول على المشاق
وأما يوم الفرح كان يوم شكل وخناق
طلع لرب البرية ، وانظر الأسباب
أم العريس أصلها همام ولاكية
وابوه فقير إنما عنده البهاوية
والحاج جابر عمل لك شغلة شاذلية
جاب للوبيليات بوره له فنيارين ودولاب
وشيل الصبي الأولاد حنته الأجلاف
والكارو فوقها الحدة جنب مها لحاف
ناقص عليها القليل تصبح تمام اسعاف
وأمه جنب النحاس قاعدة له بالقباق

وصل لبيت العريس موكب عليه الفين
ياقوا على راس حارتهم أمسة السائلين
جايياهم أم العروسة من بين الصورين
حالفين على البيت مايحش الشوار الباب
أم العروسة تقول يا كلب يا عكروت
! كتب كتاب بنتي من غير شوري بعد ماموت
أديني دلوقت جيستك بس قرب فوت
لاعمل لأقل الكلاب عندك مقام وحساب

قالت مرأة اسماعيل راشد: ياربي أمان
ناس فلاحين! عفش، بطل كان، دوشمان
خرسيس، أدب سيس، يزم، لعنف اطور، يوقمان
هرشوق، فنايوق، خهاايكي، طوزاوغلي كلاب

قالت نبيهة يا حرمة بترطني على مين
بتحسينا بهـايم والاش فاهمين
كل البنات في البلد عند اهلهم قاعدين
حسرة عليه أنا اللي بخت بنتي خاب
محمد لك الحاج جابر بالعصاية وهات
على نافوخ المرة واهبد ثلاث هبدات

قال بعض أهل العريس : يا خلق ! يا فتوات !

مفيشى مسلم يخلصهم ينوبه ثواب

طلع لهم واد فتوة ، لكن ابن حلال

جايب معاه كام جدع من عصبته وعيال

واتلمت العربية كلهم فى الحال

ودخلوا العفش بالقوة مع الأعراب

جابوا العروسة ، وراحت أمها الكركون

وشيعوا بهضم يبيحت عن المأدون

اللى أخذ فى النهار مهم ريال عربون

وجاره بيقول عليه راجل فقى نصاب

جابوا الكتب الكتاب الشيخ عمر دغموش

والمسألة لسه فيها شغل حلق حوش

قالوا العوالم حاييجوا من ٨ ماجوش

والساعة دقت ١١ والموالدى غاب

الحاج جابر بعت مبروكة للعالة

تشوفها فين ، والمعازيم ملمومين لمسة

دارت تدعيس على مسكنها فى الضلة

لقيمها ساكنة فى عطفة جنب درب طياب

قطرها عمدة ، دخل في مصر ، بايعها

فضل وراهها كده بالخطوة تابها

شافه بوليس سرى ماشى يحسبه معها

قبض عليها بوليس الحفظ والآداب

شوف ليلة الحاج جابر كلها أحزان

الغم من كل ناحية ، والفلت ألوان

لأنه حطاب وكاره يشبه القران

يكسب ويربح ، ولكن تنخم بهباب

تاجر دقيق

تاجر دقيق أنعم المولى عليه وعطاه

ودخله في الطريق الأحمدي ، وهده

وخش في الدنيا ، واتجور في عز صباه

وبعد شوف البكارى ، حج بيت الله

التاجر اسمه حسن من يوم ماأهله جابوه

لافي مصيبة ، ولا في مدرسة ، ودوه

لكن فقط عالماشورة والطبيخ ربوه

طلع تقول بكر شامى جل من أنشاه

وكان خليفة الطريق عامل صاحبنا وكيل

موكله عارايات الخضر والقسمناديل

راح الخليفة من الدنيا ، وقال يارحيل
وسله كل شيء من بعد ما وصاه

فانت مرأة الخليفة نوبة عا المكتب
شافت دا قاعد بشيخته يحسب المكس
ونوبة مطرح راجلها ماشى فى الموكب
بين الشموع والرايات ، زى القمر فى سماه

حبت نظيرة ، وقامت فى الغرام شدة
وتسهر الليل ، لا مسند ولا مخدة

ما صدقت لما فانت مدة العدة
إلا أما بانيت على أم العيال واخداه
حسن ، نحسب الشريعة ، قسم الكيلة

صبح يبات عند دى ليلة ودى ليلة
يخلص من الشيلة يمشى يلتقى شيلة
والعز ما يحرمك من نعمته قسواه

جات يوم لسيدنا مرة ، لكن مرة خفة
من تحت برقعها بان السن والشفة
نادرة تظاهر محمد ابنها بزفة
قدامها تمشى الدلايل ، والخليفة وراه

قالت له يادلعدي عايزاك تمشي له

موكب من الناحيتين تولع مشاعيله

وعايزاك انت اللي تمشي جنبه وتشيله

دا ابني اليتيم اللي انا من ربنا شاحته

قال للمرة إنتي اختي والولد إبنِي

وحياتك انتي ان ما كانت زفة تعجبنى

أعملها من عندي نقطة ، شيء ما يخربني

ما بقاش حسن، غير ما اجيب لك كل شيء عايزاه

قالت ما يلزمتنا غير رؤياك وسلامتك

وأكون أنا رخرة محسوبتك وخدماتك

ولك حلاوتك كوفية تستاهل فامتتك

وفوقها منديل حرير ، بيدي أنا شاغلاه

زف المطاهر ، وجاب نقطة فوشيك وشموع

واستنى لما المطاهر فات عليه أسبوع

اتجوز أم المطاهر رخرة ، والموضوع

كل يحمل الثلاثة ، والثلاثة معاه

كانت مراته القديمة خلفت ولدين

وجات مرأة الخليفة خلفت بنتين

وام المظاهر كان واحد بقوالها اتنين
والتسعة زى العلق متعاقين في قفاه.

والعزده لما كان حال الدقيق ماشي
والناس تفتش على اللقمة ماتلقاشي
اتغير الوقت والدنيا ما مها شي
تبدل البدر ، وتضعع زحل في علاه

وابو على كان ضاربها ستميت جزمة
ولما شاف الكريزة ، والبلد أزمة

صنى التجارة ، وحضر بنكنوت رزمة
وحصل اللي في (وش البركة) تستناه
عايقة ، وفتحها منزل فيه سبع شبات

فيهم مرة حازها صاحبه ، اسمها نعمات
أخذ حسن يوم معاه حلفت عايه لبيات
من غير فلوس ، افكر إن المرة حاباه.

والصبح شالت معاه الشنطة والخاتم
والعايقة لما بدت كان سي حسن خاتم
شال الفلوس عندها في الليل وراح خاتم
صبحت فلوس سيدنا ميرى ، واثرة طارده

قعد في خان الخليلي ، لما اتفلس حاله
ما عنده غير التلات نسوان رسماله
يا نخت من كانت النسوان ساعيا له
مطرح ما يخرج فلان يدخل يلاقى عشاه
وقول يا نختك بنسوانك يا حاج حسن
الناس لياليها سودة ، وانت ما تحزن
تلات حلق قوم وضع في الطبخ وانحن
غيرك له حلة مفيش غيرها طيخها عماه

لو كاندة الحاج سالم

نزلت في مصر مستخفي ، فقير وأديب
دخلت لو كاندة مفتوحة لكل غريب
تعلق الحاج سالم نعمة الله حبيب
راجل معلم ، مكل ، تربية كتايب

قال المعلم ياواد ! شوف الزبون دا أمير
أعطى له في نمرة خمسة في البريمو سرير
وخذ له وياك كانت القلة والبشكير
واعطى له أكبرها ما عندك من المراكيب

الساعة دقت ٣ بعد نص الليل
والفلاحين بالزعيق شالوا اللوكاندة شيل

الخدامين يرحموا عا السطح زى الخيل

طالعين يلحوا الفوط فى الفجر بالقبايب

أما المصيبة اللى خلتنى قوام سنحت

صاحب اللوكاندة مشغل فى اللوكاندة تحت

ولاجل ما تم أفراخنا وحسن البخت

باب اللوكاندة من الباب الحسينى قريب

شارع عمومى ، عمار ، فيه تلتيمت بياع

وفيه قهاوى ، ملانة للصباح صياع

لمم وحايده ، ونكته ، تجلب الأوجاع

غير القرف والصداع من دوشة المجازيب

واحد يقول يا عنب لما انت فيومى

والتانى يقول ياناس التين دا برشومى

ودوكها يصرخ يقول سرك يا بيومى

يا قطب يا غوث ، واللى يندهك ما يخيب

أما السرير عمرة خمسة كان عداك مبلول

وكل قملة تزيد على ظبان الفول

والبق ده كل بقه زى عيب الفول

تسمع لها من بعيد فوق الملاية ديب

طلع علينا النهار واحنا في قلب دماغ

سألت كام البياتة قالى عشرين صاغ

وان كنت بايت هنا تانى تحط بلاغ

قلت البياتة دى عدت ، واللقا دا نصيب

هوليوود

هوليوود خربت عقل الناس أشكال واجناس

لا ذوق بقالم ولا إحساس ولا دين ولا طيب

كل المعابد خربانة أى ديانة

وانتى صلاتك عمارة يومى بتلاين

الدين بقى حب وأشواق وغزل وعناق

واهو انتهى بزواج وطلاق من غير مآذين

مستخدمة جن سليمان طالمة بأوار

سجد لخرقها الشيطان شيخ الشياطين

جريت جاربو. بقت يابنات والا ياستات

فوق القياصرة والبيوات وفوق السلاطين

أول ما تظهر تسريحانة وحركة قبيحة

تمشى بها الست سميحة فى ذراع سى أمين

وبنت مدبولى الجزار بمايوه على البار

عشار تقلد هيدى. لامار
تشرّب طرازين
هوليوود ، وأنا هنا فى بلادى
بالسينما دى
خربت بيتى وأولادى
طلعم صاييم
ومنين أجيب من غير لازمة
تلاتين جزمة
فى الشهر لراى وحزومة
من دى الفساتين؟

ملاً « بيرم » سمع الدنيا ، وتجاوز بآثاره وفنه بلاد
الشرق العربى إلى أوروبا وأمريكا وروسيا ، وأصبح « بيرم »
هناك فى معاهد الأدب الرفيع والثقافة الأصيلة علماء وإماماً ،
جديراً بأن يدرس ، ويقبى بمواهبه وملكاته ، لأنه
يصور جيلاً زاهراً من أجيال الفكر فى بلاده ، ويعتبر
عندهم مرحلة من مراحل التطور الذهبى ، والنفسى ، التى
خلقت قيماً أدبية لم يكن لها وجود فوق الأرض
العربية ، التى تمتد من المحيط إلى الخليج

أحمد عبد المجيد الفزالي

بيرم النثر

لم يندفع « بيرم » في ميدان النثر إلا بمقدار ما ألزمته الحاجة إلى أن يصوغ بعض عباراته منشورة إلى جانب مقطوعات النظم ، وإن كان قد عمد ، أحياناً ، إلى كتابة قطع بذاتها من النثر وحده

وله مع ذلك براعة في هذا الميدان تسجلها قصصه ورواياته الكثيرة ، التي أظهر بها كفاءة نادرة ، لا تقل جودة عن إنتاج قادة الأدب في النثر ، ونشير إلى نوع منها في هذا الكتاب تحت عنوان « بيرم القصصى »

وهذا نموذج من نثر « بيرم » في إحدى مقالاته التي كان عنوانها « المقفوشات » ، وهو عن قراء الصحف :

« للصحف المصرية قراء لا بآرك الله فيهم ، ولا أكثر من أمثالهم ، ولا نفعهم ولا نفع بهم هؤلاء المتحدلقون حريفة الطاولة والبوكر ، راقصو التانجو والفوكستورت ، الذوات المتفلسفون ، أصحاب الرؤوس الكبيرة ، والذكاء المطبوع ، المتربعون في المراكز السياسية ، أو المرشحون للوظائف العالية ، الذين أبطرتهم الكفاية ، وأعتبهم الثقة بمستقبلهم وحاضرهم

« إن الكتاب بين كاتب يسهر الليل في مراجعة المجلات والسجلات ، ليكتب مقالا في التاريخ ، أو ليزر لأهل عصره شخصية كبيرة تنفعهم معرفتها ، وكاتب يطوف يومه على الدواوين ، ويجوس خلال المجالس ويتجشم مقابلة أولى الأمر ، ليكتب مقالة في الأحوال السياسية . يثير الأذهان الجاهلية ، ويعرفهم محقات الأمور . وكاتب له مواهب يبيت يغالبها وتغالبه ، ليزرها للناس قطعة من الفن الجميل لمن شاء أن يتسلى أو يتعظ ، أو يتذكر . . . وكل هؤلاء ينشرون ما يكتبونه في الصحيفة . وتقع الصحيفة المنكودة في يد أحد القراء سالفى الذكر ،

فيقرأها ، من أى جانب يتفق ، كما يأتى ، رافعاً صوته .. ذكرنا أمس افتتاح معرض الزهور . اليوم نأتى على وصف هذا المعرض .. ومش عارف إيه ، وكلام فارغ بلا معرض بلا هجص . غيره .. لم يبق أمل بعد اليوم فى نجاح مؤتمر نزع السلاح بعدما حدث من جراء رفض الاقتراح الذى يقضى إلخ . بلاش وجع دماغ .. غيره .. أصبحت مدينة سر من رأى بعد أن جعلها المتوكل قاعدة ملكه مسكناً للأشراف من العباسيين ، وكان الجاحظ يتردد على هو إيه اللى جاحظ ومتوكل . الجرائد باين فلست مش لاقية كلام إيه التحريف الفارغ ده . غيره .. بعد أن تبين وجه الأهمية والمنفعة لسد دمياط . اجتمعت بوزارة الأشغال لجنة مؤلفة من حضرات .. طيب واحنا مالنا ومال سد دمياط . وهكذا .. ثم يأتى الصحيفة بجانبه . فيسألناه جاره .. ماذا فى الأهرام ، أوفى الأخبار ، أوفى المقطم ؟ فيقول بايخ . ما فيهش حاجة أبداً .. والصحيفة إذن حشرت هذا القارى . الذى لحظها بمؤخرة عينه ، وه يستوعب ما فيها ، وحشرت بجانبه عدداً من القراء .. فهؤلاء الألمعيون الذين لا يدركون آخر الأمور من أوائلها ، ويكتفون بقراءة سطر أو سطرين من كل مقالة ، أستطيع أنا أن أذكر واحداً منهم باسمه ، وكل أوصافه ، ثم أكتب مقالة طويلة وأذيلها بلعن أيه ، وقذف عرضه ، وتلم شرفه . وأنسب إليه كل ما يعرف من المثالب والحازى ، وأنا على ثقة بأنها ستمر تحت أنفه ولا يلتفت إليها ، ولا يشعر بها ..

وهذا نموذج آخر ، من موضوعات المقامات :

حدثنا الفالح بن فجلان . قال :

قسم الحظ للعمه ، وطابت السفارة أمة . فاخترأوا من المشايخ عشرة أنفار ، وأوقفهم للانتخاب والاختيار . لأنه لا يجوز الذهاب إلى أوروبا ، إلا لمن تهذب وتربى ، وكان حسن الهيئة ، شريف البيثة فجمعوا يفحصون الأجسام ،

ويتأملون الشكل والقوام. ويختبرون الكفاءات ، ويسألون عن الآباء والأمهات.
فكانت النتيجة كما يأتي :

الشيخ الدسوقي الدسوقي

جسمه ضامر كعز هزيل وعليه عمامة منفوخة

والشيخ راضي رضوان :

فيلسوف أرخى على الصدر منه لحية ذياها كذيل الفسيخة

والشيخ لطفى عبدربه :

أحذب الظهر زره مستقيم فهو عود وزره زمبوخة

..

وأخيراً قال

فاسقطوا هؤلاء الخفر ، واختاروني للسفر . لما رأوه من علم غزير ، وأدب
كبير ، وملابس حرير . فقطعوا لي التذكرة ، في أول باخرة . وخرج المشايخ
لوداعي ، وهم يودون هدمي واقتلاعي . . . قل وصلنا إلى مقر الوظيفة ، في
السفارة المنيفة . فاستقبلني السفير في الصالون ، وأجلسني أمامه على الشازلون .
وقال : إعلم أننا لم نستحضرك للسجود والركوع ، ولكن ليتم بك الموضوع
فالسفارة جعلت للأبهة والفخار لا للنفع والتجارة . ويلزمها خير الموظفين ،
وخير رجال الدين ، وخير النوبيين . ولا يلزم من العمل غير الذهاب والإياب ،
والوقوف على الباب . حتى إذا قيل لمن هذا القصر ، قيل هذا سفارة مصر . .
فهمت ؟ ! . . قم الآن ، مع السكرتير فلان ، ليفتش لك عن مسكن ، ويساعدك
بكل ما أمكن . فذهبت مع السكرتير ، واشترينا الملابس الفرنسية من جاكته
وبنطلون ، وفانيليا وكالسون . وقمص وقبعة ، ومناديل أربعة . . . الخ .

وهذا نموذج ثالث :

سورة أربعين سعد زغلول

س ، والدستور العظيم ، ذكر ما أنزل على مصطفى وفريد ، وما أوحى إلى
الزعماء من لدن عزيز عليم ، قالوا ربنا هب لنا قوة ، وامدنا بجرائد وأحزاب
وجنبنا القوم الرجعيين . إذ خطب مصطفى قومه وكانوا غافلين ، ألا يجعوا في الوطن
شركاء آخرين ، يسعون قطنكم ، ويعلمون أبناءكم إن هذا هو الحسف الكبير .
ثم اصطفاه ربه كما اصطفى عيسى بن مريم عن ثلاث وثلاثين . أما فريد فكان
من أولى العزم ، إذ ابتلاه ربه ببرلين . قال : رب إني بلى الثوب مني ، ولا أجد
الخيطة الأبيض ، ولا الخيط الأسود ، وأنت على ذلك شهيد . وكان شلة من أهل
فرعون يعشون في الديار ، ويقامرون ويرقصون مع الراقصين . فما سندوه ، وما
نصروه ، ومات من الجوع وهو زعيم . وكم من زعماء ماتوا وهم يشحدون ألا
إن آل فرعون قوم منحطون . ما كان سعد وفديا ولا دستوريا ، ولكن مصريا
كالمصريين . فمن اتبع هداه جماناه خليفة في الأرض ، وإنا له لمصوتون . فإن
تولوا فالذي توفي سعداً يأتي بأربعين ، وما ذلك عليه بعزير . يا قوم اذكروا مصر
التي أنبتكم ، وفيها رزقكم ومتاعكم ، وفيها تدفنون .

لقد تعلمت من « بيرم » أن هناك أدباً عظيماً ، له تاريخه ،
وله حياته المتدفقة المستمرة ، إلى جانب أدبنا الذي يكتب باللغة
الفصحى .

الدكتور عبد الحميد يونس

بيرم الصحفي

بعد أن عرفته الحياة تاجراً ، حين ساعد أباه في محله التجاري بالإسكندرية ، ثم حين افتتح لنفسه محلاً للبقالة بها ، عرفته صحفياً ، فقد أغلق محله ، وأصدر صحيفة أسبوعية ينشر فيها نظمه وانشاده .

وكان ذلك في عام ١٩١٩

كانت محلته الأولى التي سماها « المسلة » ، مقتبساً لها هذا الاسم من مسلة الإسكندرية الأثرية ، فضلاً عما يحمل هذا الاسم من إشارة إلى الوخز والظعن . وحل عددها الأول تاريخ ٤ مايو ١٩١٩ بالإسكندرية ، وكتب على غلافها عبارة : « بقلم محمود بيرم التونسي ، صاحب قصيدة المجلس البلدى » ، ووضع على هذا الغلاف صورته ، وتحتها عبارة : « عرضت على مراقبة المطبوعات » .

وكان لهذه العبارة سببها ، حيث لاقى عناء في إصدار المجلة ، لأن رقابة المطبوعات رفضت التصريح له بها ، فأخرجها في حجم الكتاب ، وكتب بدل العدد الأول « الجزء الأول » ثم ذيل الغلاف بهذه العبارة .

ثم انتقل بهذه المجلة إلى القاهرة بعد أن أصدر منها بالإسكندرية عددها الثانى .

واتخذ لها في القاهرة مكاناً بجوار جامع العظام بالقرب من شارع عبدالعزیز . ثم كان أن نشر في عددها السادس زجلاً اللاذع ضد الجالس على العرش ، السلطان « أحمد فؤاد » ، وهو الرجل الذى أثار غضب السلطان . ثم نشر في العدد الثالث عشر زجلاً آخر يظن فيه في مولد « فاروق » ولى عهد ذلك السلطان ،



« يوم » في طريقه إلى المنفى ، على ظهر الباخرة التي أقلته إلى تونس ، وهو بين أفراد من شعوب مختلفة

قبل استكمال مدة المحل — وقد أشرنا إلى هذين الرجلين تحت عنوان (بيرم وأسرة محمد علي) من هذا الكتاب .

وهنا صدر أمر سلطاني بإغلاق هذه المجلة . ودارت الإجراءات لنفي صاحبها من البلاد . ولكن « بيرم » كانت تحميه الامتيازات الأجنبية من حيث كان ما يزال معتبراً بالنسبة لأهله تونسياً، وكانت تونس تحت الحماية الفرنسية . وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

وأخرج « بيرم » مجلة أخرى باسم « الخازوق » لم يظهر منها غير عددين . ثم أغلقت هي الأخرى ، بسبب كلمة فيها تلميح لمحافظة القاهرة ، الذي كانت له قصة غرام بابنة السلطان ، وهي التي نشر عنها زجله في العدد السادس من مجلة المسلة . وكان القصد من هذا التلميح واضحاً في التجريح لشرف الحاكم . ففاض الكيل بالسلطان ، وانتهى الأمر أخيراً بنفي بيرم من البلاد .

وانقطعت بذلك صلة « بيرم » بالصحافة كحرفر وصاحب جريدة ، من أغسطس عام ١٩٢٠ حتى نهاية أكتوبر ١٩٢٢ ، حيث عاد من منفاه بتونس خلصة كما سبق أن أوضحنا

فإذ عاد من النفي لجأ إلى صديقه المرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » ، وكان يصدر في ذلك الوقت صحيفة الشباب الأسبوعية ، وكانت بحجم المجلات ، فاشترك معه في تحريرها ، وغير نظامها وشكلها ، وظهرت في ثوبها الجديد أسبوعية كما كانت ، ولكن بحجم الجريدة .

وكتب على صفحتها الأولى ، تحت عنوان المراسلات :

ممنوع كتابة كلام فارغ ولعب عيال

ليزعل اللي كتب والبوستة والجرنال

جريدة فيها المدير يوزمها بانثقال
ولا ترد الرسائل لو تكون أزجال
وكتب تحت عنوان الاشتراكات :

الاشتراك عن سنة واحدة جنيه في الإيد
وللتلامذة مافيش تكليف بين الأجاويد
وخارج القطر أهملناه لكونه بعيد

زيادة مصر السعيدة وبورسعيد ورشيد
وكان في الواقع يخرجها كلها وحده ، وإن كانت تحمل اسم صاحبها
عبد العزيز الصدر

ولعل المدة التي عاشها بين فترتي نفيه في تحرير مجلة ، أو جريدة ، الشباب ،
هي أنشط عهود ابتكاره الصحفي ، ففيها أخرج ما عرف له من « المقامات » ،
التي كتبها تخليط من اللغة الفصحى واللغة العامية ، ونظم فيها الشعر العربي السليم
مطعماً بالشعر البلدي ، الذي ينطق بأبلغ آيات الأدب الشعبي

كما ابتكر في الجريدة أنواع الإعلان بالزجل ، ومقطوعات السخرية
والتهكم بعنوان « صناعاتنا الوطنية » ، ومداعباته للشعراء والأدباء ، وجزءاً كبيراً
من أزجاله البارعة .

ونفى « بيرم » نفيه الثاني ، وهو آخذ في تحرير هذه الجريدة . فلما كان
في فرنسا أخذ مراسل الصحف المصرية ، كما سبق أن أشرنا تحت عناوين سابقة .
وظهرت أشعاره وأزجاله ، ومقطوعاته من المقامات ، وقصصه ، وتهكماته ، في صحف:
الأمم ، والكشكول ، والنيل ، والفنون ، وأبوللو ، والمطرقة ، والصبح . وذلك
بعد أن لازم نشر أغلب كتاباته في صحيفة الشباب قبل احتجاجها .

ثم اشترك في تونس في تحرير جريدة اسمها « الزمان » .
ثم أصدر هناك أيضاً باسمه جريدة سماها « الشباب » ، إحياء لذكرى
صحيفة الشباب التي كان يحررها في مصر .

وكان ينشر في جريدة الشباب التونسية أشعاره ، وأزجاله ، ونقده الأدبي ،
بالعربية ، إلى جانب أزجال كان يصوغها باللهجة المغربية .

ومن بعض هذه الأزجال المغربية مانح فيه إلى التقلبات السياسية ، التي
تعرضت لها تونس بين الفاشية والبلشفية : وتشعر بعبقريته الفذة في صياغة العبارة
بلغة تلك البلاد :

راني النادى وماشى خايف الغول واقف وانت شايف
ربك صاحب اللطف الطايف نخرسنا من الشياطين

راني النادى وماشى خايف ربي يعزيم قاي صافي
ربك صاحب اللطف الخايف نخرسنا من الشياطين

الدينيا شطرين مقسومة كوفزما وحالة مشنومة
والفاشيزم وش البسومة واحنا بينات الاتنين

واحنا معاهم يا عليهم كيف الأرنب بين رجلهم
يفنوننا ربي يهديهم واحنا قلالة ومساكين

وإذا ألحنا إلى حياة « بيرم » الصحفية التي عاشها في مزاولة التحرير بنفسه ،
أو المشاركة في إصدار صحيفة ، أو المعاونة بالتراسل ، مجد لبيرم في كل ذلك
نشاطاً يثير الإعجاب والتقدير . فقد كان يمثل بحق حيوية الصحفي ، من حيث
نشاطه الدائم ، وإنتاجه الدافق .



مكتب « بيرم » في دار المؤيد ، شارع القلعة (محمد علي) .

ويجدر هنا أن نشير إلى ما كان عليه العصر الذي مارس فيه « بيرم » مهنة الصحافة .

فقد كانت الصحافة في ذلك العصر مهنة شاقة ، وكان الصحفي اللبق هو الذي يمكن أن تعيش صحيفته و يقبل عليها الجمهور ، وإذ أجاد بيرم ذلك النوع الجميل اللطيف من الأدب الشعبي ، في وقته ، فقد كان من الصحفيين الناجحين في اجتذاب القراء .

ولكن الكسب عن طريق الصحافة ، في ذلك الوقت ، كان ضئيلاً . فلم يكن الصحفي يضمن الكسب الكثير بسبب القلة من القراء ، لركود سوق الثقافة العامة ، وضآلة عدد المقربين على قراءة الصحف .

ومع ذلك فقد لاقت جريدة الشباب على يد محررها « بيرم » بين أواخر عام ١٩٢٢ ومهابة عام ١٩٢٤ ، وهي الفترة التي عاشها في مصر بين النفين ، رواجاً عظيماً ، وكان ثمنها . نصف قرش أسبوعياً
ويمكننا أن نقارن ضآلة مكسب الأدباء في ذلك العهد بالكتاب الذي طبع لبيرم باسم « السيد ومراته في باريس » ، وهو الذي أشرنا إلى أن جامعات العرب قد قررت في دراسة اللغة العامية ، حيث كان ثمنه قرش صاغ واحد بينما عدد صفحاته ٩٦

والحق أنه كان عناء غير ذى جزاء .

وما كانت تلك المبالغ الضئيلة التي كان يحصلها « بيرم » في ذلك الوقت لتكفيه أن يعيش منعماً . بل كان ، كأنداده من الأدباء ، كالشمعة التي تحترق وهي تضيء ما حولها

لذلك كان « بيرم » دائم السخط على مهنة الصحافة والتبرم بها . فإذا أضفنا

إلى ذلك ما عاناه في سبيل الصحافة ، وخدمة الأدب ، من نفى وتشريد ،
ومصادرة ، واضطهاد ، أدركنا السر في مداومته على التذمر من هذه المهنة .

لقد قرأنا من أقواله مثلاً :

• • •

وأوب على سيدى لظاوغلى من كار الجرائين
واعمل حانوتى ومنفسل واشيىل الميتين

ثم قرأنا أيضاً :

أعيش شريد وامشى حافى فى مصرولا اكونشى صحافى
على الأدب قول ياغوفى لاعمال أنا فران أستر

لاعمل أنا فراب واعجن وانبغ فى فن العيش واتقن
إلا الكتابة اللى تسرجى فى عهد دستورنا الأخضر

ياللعجب على خلقتنا والدود بيهرى فى جتننا
ون كنت تلقى فى صحافتنا دوا الدمام ال تنسكر

إن قلت يا حكومة جرى واحد فاتح له بيت سرى
تقول لى طب ليه بتورى ما كان فى حاله ومستر

ون كنت أكتب فى حكاية لا طعن فيها ولا غاية

يقولوا تحريض وغـواية عا لفسق قـوم امضى المحضر

وان كنت أكتب في الحكمة وفي البخـارى والختمـة

واحلى جرنالى حشـمة عا اشكل دا الجرنال يخسر

عمك (زميعى) عطا التصاريح لكل جاف جانف قبيح

زله بها فى الناس تشبيح لا خلوا سالم ولا بعجر

صحافى من همـه وعمه مسك القلم ونفت سمه

فى واحدة من طبقة أمه والدور على الدور يتشطر

ويلاحظ فى هذا الزجل تصويره لذلك العناء الذى يصادفه الصحفي فى أداء

مهمته ، بين مختلف تيارات التقاليد والعقائد ، التى كانت تحول دون التصريح بصيحات الإصلاح الواجب .

ولعل من أظرف قطع « بيرم » فى موضوع الصحافة ذلك الزجل الذى

داعب به صديقه المرحوم الكاتب الكبير « إبراهيم عبد القادر المازنى » ،

والأستاذ الكبير « عباس محمود العقاد » ، وقد وضع فيه لثالوثهم صورة

كاريكاتورية مضحكة ، يحيط بها إطار بارع من الواقعية ، التى يتعزى بها

أهلى الصحافة

فرقة رمز

يا ابراهيم ياما زنى .. ليه ما اعرفش مالى

كل ما اكتب ، ألتقى طيفك قبالى

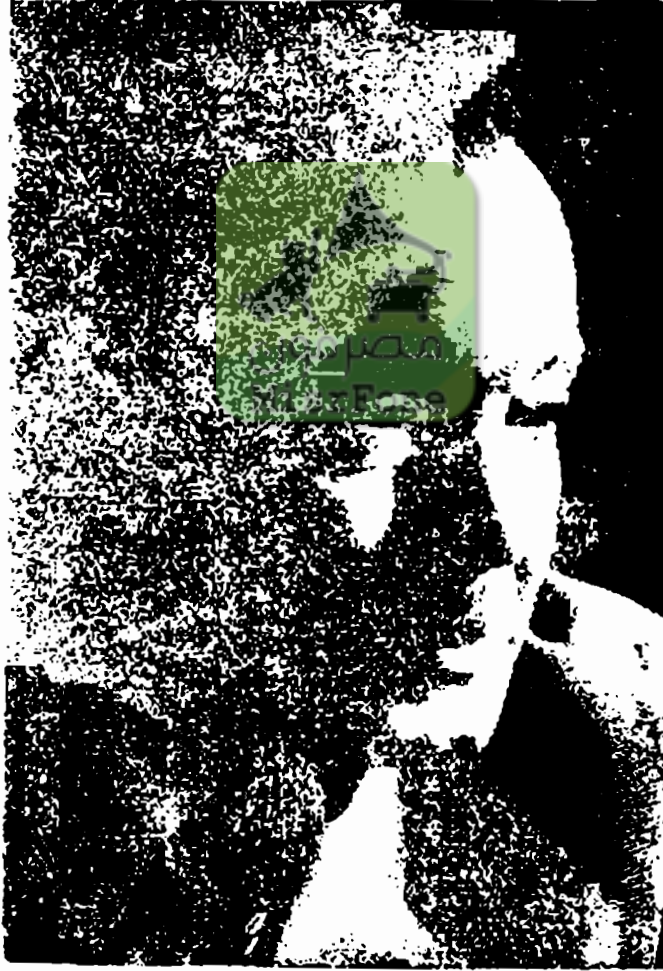
أحشرك في الوسط ، واعمل بك تقالى
قول لى إيه أصل السبب فى دى الأسية
أخبرك إيه السبب فى دى اللجاجة
أولا ، دمك خفيف ، خالى السماجة
ثانياً إنك ضعيف ، ماتقولش حاجة
لازجل تنظم ، ولا ترفع قضية
من كده ، باامسك فى زورك كل ساعة
لما ما القاش كلمتين أملا البتاعة
قال ماقيش غيرك هزؤ ، شوف دى الفطاعة
امثل ، أمرك الخلاق البرية
يا ابراهيم حيث ان بساط سوق الجرايد
قوم ندعبس عا المعاش ، ياما موايد
مدها سيدك بلاش ، غيها فوايد
للى يهب ، واللى ياهط ، مستوية
خد قفاية ، وهات قفاك ، وامسك معايا
طار صنيح والبس ياواد طرطور براية
واتمسخ مثلك ، وانظم لك حكاية
وندور احنا الجوز نزر الحلوجية

وان لبس عباس^(١) كان زعبوط وضنار
فوقه عمّة مزهرة من فرمة مصفر
هوه بالأرغول يتمّم ، واحنا نجر
عاطبل ، تنجح تمام الكومبانية
نتجمعص زى الذوات ، والعصر نسر
فى البلد ، ونشيل هموم الناس ونشرح
مها شغلة ، ومها فسحة ، ومها نرج
تبقى دى ، صدقنى ، عين العبقريّة
وان كسبنا روح لعزى^(٢) الاحتياطى
بالفطائر ، والسجائر تحت باطى
بلكى - مين عارف - بحينا يوم نطاطى
روسنا فى التخشبة ، تبقى لنا الهدية
يا ابراهيم ، كار البلا ، الزيت ، الصحافة
تمشى فيه بس اللطيف^(٣) ، واللطافة
أما جبار مثلى ، أو صاحب سخافة
مثلك انت ، الفقر أولى بك وبيه

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد .
(٢) المرحوم الأستاذ محمود عزى ، وكان صحفياً شهيراً
(٣) مجلة اللطيف المصورة واختفت من منذ عشرين عاماً .

حيث بأن الشعب ماسك لك خصومة
من زناخ عقلك ، تناضل لى الحكومة
قول لهم ينفوك ، وأحظى بك يابومة
أو يخلوى أجيلك من عينيــــــــــــــــة

* * *



بيرم فى شبابه الصحفى

بيرم ورجال الدين

يروى لنا « بيرم » في مذكراته التي دوها عن حياته ، كرهه لرجال الدين . من حيث لاحظ في أحد المدرسين حينما كان يتلقى العلم وهو صغير ، في مسجدى المرسى أبى العباس والبوصيرى ، أنه كان ينظر إليه نظرات مريبة ، الأمر الذى جعله يشمئز ، ويعول على الفرار من وجهه ، ويترك المعهد إلى غير رجعة ويقول عن نفسه :

« ... وتربت فى نفسى عقدة من جميع الشيوخ الذين يلبسون مسوح التقى والورع . وكرهتهم كراهة الأرض للدماء ... »

فإذا أضفنا إلى ذلك ما كان يحدث من بعض الشيوخ إبان ثورة سنة ١٩١٩ ، حيث كان الإنجليز ، إذ ذاك ، يستمينون رجال الدين لتخفيف حدة الثورة ، بالقاء الخطب الدينية والمواعظ ، نظير إغرائهم بالمال والجاه . وأن فريقا من الشيوخ بالذات كانوا يترددون فى خفية على دار المعتمد البريطانى (كما كان يسمى فى ذلك الوقت) وفى طليعتهم من كان مفتياً للديار المصرية^(١) الذى شوهد أكثر من مرة داخلا إليها أو خارجاً تحت جنح الظلام .

يشير « بيرم » إلى هذا ، مهاجماً ذلك المفتى ، فى زجل جاء فيه :

يا نخت يا ابو دومه	يا ابو خلقه مشومه
لاديك بالشومه	إب ما كنتش ترجع
ضبطوك متايـل	عا القصر محـول

(١) المرحوم الشيخ محمد بنحيت .

تجرى وتنشندل وعامل واد مجدء
اتلم احسن لك دا الشعب قاعدك
بالصرمة بذلك اتأمل واسمع

ثم يتناول أيضاً رجال الأزهر وقتذاك جميعاً ، بقوله في قطعة من زجل آخر :

يا أزهري العـلم انت ازهر صحيح وشريف
لكن مع العلم أهلك كلهم م الريف
طالبين أجور المظاهرة كل خطوة رغيف
وجبة كزميز ، بقفطانها ، ومركوبها
وان شالله يحكمها مالطي يرعى في الحـلاليف

وإذا أضفنا إلى هذا عقدة « بيرم » من جماعة الشيوخ ، علمنا السر في حملاته الشديدة التي كان يوجهها ، دون رحمة ، عندما يقرأ أو يسمع حادثاً وقع من أحدهم

كتب مفتي الديار ، ذلك الذي هاجمه « بيرم » ، مقالا نشره في الأهرام ، ووقع عليه بإمضائه ، فإذا هو منقول بنصه وفصه عن مقال للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، عنوانه « العصبية والتعصب » كان قد ظهر في مجلة العروة الوثقى . وضبط الواقعة المرحوم سعد زغلول ، فكلف تقيب المحامين أبو شادي أن ينشر الخبر في نفس جريدة الأهرام ، ويعرض النصين معاً .

فإذ بلغ « بيرم » خبر هذه الفضيحة وهو في المنفى ، أرسل للنشر هذا الرجل اللاذع :

ستين سنة لا عمل تبيت واشرب لي كبايتين نبيت
والعن أبو الشيخ كسفرت الكافر (الحادى عشر)
قلت لكم الشيخ ينجلد قتلولى أخرج م البلد
قلت انت مالك يا ولد حا تنحشر مـ العجر
حسب شيخ الدولة تاب جه هوه سخمها بهباب
سرق مقالة من كتاب شهير وصاحبه مشهر
إيه رأيكم يا مسلمين فى الشيخ كباب كفتة الأمين
طالع يعر المسلمين أمال ياريتة كان كفر
لازم تجييسوا المفتري حالا فى مجلس عسكرى
ياكلها نا يتهـرى وغيره راخر يعتبر
ألزم مايعمل فيلسوف ومحط لى فروة خروف
وتحت مها جبة صوف آل يعنى عالم معتبر
ياخى اتلهى جاك البلا فى دقنك التـدلالة
روح ارمى فى مزبلة واكفى الماجور على الخبر
يلعن أبوكم كلكم ويدوس فضيلة علمكم
كلاب ما يشبع بطنكم نغير الرشاوى يا فجر

ويقراً «بيرم» ، وهو فى المنفى أيضاً ، عن مشروع جليل كان قد قام به
جماعة من الغيورين . إذ فكر الأستاذ «عمر لطفى» فى تكوين تعاون شعبى ،
يوفر المطالب الحيوية للمواطنين ، حتى يتغلبوا على الأزمة التى كانت قائمة من
الجوع والعري ، من جراء استيلاء الانجليز على كثير من خيرات البلاد ومواردها

وإذ يصادف هذا المشروع نجاحا كبيرا ، بإسهام عدد كبير جدا من الكبراء وأهل الفكر ، مع العديد من الطبقة المتوسطة والعمال ، هال الانجليز الأمر ، وعدوه خطرا على سياستهم الاستعمارية ، فعمدوا إلى محاربتة بشتى الوسائل . ولجأوا في ذلك إلى جماعة الشيوخ ورجال الطرق خاصة . وأوعزوا إلى الشيخ «محمد الفيني التفتازاني» ، وكان أحد مشايخ الطرق ، أن يهاجم المشروع ويحرض على النفور منه ، بدعوى أنه يرمى إلى البلشفية .

فما كان من الشيخ «التفتازاني» ، رحمه الله ، إلا أن تولى هذه المهمة ، وأخذ يسنه آراء القائلين به على صفحات جريدة الأهرام . وكتب مقالا يتهم فيه الأستاذ «عمر لطفى» وأصحابه بأنهم من المارقين ، الخارجين على الدين الخفيف ، الداعين إلى البلشفية ، التي يحرمها الإسلام .

فإذ قرأ «بيرم» عن ذلك أرسل هذا الرجل المريع ، الذي جعل الشيخ التفتازاني يتوارى عن الناس بعد قراءته :

الحمد لله لا انالقات ولا عجاب
ولا قريبي بوليس سري ولا سجاب
يا «زفتزاني» كلامك كله باذبحار
تبرق عليه الخلائق إنسها والجار

جماعة شافوا الغلابة ميتين م الجوع
حنوا عليهم وقاموا وضربوا مشروع
جى انت بتقول دا دين البلشفيك ممنوع
إيش أدخل البولشفيك فى نجدة الإنسان
لا فى الجوامع رأيت مثلك ولا فى الدير
علم ومسلم وبتعارض فى فم ال خير

مدام فضيلتك بتا كل كستليتة وطــــير
يبقى الدريس والدره والفجل للخرقات

طــــب وانت مالك بتفلس وتفلسف
وتخش في اللي ما هو لك ليه وتكشف
هية هار البلادى لما تبلف
حاتجردك م القاوق والجبة والقفطان

لأ والتلامه بتستشهد لنا بالدين
إنه أمر تبقى نص المسلمين جــــانين
إب كنت فاهم شريعة العدل عن لينين
أنظر شريعة نبينا نازلة في القرآن
كان النبي والصحابه يجلسوا على الأرض
ما فيش لهم حد لا بالطول ولا بالعرض
متجمعين، والفقير عنــــد الغنى له فرض

والكل في الكل اللي في الحرم إخوان
سيدنا عثمان ما كانش عنده رتبة بيه
حتى الخليفة عمر كان يشتغل بإيديه
ولا إمامنا على كان عنده ألف جنيه
ولا أبو بكر عنده ست الاف فدان

ولما تتوزع الخنطرة وصاع التمر
كان اللي ياخده بلال قد اللي ياخده عمرو
والأمر لله لوحدده هو صاحب الأمر
ينزل سماوى لا ديكرتو ولا فرمان

أوجب عليهم إله العرش شيء معلوم
يطلع مافيش هرش للسائل وللحروم
صار الكلام ده النهارده فى بلاد الروم
والمسلمين أصبحوا لا دين ولا إيمان

يشفلوا الشحط فى الجامع بسة ريان
يكنس ويمسح محلات الأدب ع المال
وأخر أشهر يتحب على الإهمال
يطلع من الدين والدنيا اكان خسران

ويبقى فيهم غنى مفرد وصاحب بنك
يشغل ابن الأصول طول النهار بفرك
ياما ألوف الألوف يامسلمين فى ضنك
أكل التراب والعبك من جسمهم ريقان

ثم يهاجم «بيرم» أيضاً ، نوعاً آخر من شيوخ الدين ، إذ ذاك ، فى شخص
رجل معمم كان يشتغل بالطب الروحانى ، وكان اسمه « الشيخ محمد زيدان » ، وقد

اشتهر بين النساء حتى أنه تزوج بسيدة شهيرة ، ثم بأميرة من الأميرات . وكان
يتخذ عامه ستارا يخفى وراءه غاياته . ويرسل « بيرم » من منقاه هذا الزجل
العجيب في تصوير هذا الشيخ :

الشيخ زيدان عامل طبيب روحانى
بالفلى قال يكتب وبالسرمانى
بين النساء له صيت عظيم جوانى
فايق على الدكتور شاهين وريادة

والشيخ زيدان أسمر طويل ومتفحل
إبليس يشوف وشه المشقلب يرحل
يرخى العدايب حضرتته ويتكحل
من الصبح ويلازم السجادة.

له كل يوم دبشة حشيش رحلاوى
دخانها ضايح فى نخور الجاوى
وينخط قدامه كتب وبلاوى
لاجل العيادة تنقلب بعبادة.

خشوا عليه اثنين واحدة زبونة
والثانية سمسارة زحل مجنونة
باسوا الأيادى المجرمة الملعونة
واستنظروا أمر العبيد والسادة

انتفتح الدكتور وقال لله نام
دستور ياست اتفضلي ايه الـ لازم
قالت تحضر لي النهاردة الخادم
يعرف لي أسباب انقطاع العادة
آخر ولادتي كان هـار الزينة
والطلق جاني يومها في التراسينة
راحم يجييـوا الكرسي وام أمينة
حضرت يادوبك عـا الخلاص الداية

حشـت علي سلفي في نفاسي
وانـا عدوك في الفراش وبقاسي
بعت وقالت (يافطم) تتحاسي
اللي انت فيه دا لعب والا ولادة

يادوب دي راحت واللي هوه في ضهري
جاني تقول خنجر ياخويا بيهرى
الأربعين فانت ومدة طهري
والدم خـد عندك نخور مدادة

جابوا الحكيم قال الحكيم دي الهي
زي اللي بتقوله جميع الحكـا

وصف سخام برشام وكان الخاتمة
من يومها أنا عاقر وانسا ولادة

ضهرى انقطع ، بصيت عليه ما لاقيته
أما اللي جبتـه في التراب حطيته
أمر الحكيم يارب تخرب بيتـه
وتعنى عين السيدة الحـادة

استعدل الأستـاذ وخش وراها
من بعد غمزة للى جيه مـهاها
قعدت تصهل طول ما هي سامعها
تقول يالهوى حقه كله إلا ده

إن الزمان ضنين بأمثال هذه العبقريّة ، لا يفتق منها
بغير حساب .

عباس محمود العقاد

بیرم والمرأة

كان « بیرم » منذ ما خاض ميدان الأدب يتوقع أن المرأة هي الأساس في صلاح المجتمع ، وهي السبب في تأخر قومه لجهلها ، وضعفها ، فشره قلبه في وجهها . وكان قاسياً عليها أحياناً ، مشفقاً بها أحياناً أخرى .

وهو بعد إذ نقد أخطاءها في الحياة مر النقد، عاد يشيد بها حينما تدرجت بها الأيام فأثمر فيها العلم والتربية .

وهذه بعض صور من نقده لها .

فهو يقسو عليها قسوة شديدة بتصوير جهلها بهذه الصورة البشعة

دود الحصيرة زحف والعضكوت عشش

على البيان والستكار وانقزاز غشش

شوفى التراب الملى باللوحه على الكنسول

قوى امسحيه ليشوفه جوزك نجى يوشش

فى كل جمعة اكنسى تح السرير مرة

لا تحطى تحته لا مقـالاية ولا جرة

والحابة والضيفحة وسالة الهلاهيل

وقـدرة الش لازم يتموا برة

يامنيلة باللى مين زيك ما حقه جواز

غلبتى جوزك وعلمتبه على الزناز

مبسوطه لما بسلامته يروح يقول لامك
دى كل ليلة تجيب الأكل متعاص جاز

عمرك ما تزوق الا عشان بره
وتطلع بالبوال والصدر نتعري
خلى الزواق والعدل فى البيت المراجل
لاحسن يكيدك وياخد بالاجل ضرة

دبقتى جوز الأساور من قفا المسكين
الوزن مية عيـاره أربعة وعشرين

وما يسأل تقولى دول بتسوع أختى
لهوانت بتجيب أساور دانت عيشتك طين
حتى يا بنت الحلال قلبك على قلبه

ودبرى البيت وهو يعس على غلبه
داكل واحدة مطيعة يحبها جوزها
والناس يقولوا يجب مراته وتجبـه

ثم هو يلقنها درساً قاسياً آخر ، بهذه القطعة التى عنوانها « تدير منزلى » :

تدير منزلى

ما تمضغيش للعيال الأكل بسـانك
والنفخ فى الأكل سم ، فى عرض ايمانك

مرة جهولة ، حمارة ، خصلتك سودة
ما تسميش الكلام ، تنشكى فى لسانك
إن عيط الواد ، وقال لك ، أشتري نعناء
وحصية ، ونبوت الغفير ، وبتاع
إوعك تطاوعى كلامه ، واعملى طرشه
دا السقم ، والسقم ، أصله من إيد البياع
وان قدر الله وكان عندك ولد عيان
ما تعطهوش بين خوانه دا العيا دقان.
وابقى اعملى زى ما يقول لك عليه الدكتور
وتمنعينه بـ الطبخ وترتبي النبار
شلى يا بنت الحلال الإبرة م السند
ليتكسر سهبا فى إيد الولد أسعد
تملى ترمى الإبر ، ما تحرميش أبدا
مش فاكرة يوم ماشكت خربة أم احمد
وان كان فى بيتك شوك ، والا معالق بقص
خافى عليهم ليقوا كل يوم فى نقص
واغلى لهم المية لما تفلى المواعين
ونضفى البيت ، وخلي الأودة ترقص رقص

وبطلَى قولة العفارىت والفـولة
ليطلع الواد عبيط والبنت مخبولة
ما تعرفيش الكلام ده يتلف الأولاد
ويفرجوكى المـرار ، وتعيشى مخبولة
حاتعملوا ازاي لما تصبحوا عيلة
واتم بتاخدوا الجنيه بتفرقوه فى ليلة
دابالكى كان مرة بعد الشر مش قادر
مافيش بقى الا الموبيليا ، شفتى دى الميلة

ثم يهيب بالرجال ليحرروا المرأة من سجنها ، ويجعلوها تواجه الحياة بدراية
واطلاع ، ليستفيدوا من نضجها ومعاونتها كما يطالب النساء بضرورة الافادة
من العلم مع الحكمة والتعقل ، والتكاتف مع الرجل فى ميدان الحياة ، إذ يوجهها بهذه
القطعة الصادقة ، الذى كتب عنوانها فى ديوانه « بردون يا شعراوى » . . . وهو
يقصد زعيمة النهضة النسائية المغفور لها « هدى هانم شعراوى » :

يا بنت بانى الهرم نى هـ لاهيك
والبرقع اللى انخرم ويا مناديلك
يكفى لومان فى الحرم فى قيد خلاخيلك
ماشفت زيك سجين ساكت ومتاوى
غلبت أقول للرجال خلوا المرة حرة
تخش رخره المجمال تفهم وتتدرى

العاقلة بنت الحلال ما يضره — اش بره
 لكن بتنصح في ميـ روس جامدة سنطاري
 راية ولاد العـرب في الأرض منكوسة
 طول عمرها والسبب إحسان ونفوسة
 والله اللي قال ما كذب نسواننا موكوسة
 حتى اللي متعلمين بردون يا شعراوى
 جهل النساء بالعلوم خلانا أنتيكة
 نفهم في فن الهدوم رقعة وتشتيكة
 وفي البلاد عا العموم ماتلقى فابريكة
 غير فابريكات الطحين فايحى بدرراوى^(١)
 يا بنت باني القصـ راجل ينداديكى
 بينه وبينك ستور مدى أياديكى
 وفكى عنه السيور الله يقوىكى
 وكونى إيده اليمين فى اللي عليه ناوى
 فاذا يطمنن إلى نجاح المرأة يكتب هذه القطعة التي يعترف فيها لها :
 قلبي اما كلثومة تفنى يبيتى رايح جوى

(١) يقصد « بدرراوى باشا عاشور » المليونير الذي كان يمكن من ماله أن يؤسس
 مختلف أنواع الصناعات لصالح الوطن ، ولكنه انتصر على مطاحن القلابل التي تدر عابه
 شخصياً فيوض الأموال

وروزاً^(١) تمثيلها الفنى
وعضى يتفكك منى
يا مصر دوى واتهمنى
بالحريم الحى
منيرة^(٢) كاتبة فرنساوى
أما زجل إحسان^(٤) كاوى
والكامة من هدى شعراوى
وشوف سعاد الخلفاوى^(٥)
وتحيا استرويسا هانم^(٦) أم عقل كبير
وخلى ست لبيبها هانم
وأنت المرحوم قاسم الذى
والحسنة الرقة العالم الذى
أمال يا خلق الله مالى كل مادا نخب
بيجوزونى أم طبالى وامهات قباقيب
أخذ على المهر الفالى ضرب بالمراكيب
لما انكويت واللى جوالى لم يشوفه حبيب
أحبه على زهرة مرأتى لما تطبخ قرء

-
- (١) السيدة روز اليوسف المثلة الأولى
(٢) الآنسة مى (مارى زيادة) الكاتبة الشهيرة .
(٣) السيدة منيرة ثابت الصحفية .
(٤) السيدة إحسان القومى
(٥) ، (٦) سيدات عاملات فى النهضة النسائية

واحيه على الفولة حماي
تاخذها وتسبيني أهاتي
والأصل لو كنت فلاتي
أبقى زي القرع

ثم يؤمن بسحر المرأة في هذه القطعة التي جعل عنوانها « يا ست » :

أهلا وسهلا من قاي كل ما اشوفك
أقولها واطلب من ربي لمس كفوفك
جسمك في فستان السواريه عريان نصه
لو كنت أفضل بست عليه إيد من قصه

ولمشيتك في ساب استقانو يا شجر رجرجر
قالت جميع أهل الكازينو الله أكبر
والخطوة أنا تخطيها واحدة اتنفسة

أقول ياربنا تكفيها شر عيننا

وشمرك اللي الفس لواه يا اصابع ياني
لو كنت أعرف الاسطى كواه والا كـ واني

ونظرتك من تحت لفوق كده للراجل

تخلي لولب متر الشوق طالع نازل

أما اللي زود في جمالك ونصب قامتك

وشوق الناس لوصالك تقل عظمتك

والشفة لما تعضيها شفتك انتي
دي نايبة وبتفتكريها يام جـوانتي
يا مجلس الأناجـنا بينات حـوا
دول نصنا وعظم ضلوعنا وبيـه تقوى
يا مجلس الأناجـنا تـضلم لما نجومك
تغيب ونسـهـى ما تتكلم غير في همومك

ويـسـجـل اعترافه بالمرأة في هذه القطعة الصوفية البارعة ، التي يشيد فيها بعظمة
المولى في جمال تصويره ، وجلال قدرته ، تحت عنوان النسوان :

ف كل عام للورد إلا النسوان
بقدرتك نابتي ألوان أبيض واحمر
وانت تعلم وانا أجهل ايه فيه أجمل
من دي الحدود اللي لا تدبل ولا تتغير
ودي العميون اللي اشمـدلك بها وامجدلك
دي خلت الطاغى انقادلك والمتكبر
والشفتين اللي فالقهم كنت خالقهم
للابتسام والا رازقهم دانت تحير

بدمتى انت اللى جاذبى
 وياالى ذوقك يعجبى
 لك صنعة فى العيب والحاجب
 ونقول وجود الله واجب
 ولك قوالب فى الأجسام
 يملكك نجر ورخام
 يا ست يا ام زناق محبوك
 حطى على القلب المشبوك
 ويا ام نص ملاية حرير
 على الكتاف أنا عطفى
 وياالى ساقك يسوى رقاب
 فى لون حقيقته ان كان بشراب
 وياالى خصرك نه حركات
 ويضج منها داود بركات^(١)
 وياالى لابسة لى جواتى
 فى إيه خفيتى وينتى

(١) رئيس تحرير الأهرام

ويا ام شمسية يا عايقة
يا مرشقة الوردة اللايقة
هواكى بالياسمين هافف
يصافح العقد اللافف
يا مسلمين الله يا حريم
غيركم أروح وياه ف جريم
الدينا والنسوان وخلص
لا طيلة ينفع ولا بلاص
عليه قفا عايز الحيلة
وجتته المشعرانية
والا الشنب والدقن يا هوه
باين وعاوز نعمن أبوه
على فين سايقة
عالمشجر
وحلق رافف
على دى المنحر
أنا مالى غريم
يوم المعشر
والراجل لاص
لو يتكسر
وخاقة رديسة
حاجة تقشعر
مهما حلقوه
برضك أخضر

« أنا لا أخشى على الشعر العربى طفيان أحد، أو شيء،
إلا « يرم »، وأدبه الشعبي » .

أمير الشعراء
أحمد شوقي

بيرم والعمال

من للعامل ؟ . . .

من لهذا الذى يبنى مجد الوطن دون أن يقدره أحد ؟ . . .

من لهذا الجندى المجهول ؟ . . .

هذا الذى يعمل صامتاً ، صابراً . . . راضياً بالكفاف والحرمان ، فى سبيل

لقمة العيش التى يقيم بها أوده وأود أسرته .

إن « بيرم » لم ينسه ضمن خطراته ولحاته العديدة ، التى كان يسجل بها

الأحداث .

إن له فى مخيلة « بيرم » لوحة ، ولكنها لوحة نائرة ، صاخبة ، باكية .

فقد كتب عنه عبارة صارخة ، عن لسانه ، فيها العتاب المر ، مع الاحتشام

الذى تتميز به طبيعة العامل ، فيها الثورة ، مع الرضى والقناعة .

ولنقرأ له معالم هذه اللوحة البارعة فى لمسات كلماته العميقة المعنى :

الـمـاـمـل

ليه بيتى خربان ونا نجار دواليكم

ليه فشى عريان ونا منجد مراتكم

ليه امشى حفيان ونا منبت مراكيكم

هيه كده قسمتى

الله يحاسبكم

ساكنين علالى العتب وانا اللى بانها
فارشين مفارش قصب ناسج حواشيهـا
قائين سواقى ذهب ونا اللى ادور فيهـا
يارب ماهش حسد

لكن بعاتبكم

من الصباح للمساء. والمطرفة فيدى
صابر على دى الأسي حتى نهار عيـدى
ابن السبيل انكسى واسحب هرايـدى
تتعروا من مشيتى

واخجل أخطبكم

ليه تهدمونى وانا اللى مضمون
انا اللى فوق جسمكم قطـنى وكتانى
عيملى فى يوم دفتى ما لقيش أكفـانى
حتى الأسية وانا

رايح وفايتكم

وليت «يرم» عاش ، ابرى كيف أنصفت الثورة هذا العامل فى شريعاتها
الثورية الأخيرة ، وكيف ضمنى حقوقه لدى أصحاب الأعمال والشركات ، وكيف
يسرت له العيش الرغيد ، وأمنت له مستقبله ومستقبل أولاده عند الشيخوخة
والمعجز

يرم والفلاح

ثم الفلاح . . لم يتركه « يرم » دون أن يعطيه حقه من التمجيد والإشادة به .
إنه عضد الدولة الذي يقوم على جهده كيانها . لذلك كان لا بد أن يكون له من
أدب « يرم » نصيب .

فهو يمجده في هذه القطعة بعنوان « الفلاح » وهي على الأرغول :

الأولة آه . . والثانية آه . . والثالثة آه . .

الأولة . عيرونى ، ان انا فـلاح

والثانية . أزرع ، واقلع ، للى نام وارتاح

والثالثة آه اللى احبه شط منى وراح

الأولة عيرونى ، ان انا فـلاح ، بدفية .

والثانية . أزرع ، واقلع ، للى نام وارتاح ، فى دهبية

والثالثة آه اللى احبه شط منى وراح ، فى صبجية .

الأولة عيرونى ، ان انا فـلاح ، بدفية ، وعيشى حاف

والثانية . أزرع واقلع ، للى نام وارتاح ، فى دهبية ، بميت مقداف

والثالثة . آه اللى احبه شط منى وراح ، فى صبجية ، ما قال لى عواف .

الأولة مش بايدى . دا قضا محتوم .

والثانية . ومسيرها ناس تفرق وناس حاتعوم .

والثالثة . ميت هم يرحل ألف هم يدوم .

الأولة آه

والثانية آه

والثالثة آه

وهى قطعة عميقة المعنى لا يخفى الغرض الذى يرمى إليه بها « بيرم » فى تلميحاته الخفية العميقة على استغلال الفلاح من أصحاب الإقطاع .
ثم يمجده فى أغانيه ، كقوله فى الأغنية المشهورة التى ينشدها الموسيقار « محمد عبد الوهاب » .

ما احلاها عيشة الفلاح مطمن ، جابه مرتاح
يتعرج على أرض براح والخيمة الزرجة ساتراه
ياه . . . ياه . . . ياه . . . ياه . . . ياه . . .
ولا يطلب شرط ومشروط غير لبدة ، وعرى ، وزعبوط
واللقة واكلها ومبسوط . . . ياه . . . ياه . . . ياه . . .
ياه . . . ياه . . . ياه . . . ياه . . .

ويواسى الفلاح فى حاله من القناعة ، وإغضاء المسئولين عنه فى الماضى ،
ثم عناية الثورة به .

قضيت يا فلاح حياتك فى سواد العيش
ولبسك الخيش وياريتك تطول الخيش
وانت لك جيش وأولادك جنود فى الجيش
شوف ضربة الجيش أعادت حلك المقصوب
ورجعت للصواب أهل الفرور والطيش

بيرم والصناعات الشعبية

تناول « بيرم » بالنقد أنواع الصناعات الشعبية ، التي كان يعدها تافهة ازاء التقدم الكبير الذي أحرزته الصناعات في بلاد الغرب ، وكان يكتب عبارات النقد بعنوان (صناعاتنا المصرية) .

ومن ذلك تهكمه ، مثلا ، على صناعة المناخل

قالوا عريسا مناخلى قلت يا خسارة

طب دى المناخل لا هى صنعة ولا تجارة

يا الى بقى لكم زمان فى الشاشة والطاراة

ايستى بقى تبدلوا النخل بطيارة

ثم ينظز إلى ذلك « العرقسوسى » ، الذى يحمل قدرة شراب العرقسوس ، ويختصنها ، وهو قدر الملابس والمنظر العام ، ويسقى الناس من شرابها الملوث بالنيكروب . فيصفها بهذا التصوير البشع :

يا قدرة العرقسوس يا ام البتاعة^(١) نحاس

م المكروبات اللى فىكى ياما ماتت ناس

أخذك فى حضنه يا وحشة يالى عابزة الفاس

واحد لاحصل لا شربتلى ولا كناس

(١) لم يدر بيرم كيف يسمى هذا الزخرف النحاس الذى اعتاد أولاد البلد من باعة العرقسوس تزويق غطاء القدرة به . فسماه (البتاعة) ...

الإعلان بالزجل

ابتكر « بيرم » نوعاً من الإعلان بعبارات الشعر ، بدلاً من الرسم .
وكان ينشره في صحيفة الشباب .

وقد أعجب القراء بتلك الإعلانات ، وحفظوها ، فكانت عباراتها أقوى
أثراً من الرسم

ونقدم منها هذا الإعلان الطريف لمجلات الراعى ، التي اشتهرت في النورية ،
في وقته ، بجهاز العرائس من المفروشات والملبوسات :

يبنى وبينك يا صهرى مشـاحنة

يوم الزفاف ، فردوا دعوة الداعى

فلا أريد عروساً من مصـبناتكم

إلا إذا جهزت من مخزن الراعى

« الأديب الفنان خالد ما خلد الفن ، والفن باق ما بقى

الإنسان » .

محمود تيمور

تقايد بيرم لشعراء العرب القدامى

لم يدع «بيرم» مجالاً من مجالات النشاط الأدبي إلا أقجم نفسه فيه . ولعله كان يدلل بذلك على خبراته وكفاءته كأديب متمكن من مادته ، إن لم تكن حيويته الشعرية هي التي كانت تدفع به إلى أن يفيض بكل ما تحترزه عبقريته ومن بعثر ماتناوله من ذلك محاكاة الشعراء القدامى فيما اشتهروا به من اختصاص ، كابن الرومي ، وابن الفارض ، والشريف الرضي ، وأبي العلاء المعري ، وغيرهم

أما محاكاته لابن الرومي ، فالمثال عليها في قطعة فكاهية كاريكاتورية نظامها بعنوان «ابن الرومي في القرن العشرين» ، «صورة كاريكاتورية لأحد الباصقين» ! ويقول في أولها :

آى عبد الإله وقد جاسته من اللهو المحبب فى شئون
فرحبنا وأفصحنا مكانا يابق بذلك الحبر السمين
فاندرنا بصوت بلغمى كصوت الكف تعبث بالعجين
سمعنا عاخبها منه فلنا نحاذر بالأكف على البطون
الح . . .

ومن محاكاته لابن الفارض ، هذه القطعة المطفمة بالألفاظ البلدية من الشعر ، التي يعارض فيها قصيدته التي مطلعها

أنتم فروضى ونفلى أنتم حديثى وشفلى
وهو يتهمكم فيها على حال لاعبى القمار

أهل الكلوب ومالى عن الكلوب تخلى
قضيت فيه حياتى على سبيل التسلى
الناس تلعب يوما وكان لعبى تملى
كفى بجسمى دليلا وشعرى للتدلى
وبذلة ايس فيها من النظافة مى
وجزمة بنت كلب مها ترى الناس رجلى
الأبعدة راحت وكل فحل وعجل
والبيت من بعد رهن رسا على كوتارلى
والأكل خبز بفجل لابل ومن غير فجل
يامدعى وهو مثير حب القمار انكتب لى
وكنت تمشق حقا لكان شكلك شكلى
أنا الذى قد بقى لى يومين من غير أكل
هل من ريال لأمضى إلى الكلوب لعللى . . .

وحاكى الشريف الرضى، فى قصيدته التى مطلعها :

منازل العشب . لاحام ولا راع .

مضى الردى بظويل الرمح والباع

بهذه القطعة الفكاهة ، متهمكا بها على رجال الأمن :

خطوا الفغير على الدكان يحرسه

فباعه جملة لا بيع قطعاع

جاء الحرامى له ليلا . وفأواه
على الذى فيه من مائل وأبيض
والصبح جاء إلى الدكان صاحبه
فلم يجد فيه غير السقف والقاع
قال المعاون شغل يس نعرفه
فاللص لا يسرقن الراجل الواعى
وحزر المحضر المكتوب صورته
نكل لص ونشال وقطاع
يا ابن اللثيمة يا شاويش بلدنا
جعلتنا ذكاة الدنيا باجماع
يا ابن التى غضبت من روجها حين
شيخ الطريق وراحت رافق ساعى
الله يخرّب بيتا أنت ساكنه
وبيت أمك يا بكر بن مناع

أما تقليده لأبي العلاء المعرى ، فبمحاكاته لما التزمه أبو العلاء فى القافية
خرفين أو أكثر ، وأسماء لزوم ما لا يلزم . ونوه بأنواع من هذا التقليد :

الإفلاس

أفلت حيناً لا أبث شكاية

حتى عرفت فضيلة الإفلاس

المفلسون ، هديت ، أكثر فطنة

لتفاضل الإخوار والجلال

ولقد يغم على الفنى صديقه

إذ لا يرى أبداً سوى محلاس

الفنى والفقير

خل الأنام ولا تأمل منافعهم

فإنه قد خلق الإنسان مرزوقاً

هم يأخذون نفيس الشيء إن طابوا

وإن هموا وهبوا أعطوك خازوقاً

تري الفنى ميذاً عنك محتبباً

أما الفقير تراه فيك مزوقاً

كم جاءى من فقير يشتكى سغباً

ومن غنى بطير جاء محزوقاً

الفقير

سليمى لم يكن بعدى لصد أو غنى عنك

ولكن لم أكن ألقى بجيبى نصف إفرنك

ولا قرشاً به أشترى لعيني قطرة الزنك

كفى بالفقر والتلطيش مناعاً عن الهنك

عسى أن تصل الشكوى لطلعت صاحب البنك
هو الحرب الذى أضحي بمصر هازم المصنك

الناس

الأرض عندى كلها أرض فلا

باريسها تمتاز عن بيروتها

والناس فى نظرى — واء كلها

وشريفها ما امتاز عن عكروتها

ويغىظنى أنى رأيت جماعة

حمت لتعرفها الدنى بكروتها

ولقد ضحكت من الجبارة التى

زلت بها الأقدام فى جبروتها

« إذا كان الأدب المكتوب بالفصحى مقصوراً على
المتقنين ، ينعمون به ، فإن أدب « بدم » يستمرته هؤلاء وغيرهم
من جمهرة الناس ، ويجدون فيه صدقاً لما يضطرب فى نفوسهم
جميعاً من مشاعر وحوافز ، ومن آلام وآمال . فهو من هذه
الوجهة أوسع مدى ، وأعم جدوى . »

محمود تيمور

تقليد بيرم لأسلوب شعراء عصره

تخيل « بيرم » فاجعة اليابان في الزلازل الذي أطاح فيها مدن بأكلها ،
وأن الشعراء في مصر هبوا ليواسوا اليابان في هذه الفاجعة ، فكتب على ألسنتهم
محاكيا كل واحد منهم بأسلوبه الشعري الذي اشتهر به ، وهي براءة
تسجل لعبقريته .

ويقول في ذلك :

«...أما الأمر الصعب فهو مجازاة حضرات الشعراء، واستخراج (أرواحهم)
من شعرهم . لسمو صناعتهم ، ووعورة مسالكها ونواحيها ، ولقلة ما يتكرمون
به على الناس من نقاتهم ، الا في الحادث العظيم والخطب الجليل ... نظن
أن فاجعة اليابان الكبرى قد أثارت من (أنحاحهم) المراكز التي ينبع منها
الشعر ، فإذا قالوا شيئا في هذه الزلزلة ، فهناك أقوالهم ترى في كل منها صورة
فريدة من الحسن والجمال » .

حافظ إبراهيم

بلد الشمس ، أي خطب دهاها
فطنى سفاهها على أعلاها
إيه يا مطلع الشمس لقد أظلم
مت ما بين ليلة وضحاها
في بلاد الميكادو ، قد صاح إسرا
فيا بالأرض كي تدور رحاها

فوران ، فرجة ، كشف القشرة
عن ذوب نارها ولظاها
إحلى يا شمس ، بالله ، عن مص
ر عزاء ورددى نجواها
خليل مطران

تقطعت الأوصال من عزمة الفتى
وما الخطب الا أن تقطع أوصال
عجبت وأرجاء السماء عريضة
عن الأرض أن يبقى على الأرض أثقال
ترى الناس لا يرجون رحمة ربهم
سوى فى سموات الإله إذا طالوا
تفجر صلصال الأديم وما درى

على علمه أب البرية صلصال
أفى كل يوم للسماء صواعق
وفى كل حيز للبسيطة زلزال

أحمد رامى

فى رياض الموى وتلك الجنان
خليانى فى سكرتى خليانى

واسقياني كئوس ذكر حبيبي
واغلاظا ، والحفا على السكران
خفق القلب وهو دار حبيبي
ولهذا أخشى من الخفقان
أنت إن ما سألت عن خفق قلبي
لا تسأل بعده عن اليبابان.

محمد عبد المطاب

واها نربع قام يستبكي
متبعجرجر الجنبين منك
قد أصبحت عرصاته جزراً
مصروفون كاليه قموص ، بنير ماشك
وترندحت أفنانه فرعاً
فقد كقعب الفرص الضمنك
يا رب زللة منجممة
ترمن جموع الناس في الهلك.

مصطفى صادق الرافعي

ما للورى؟ هلك الورى ، ضل الورى
أين الورى؟ ذهب الورى كهباء.

والموت ، ليس الموت ، بل هو نفسه
يفنى فناء ، قبل كل فناء
ياأمة الشرق ، التي قد أنزلت
بين الطبيعة من ذوى العلياء
أجدر بشعبك أب يعيد فخاره
بين الأنام بهمة قساء
إن كان فوق يد الطبيعة من يد
ما خلتها غير اليد الصفراء

عبد اللطيف النشار

وما الشعر إلا العلم لولا عيونه
تبيت تراعى جمه المتطاول
ترينا اتقوا فى كل يوم زعانفا
يضيق بهم ذرع الحليم الجمال
ولم ألق إلا شاعراً غير عالم
يتيه عليه عالم غير قائل
فيطلع إيماني ، وتخرج ملتي
وأركع حتى تستجير مفاصلي
فيدي إله الشعر غضبته التي
يردها عنه إله الزلازل

عبد الرحمن شكرى

عروق الضمير ، وحمى العيون ،
وموت الجبال ، وضحك الهوى
دعتنى إلى خوض موج الدهور
وللدهر موج رفيع الذرى
فتغمر دهرأ جبال اليبس
وتحزب آونة عن صفا
فبيننا ترينا شـعوباً علت
ترينا كذلك شعباً هوى

الحاج محمد المراهوى

زلزلة اليبابان جاءت بلا أوار
كذلك طوكيو دمرت وأرضها تدهورت
أودت بيوكاهاما فأصبحت أكواما
وقد علا الالهيب كما علا النقيب
وهلك العباد لكن نجا الميكادو
وقد سمعنا الولولة من هول تلك الزلزلة

تقليد بيرم لأسلوب كتاب عصره

تناول « بيرم » ، أيضاً فريقاً من مشاهير الكتاب بالتقليد لأساليب كتاباتهم . وعرض لذلك ثلاث مرات في سنة ١٩٢١ بعنوان « صفات الكتاب في أقلامهم » . وفي سنة ١٩٢٣ بعنوان « كاريكاتير الكتاب » . وفي سنة ١٩٢٨ بعنوان « كتاب القطر في المفاوضات المصرية الإنجليزية » .

وقدم لذلك بقلمه بهذه العبارة

« سبحان الخلاق العظيم القدير ، أن جعل لكل إنسان من هذه المليارات خالقاً ، لا يمكن أن يلتبس فيه الواحد بالآخر . وجعل في خلق بعض الناس معالم لا يكررها في غيره ففهم من لا يدل عليه إلا أنفه ، ومبهم من لا تعرفه إلا بقفاه ، أو جبهته ، أو ذقنه . وذلك لخروج هذه الأعضاء عن الاعتدال الخالق ، ومخالفتها شأبها في باقي الناس . وحين مسح الله بعضهم فإن هذا المسخ نفسه يظهر في أفعالهم وكلامهم .

« وإليك مثلاً » بعض الكتاب يكتب المقال لا يكتبه سواه ، ولا يمكن نسبه إلى غيره لالتصاقه بطبعه ، وموافقته لخلقه . وكما أنك تنظر إلى وجوه هؤلاء فيقع في نفسك منها معنى يدل على صفة خاصة لهم ، فإنك تجد هذا في كلامهم ، فلو قرأت سطرًا مما يكتبه أحدهم لعرفت صاحبه بمجرد وجدانك . . . وإني مورد أمثلة من ذلك مع أسماء أصحابها فقارها بكتابتهم ، وراجعت إذا شئت :

الدكتور طه حسين

هذه هي مقالة زعيم القوم ، والذي أخذ على نفسه زعامة القوم . ولم يتكلم متكلم القوم إلا لزعمة أن القوم هم الأمة . وأن الأمة إذا ذكرت فها هي إلا هؤلاء القوم

وهذه المقالة لا تدور إلا حول مقصد واحد . وهو أن هؤلاء القوم هم وخدمهم الشعب . والذين يحمون الشعب . وهم وخدمهم قادة الشعب وسادة الشعب . وليس عجيباً أن يزعم وليم أن الوفد خدم الأمة . وليس عجيباً أن يرغم وليم أن الوفد وكيل الأمة . وليس أيضاً لغير وليم أن يدعى ذلك . ويريد الوفد أن يقول إنه يستغنى عن البرلمان . وهو لا يستغنى عن البرلمان . لأن البرلمان غير الوفد والوفد غير البرلمان . ونريد نحن أن نقول للقوم إنكم مخطئون في عقيدتكم . ومخطئون في ظنكم . ونقول إنهم لا يتحركون إلا للشر . وإذا قلنا إنهم لا يتحركون إلا للشر فذلك لأننا نعلم أنهم إذا تحركوا لا يتحركون إلا للشر . ومع ذلك فإننا منتظرون للكلمة التي يقولها سعد . ويقولها وليم . ويقولها النحاس . ويقولها عاطف .^(١)

عباس محمود المقاد

أخذنا بالقرب اليسور حينما أردنا أن نتخذ من المفاوضات مقياساً صحيحاً نية الإنجليز . وإنما ولاريب في حل من التماس من القيود التي نخشاها ، وينذر بشرها أولئك النفير الذين احتكروا الإخلاص لمصر ، ولم يبق في القطر غيرهم يهرب جانبه وتنفذ كلمته . ماذا على مصر أن تتقدم خطوة إذا تقدمت مثلها إنجلترا .

إبراهيم عبد القادر المازني

الدكتاتوريات لا تستقر في الأذهان إلا عند القائمين في القياس مع الفارق . فإن سعدا بدكتاتوريته . ليس إلا دكتاتوراً ضد الأمة التي لا تستطيع معارضته طعناً في هذه الدكتاتورية .

وقلد أيضاً كثيرين غير هؤلاء . الذين اكتفيا بهم .

(١) سعد زغلول . وواهم مكرم ومصطفى النحاس . وعاطف بركات أعضاء الوفد المصري إذ ذاك .

مداعبات بيرم للشعراء

وابيرم التونسي مداعبات عدة ، « وقفشات » لأصدقائه من الشعراء
والكتاب .

وهي ألوان من اللباقة الفذة ، والعبقرية ، التي تميز بها « بيرم » في تحكه
في ميدان الشعر والزجل ، وصياغة الكلام ؟
ونورد للقارىء بعضا منها .

هذا لون بارع من ألوان المداعبة ، تناول فيه « بيرم » قصيدة أمير الشعراء
« أحر شوقي » التي عنوانها « منفاى بالأندلس » ، والتي مطلعها :

ياناتح الطلح أشباه عواديننا

نأسى لواديك أم نأسى لواديننا
ماذا قصصت علينا غير أن يدا

نالت جناحك جالت في حواشينا

رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا

أخا الغريب ، وظلا غير نادينا

..... الخ .

يداعب « بيرم » أمير الشعراء « شوقي » في هذه القصيدة ، بقوله :

ياناتح الطلح أشباه عواديننا

نأسى لواديك أم نأسى لواديننا

قال : يعنى « يانائح الطلح » احنا وانت واحد فى الأحران . حانعيط على أنفسنا والا عليك . . . والكلام ده ولا مؤاخذه زى كلام المعددين ، أو كلام النسوان لما يدخلوا عزاميت غريب ، ويسمعوا الندابة ، يقوموا يفتكروا رخرين مصابهم ، ويعيطوا .

ف « يانائح الطلح » دى تهوبش فى الصنعة . لعل القصيدة تبقى قال زى بتاعة أبو العلام مثلا ، لما يقول .. ياساهر البرق . ويا مفرد الغيث .

ماذا قصصت علينا غير أن يـدا

نالت جناحك جالت فى حواشينا

يعنى ما قاتش حاجة جديدة الأيادى اللى قصصت جناحك ، أو تفتته ، أو عوجته - هى بذاتها دخلت فى بطننا ، وفضلت تلعب .

أمير الشعراء عايز يقول اللى قاله فى البيت الأول ، ويستحى طبعاً يكرره زى ما هو . قام عمل للوادى جناح بالزور . وجاب له يد (ثلاثة) وبعدها قال : جالت فيه مش عارف ليه . • يعنى ياوادى الطلح اتأذينا إحنا الأثنين . وودنك منين ؟ من هنا

ويداعبه مرة أخرى فى قصيدته « شكسبير » التى مطلعها :

أعلى الممالك ما كرسية الماء وما دعامة بالحق سماء

* * *

ويداعب « شوقى » أيضا ، فيعارض له نشيده القومى الذى كان قد صاغه فى عام ١٩٢٤ ومنح له الجائزة الأولى ، والذى مطلعته :

بنى مصر مكانكمو هيا فيها مهدوا للملك هيا

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس. بغيرها للعز ركن
• السخ

فيكتب في مجلة الشباب إذ ذاك بعنوان « نشيدنا نحن » . .

بنى مصر مكانكم تهبها فهبها واحضروا بالفجل هبها

على الرفين ماجور وصحرى وطنجير وفيه الرز سخن

عليه لكم بوادى النيل سمن وصلصتها إلى طلعت شويا

تطاول قرعنا لونا وسعرا كلوه كله حلقا وقعرا

وناموا واملاً والثقلين شخرا يعم عصبة الأمم الرقيا

فإذا قولكم في ذا المجال وعندى الكيف يؤخذ في الهلال

وخدامى كصف من سحالى يزق البربرى البربريا

وهذا لون آخر في صورة أخرى ، يعارض بها المرحوم الشاعر الحاج

« محمد المرأوى » ، الذى كانت بعض قصائده على الأسلوب الذى عارضه

فيه بيرم .

يقول « بيرم »

وهل أنت القائل ؟

تسير لا بالفرس

سيارة بالنفس

فقال : نعم ، ولا نخر

فقلت : وهل قلت أيضا ؟ :

حقيقتي صنعتها من الحرير الأبيض
وضعت فيها حاجتي حلتها بمقبض

فقال : وهذا أيضاً من قولنا البديع . فلم يبق عندي من شبهة في أنه الهراوى
ضخم القذال والجبهة .

فقلت لأصحابه ، والمنتظرين لكتابه : سأسمعكم سحرا حالالا ، أنشده ارنجالا
وإذا سمى صاحبهم هراءه شعراً ، فلا عجب إذا سميت قولي سحرا . ولكم أن
تقترحوا الموضوع ، لتروا كيف يفيض ينبوع .. فأشار أحدهم إلى فتاة تسير ،
ذات وجه منير ، وقال : صف هذه الأنسة ، الذاهبة إلى المدرسة . لتكون قد
جريت معه في ميدان واحد ، فنعرف أيكما المجيد الماجد .. فقلت :

أنظر إلى الفتاة سيِّدة البنات
تسير في الطريق بالأدب الحقيقي
في يدها منديل مطرز جميل
فتانها حرير وشعرها غزير
في وسطه شريط مركب بسيط
قوامها لطيف ودمها خفيف
وجنتها حمراء وعيها سوداء
في رجليها حذاء ملمع وضياء
تمشي على الرصيف في غير ما تحريف
وخلفها غلام أباه خدام
مشيته عجيبه ويحمل الحقيبة

يمشى بعيدا عنها وليس يدنو منها

..... الخ

فقالوا والله لقد حذوت حذوه ، وسابته فضله عنوة . ولئن كان شعره لطيفا
فشعرك أطف . وإن كان شعرك سخيفا فشعره أسخف . فقلت كلاهما بالبين ،
ولعنة الله على الإثنين . وإذا كان هذا ما يقوله الشعراء ، فليس لهم غير الصفع
بالحذاء على الأتقاء .

من أشعر الشعراء

وهذه صورة من صور « بيرم » ، أو عز اليه بها شيطان خياله فداعب فيها
أ أكبر مجموعة من أساطين الشعر الذين عرفوا في عصره . متخيرا لسكل واحد
مهم الصفة التي تلتصق به :



قال :

سئل أديب كبير من كبار الأدبانية ، يسكن سوق الليمون ، ويسرح جهة
الحسينية ، من أشعر الشعراء في مصر الفيحاء . فأجاب :

شوقى بك إذا شرب

والحاج محمد الهراوى إذا هرب .

وعبد القادر افندى المازى إذا تعب .

وعباس افندى العقاد إن كان بأتب .

وخليل افندى مطران إن ظل فى حلب

وحافظ بك إبراهيم لو تمجلس على الكنب .

وأحمد أفندي نسيم في دار الكتب .
وأحمد أفندي رامي إذا ولول وندب .
وعبد الرحمن أفندي شكري لو قرأ مهابة الأدب
والشيخ ابراهيم الدباغ كلما نظر إلى العنب .
والشيخ عبد المطلب إذا أرخى العذب .
وأحمد أفندي الكاشف إن سار على نهج ابراهيم بك العرب .
وأحمد أفندي محرم لو كان من أرباب العزب
ومحمود أفندي عماد لو عرف السبب .
وحسن أفندي الدرر لو ضم الركب من غير تعب
ومصطفى أفندي صادق الرافي لو سمع فطرب
والشيخ الهياوي لو خطى العتب .



أسرة « بيرم التونسي » وأحفاده .

بيرم في الرثاء

وإذا كان الشاعر يعترف له بجدارته في فن الشعر حين يجيد الرثاء ، الذي يعدونه ميزاناً لمقدرة الشاعر والأديب . فقد أثبت « بيرم التونسي » هذه الجدارة في مرثيته المختلفة التي ننقل منها المقارى : بعض الصور البارعة .

ونبدأ بأولها ، وهي قطعة من الزجل النابض بالبلاغة والبيان ، يرثى بها أمير الشعراء المرحوم « أحمد شوقي » ، وقد أقيمت في حفلة تأيينه التي أقامتها الجالية المصرية في باريس .

ويقول فيها :

مكتوب لى فى الغيب مصيبة والغيب عن العبد خافى
تطول حياتى الكئيبة . أوارثى أمير القوافى
يا شوقى ساءة زهية MisrFone النـاـيا توافى
عزيز على الشرق بات له الشرق صارخ ولاطم
وقفت أرثيك بصوتى والصوت على البعد خافت
موتك ، وياريتك موته موتى أنطق لساب كل ساكت
ومين ما يسمع خفوتى فى ميمك ما ناحت
النواحين فى البوادي والمنشدين فى العواصم
شعوب محمد وعيسى لهم مـذاهب مـذاهب
جامع يخالف كنيسة وشيخ على عكس راهب

قروا صحايف نفيسة لك فيها وحى الواهب
الكل صلوا عليها القبعات والعايم
تسال باريس عن غيابك ويات عارف جوابها
دى مكتبك فى شبابك وملعبك فى شبابها
وصفتها فى كتابك يوم كنت تحشى خرابها
لو كان تقدر جميلك تنصب عليك الميام
من جالك وزارك فى دارك وقال يا دار ابن هانى
يقول لقبرك مبارك اقبل يا قبر التهانى
يا قبر طال افتخارك على القبور والبنى
فيك الأمير اللى ساهر فيك الأمير اللى نايم

وفى هذه القطعة الثانية يخاطب الفرعون « توت عنخ آمون » رائيًا ، وكأنه يتحدى برثائه له ما نظمه عنه الشعراء ، وفى طليعتهم أميرهم « شوقى » الذى رثى هذا الفرعون بأكثر من قصيدة من روائع الشعر

ويقول « بيرم » بعنوان « توت عنخ آمون » :

من عهد ما كفنوك فى القبر يا فرعون

داست بلادك ملل من كل شكل ولون

وخلصوا منا تار موسى وتار هارون

وبعد جور الزمان واللى حكم فينا

ظهرت لما بقالك فى المنامة قرون

متس عيب عليك تستخبي نصف مليون حول
وكل من جه بلادك يسأل أو الهول
لا يبوح بسرك لا بمشاوره ولا بالقول
وجا الزمان اللي بيلاقوا المناجم فيه
عتر عليك لورد ييفتش على البترول

في مصر كنت الملك لك جيش ولك حامية
وأمة غير أمتك ما تزرع البامبيسة
ودولة غير دولتك ما تعمل المومبيسة
ولما خشوا عليك المقبرة يلاقوك
نايم مفتوح . ولكن في بلد عامية

ثم يرثي « بيرم » نابغة الأغاني والألحان المرحوم الأستاذ « سيد درويش » :

من غيابك يوم وداعي كنت با كتب لك عتاب
وانت لي مخلص وداعي أنتظر منك جواب
شفت اسمك في المناعي واللقا يوم المعاد
لما حظي كان وجودك خيت حظي القبور
وأمحى ميعاد صعودك والتجلى والسرور
وانت يا سيد وعودك المصور في الفؤاد
أنا أبكي لاجل منك وانذب العمر الطويل
واسهر الليل لاجل فنك في المعازي والعيول
واسأل القيثارة عنك يا لى أنطقت الجواد
إن خلت منك أماكن فيها أسمع لك حنين

أنت جوه القلب ساكن إستمع مني الأنين
 لك في قلبي دق لكن دقة النار والزناد
 مصر ما تميل والله بعدك الحسيني والحجاز
 والعراق من بعد بعدك يتحرق راخر بجاز
 أنت في الفردوس لوحدك والمصاب عا البلاد
 أنا إن سألت دموعي كان مرادى أكون فداك
 والاهت نار ضلوعي أفكر أوقات هواك
 وافكر ساعة رجوعي لما اشوف نارك رماد

ويرثي الطيارين المصريين « فؤاد حجاج » وزميله « دوس » الذين سقطت
 بهما الطائرة الأولى التي ركبها؛ من لندن إلى القاهرة، وكانا أول طليعة لفريق
 الطيران المصري :

البحر ماج بالسفينة حتى غلب ريحنا والجو أهو ماج
 نحن فوق السحاب تلمب بأرواحنا طيارين في أبراج
 باب السما ، وانفتح ، والناس بتجرحنا فين دوس وحجاج
 فين دوس وحجاج ، قالوا لي في الطريق جاين ركك على الصبر
 طيارين في أبراج وخاطرك يتجبر يا حزين يا طالب الصبر
 والجو أهو ماج وليه حجاج ودوس داخلين يتحطوا في التبر
 يتحطوا في القبر هويين من أعالي الريح الريح دا غدار
 يا طالب الصبر قدامك مناك في ضريح الموت ما هوش عار
 ركك على الصبر ، دوز ماتوا ، وهم بجارح صابرين على النار

على الأرعول



وهذا نوع من الأدب الشعبي ، انفرد به « يرم » في استخدام أسلوبه لعلاج موضوع من الموضوعات الهامة . بعد أن كان الشائع في هذا النوع أن يتناقله الناس ألواناً من الأغاني الشعبية في الفرام والهيام ، والحنين والشوق كتب بهذا الأسلوب كثيرون قبل « يرم » بل كان الناس من رواد المقاهي ، من منذ قرن من الزمان ، يقضون سهراتهم في الاستماع إلى عازف الأرعول ، وهو يشنفهم بمثل هذه الأهازيج .

وقد ورد في مجلة كان اسمها « الأرعول » كثير من أشباه الأسلوب الذي

تناول به « بيرم » بمصر لمحاته ، وقد ظهرت الأرعول في أول القرن العشرين ،
م اختفت

ونستمع إلى « بيرم » في نظمه « على الأرعول » إلى قطعتين نوردها على
سبيل المثال من كثيرات غيرها
الأولى عن الاستعمار في شتى صورته في بلاد الشرق .

والثانية : تصوير لحالة « بيرم » في المنفى ، بعد أن أخرج من مصر . وقد
كتبها في نفيه الثاني ، ويلمح فيها بالعتاب الرقيق ، ويشير إلى كفايته في فن
الأدب ، حتى مثل نفسه حقا بموليير الشاعر الفرنسي الساخر

الاستعمار

الأولة آه

والثانية آه ...

والثالثة آه ...



الأولة . شطبت تونس من الإسلام

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام

الأولة . شطبت تونس من الإسلام . وجزاير

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام . بأشاير

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام . بذخاير

الأولة . شطبت تونس من الإسلام . وجزاير . طواها البين .

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام . بأشاير . وغمزة عين .

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام . بذخاير وطيارتين .

الأولة . لنا كل المسلمين صارت . خدم وعبيد .
والثانية . حضوا بناتهم قشلاقات فارت بنار وحديد .
والثالثة . أسعارنا فى سوق الفتم بارت . مهارة العيد .

الأولة . أمة خايبة والتاريخ معلوم
والثانية . جات ضربة صايبة . من بلاد الروم .
والثالثة . قول جاتنا نايبة . والكلام مفهوم .

الأولة آه .. والثانية آه .. والثالثة آه

أنين وعتاب



الأولة آه .

والثانية آه .

والثالثة آه .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدونى .

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلونى .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى . جزاة الخير .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدونى . وحتى الغير

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلونى . وانا مولير .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى . جزاة الخير . وإحسانى .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدوني . وحتى الغير . ماصافاني .
والثالثة : باريس . وفي باريس . جهلوني . وانا مولير . في زمانى

الأولة : شربنى من فراقها كاس . بمرارة .
والثانية : آه فرجتى عاجلجال ينداس . ياخسارة .
والثالثة : ياناس ياريتنى كان لى فيها ناس . وإدارة .

الأولة آه . . الثانية آه . . والثالثة آه . .

الأولة : اشتكيها لى أجرى النيل .
والثانية : دعى عليها غرق الباستيل .
والثالثة : لطشت فيها ممثل وذليل .

الأولة آه . . والثانية آه . . والثالثة آه . .



« قد ا كتملت للأستاذ « محمود بيرم
التونسى » موهبة ودرية فى التعبير بالعامية عن
امتجابته للحياة من حوله . فكانت آثاره
فنأ رفيفاً من الأدب ، فيه لذة وإمتاع » .

محمود نيمور

على الربابة



وهذا أيضاً نوع آخر مما اختاره « بيرم » للتعبير عن خوالج نفسه فيما يخترنه من صور الاصلاح . وقد وضع عنوانه « على الربابة » ، ويجارى به ذلك الأسلوب الطريف من الأدب الشعبي ، في الأقوال التي يصوغها « جماعة القوالين » كما يعرفهم أهل الريف ، ويشدو بها عازف الربابة .

ومنها هذه القطعة بعنوان « الرياضة » ، وهي على غرار أشعار الحكمة المعروفة :

الرياضة

الى الزمان ربه دا يصبح جامد

واللى الغرام سواه ، دا يصبح سايح

ياما فى سواد الليل ثفت مصايب

وجيت بياض الصبح أكتب نصايح

ومن يبوح لك يوم بسر ضميره

حاسب تكون مثله بسرك بايخ

الناس رأيتها اليوم ، من ديب عاوى

قارص عليه الجوع ، ومن كلب نايخ

أعد فى ركن البيت إن كنت قاعد

وروح على الأموات إن كنت رايح

ولا تقبل الإحسان من ابن لثيمة

يجعل من الإحسان سبب الفضايح

ولا تعمل المعروف فى غير ابن جنسك

النيل يروح ما بيان فى بحر مالـح

دا عيب على الأجاويد يدوس فى حمام

قاطع طريق هـاب ، ويطالع رايح

وعيب على المقاديم تنفص جيوهم

لصوص غجر ، والبنك فى مصر فاتح

وعيب على البهوات يوطوا رؤسهم
للى دخل الامتيازات يناطح
خشت لها الأندال تمس دمانا
ولا فيش طيب ما هر يسد الجرايح
وجات أمم فواتير تسن نياها
شبت، وبشمت. من طيخنا الفايح
يا أمة الأهرام شدى عزائمك
دانتي ميزانك فى الأولمبيك راجح

وهذه القطعة بعنوان « المنبوذين »، ويصور بها حال البلاد فى أيام العهد
البائد، وما كان سائداً فيها من عبث وفوضى، مما أصلحته الثورة فى
عهدنا الحاضر.



يا منبوذين الهند كفوا دموعكم
دى مصر فيها المنبوذين ملايين
من منبوذين حافين يلهوا سبارس
ومنبوذين ما سحين جزم دايرين
ومنبوذين شباب معاهم شهايد
حرم عليهم يدخلوا الدواوين
ومنبوذين سوان، وضابط مباحث
داير وراه من كمين لكين.

ومنبوذين في البيت عشام فلافل

في العيد ، وأيام السنة جايعين

يا غاندى يكفى الصوم تعال بلادنا

شوف اللي فيها من زمان صايمين

إنت لقيت الملح ، أما الكنانة

الملح ميري ، واللى يهب مير

لوجيت في وسط القوم تبقى مطاوع

ولا الزناني كاسر الكاسرين

ياريت تعلمنا صناعة المغازل

ما احلى المغازل والمنازل طيب

بلد ذهبها انشال ، وذهبها ان حالها ،

ولسه فيها الانجليز قاعدين

وقطعة أخرى بعنوان «الشهادة» ، وضعها على لسان فتى من الخائبين . يركز

أحلامه على الوظيفة التي لاينالها ، مع آمال « بيرم » في تحقيق النهضة الصناعية

التي تقضى على عطل الشبان .

الشهادة

يقول الفتى المصرى بتاع المدارس

العائق ، الكابتين ، بتاع التيم

يامين يبادلنى ، وياخد شهادتى

مجلبية ، والا بالطوق قديم

واخذ شهادتين ، ابتدأى وثانوى
ومش عارف اكسب ولا مله
تسع سنين فى الحسط والشقا
ياريت أهلى كانوا ربوا بهم
والله بهم يولد ، وينباع ، ويندج
ولا يلزمه غير حزمة البرسيم
باع لى أبويه النصر بيت اللى حيلته
وأمى رخرة باعت المباريم
سوق الوظائف فىن ، ياطاهرة ياسيدة
شبت دوخنة ، واكتفيت تلطم
حافظ بروجرام الصياغة الموضب
توضيب مهندس مستخى لثيم
يطلع التلميذ بين البنت والوالد
لا هو صاحب صنعة ولا هو غشيم
ابعت لنا الفباريك إلهى من السما
هيه اللى تفنى فقرنا يا كريم

فوازير رمضان

وبرع بيرم في نظم نوع «الفوازير» بالزجل، وكان موفقاً في صياغة «الفزورة» وإحاطة المقصود بها بسياج من التمرية اللطيف في حبه وتكوينه . وكانت لباقة من « بيرم » لا تجارى، بحيث أنه بعد أن أذيع له الكثير من هذه الفوازير ، وبالأخص في شهر رمضان المباركة، أصبح من المتعذر لغيره، بعد موته، أن يمارس هذا النوع ، نخفة الروح والمقدرة التي انطبع بها أسلوب « بيرم » .

وننقل بعض ألوان من هذه الفوازير :

رمضان يبقول لى واحدة تلاية

قدامى أميرة ومصيبة ورايا

تمدحنى فى وشى وتقول لى يا آية

وعيوبى الفارغمة تعملها رواية

والمثل السائر تقولوه ويايه

والمثل السائر هو

« فى الوش مراية وفى القفا سلاية »

* * *

بهية قالت لجوزها عيد وادى الثانى

توعدى بالكحك وتخالف وتجفانى

راح النحاس مبيض حلل وصوانى

وشحت منخل مع غربال آه يانى

وجم يساعدونى أحبابى وجـيرانى

وانت لا السمن جبته ولا الدقيق جانى

والمثل السائر هو

« عثمتى بالخلق خربت أنا ودانى »

• • •

أم بهية جوزها ديباب

أهمـل نفسه وهو شباب

وبقت عيشته عذاب فى عذاب

لا نفع بنـاب ولا بواب

فكر يبقى من الكتاب

رمضان شافه ماسك له كتاب

قال كـاب مـ الأول يادياب

والمثل السائر:

« بعد ماشاب ودوه الكتاب »

* * *

يستعجب عمك رمضان ع الست الحاجة أم هلال

وصاحبنا هلال المسكين مارزقش لا شكل ولا جمال

خطبت له وشافت جمالات وتقوم ولا يعجبها الحال

يا بختك بامك يا هلال

والمثل السائر:

« القرد في عين أمه غزال »

* * *

رقية جاهها ثلاث عرسان

واحد بيتباهى بنجماله

والثاني طيب وف حاله

والثالث اللي رضيت به

جذبهها بس بأمواله

سنتين ثلاثة راح المال

وأهل زمام إيه قالوا

والمثل السائر:

« ياللي خاطب القرد ناله يروح المال

ويبقى القرد على حاله »

* * *

وهذا لون آخر من فوازير « بيرم » ، ننقل منه هذه الأمثلة :

أنا شفت عروسة جميلة وطويلة طويلة طويلة

حلاوتها أمات تطوق ثلاثين ليلة وتزوق

بعقود لولى وكردان ثلاثين ليلة رمضان

« وحل الفزورة هو المئذنة »

شهر شهير أشهر من نار كفه فسح ، كفه أسفار
كفه جمال ، كفه أزهار تتمناه كل الشبان
بس يئام مالهشى أوان لا هو نوفمبر ، ولا هو
ديسمبر ، ولا هو يناير ، ولا فبراير ، ولا شعبان ، ولا رمضان
« وحل الفوزرة هو شهر العسل »

ولون ثالث ، ننقل منه :

فا كفة كبيرة قد السلة بيها نحلى ، وبيها تنسلى
اللى يدوقها ينسى القلة

« وحل الفوزرة هو : البطيخة »



مسفرته ولا بسة طرطور كاتش ، يسقيها المية
أغمرها نعيه تبكى والدمع يسزل فى عينه
« وحل الفوزرة هو : القطارة »

المقامات الشعبية

حاكى « بيرم » النمط الذى كان ابتدعه الشاعران « بديع الزمان الهمزاني » ، و « الحريري » ، فيما سمياه المقامات ، وهو ذلك الأسلوب من الأدب المسجوع المرصع بالشعر بيد أن « بيرم » ، فى مقاماته . يتميز بخفة الروح ، مع النكتة البارعة ، والفكاهة اللطيفة ، مستخدماً الألفاظ المثيرة فى تصوير عجيب يعز على غيره أن يبلغ غايته ناهيك بمقدرته الفائقة فى صياغة الشعر الرصين ، بثتى أنغامه التى تتمشى مع الموضوع .

وقد كتب « بيرم » فى هذا النوع من الأدب حوالى المائتين من هذه المقامات . فى شتى المناسبات ، وهى بلا شك ثروة كبيرة للأدب العربى والأدب الشعبى معاً



ونذكر منها ، على سبيل المثال

للقامة : القرش صاغية . والفلوسية . والجنيهاتية . والرغيفية . والصندوتشية .
والعيشية والاقتصادية والشوالية . والبيجامية ، والحجابية والأسفنجية .
والليلية . والسفورية . والسرية . والشتائية . والبربرية . والشعرية والريفية .
والصندوقية . والسكانونية . والزيتية . والبريدية . والأفوكاتية . والهرأوية . والأفندية
والمنزيرية . والفلسفية ، والشيطانية . والنحاسية . والرأسية . والترموائية . والترزية .
والفلوكية . واللومانية . والمنصورية . والحربية . والوطنية . والتحريرية . والبرلمانية .
والطابعية . والفرنجية . والأمريكانية . الخ . . .

وننقل للقارىء لونا من هذا النوع من الأدب :

المقامة الشعرية

حدث الحاذق بن قزمان . قال :

جلسنا دسة من المشايخ البهاليل ، في جهة على شاطئ النيل . وكلنا فصيح
شاعر ، وأديب واعر . عارف بالاستعارة والتشبيه ، والإطلاق والتوجيه . والترديد
والتوشيح ، والتفويف والترصيع . وحفظ الصرف والنحو ، بلا خطأ أو غلت أو سهو .

فقال أحدنا :

إن الجلوس على شطوط الأنهار ، والاستظللال بفصون الأشجار ، شئ يفتق
الأذهان والأفكار . فليقل كل منا ما يقدر عليه ، وهذا الحاذق بن قزمان
نحتكم إليه .

فقال آخر ، وكان أنشطنا همه ، وأكبرنا عمة :

ما بالنا أيها المشايخ جامدين ، وبأفكار القدماء متمسكين . مائنا والعبسى
والجعدى ، والقيسى والسعدى . وأين نحن من ذلك العصر ، وأين صنعاء والخيرة
من الإسكندرية ومصر . وإذا وصف العرب الناقة والجل فما لنا لا نصف الوابور
والترام . وإن وصفوا السماء والأمطار ، فلنصف نحن الكهرباء والبخار . وبهذا
ترقى مدارك الشعب ، ويسهل على الناشئة كل صعب . فإن رقى الأمم موكول
إلى ذوى العمم .

فقال الثالث : نعم وإن ما أصابنا من العذاب الأليم ، لم يكن إلا من
إتباعنا للقديم .

وقال الرابع نحو ما قالوا . وكال الخامس مثل ما قالوا .

فاتفقوا بالإجماع ، على أن يصف كل منهم ما يعجبه من اختراع . فجلسوا
يحكون الجباه ، ويعضون الشفاه . فكان بعضهم يتمم ويكتب ، والآخر

يلبس ويشطب .. فلما فرغوا أعطاني أحدم ورقته ، وكان وجهه كقعر الوابور ،
وشفته كحرف الماجور . وذا كان يظن نفسه أحد الأعلام العظام ، قال
يصف الترام :

إب ارتكانا على لوح من الخشب
لم يبق شخصا من الأشخاص في تعب
لله هـذا ترام حين تركبه
تستغن حقا عن الأفراس والنجب
إب الترام عجيب حين يخرج من
شبرا ، فكالوت ، فاليسدان . فالعقب

فوقعت تحتها :



من كان همته تكبير عمته

لحسبه صنعة الافتاء لا الأدب

قبح الله شعرك ، وأرخص سعرك ...

وتقدم الثاني ، وهو قدم بفيض ، ولكنه ينتحل القريض ، ولما كان بلحية
بهائية ، قال يصف الأنوار الكهربائية :

بشرى ، فقد وصف الأستاذ ماقدرا

شمس الكواكب في أفق العلا طلعا

تضيء في الليل والعداد يحسبها

الساعة ان بليم فواعجها

لها كذلك زر شأنه عجب
ضيئها الزر طرا كلما افتحها

فوقعت تحتها

لو أن ذقنك هكذا ، نتفت
ولو قذا لك هكذا صفا
وإن مفتشا هذه قوافيه ، فصبوا الرصاص في فيه .

وتقدم الثالث : وهو ذو وجه مستدير كالرغيف ، ولحية حمراء كالليف .
يعتلى كل منبر ، ويحمل معه المنزول والعنبر . ولما كان مكثرا للمشي والطواف ،
قال يصف التفراف :



على الإسلام والدنيا السلام
إذا بالسلك ينتقل الكلام

أرى الأفرنج قد قامت ونما
وقبلا طالما قننا وناموا
ألا يا قوم هبوا من رقاد
فصر اليوم يسمعا الثام
فوقعت تحتها :

ألا قبحت من شيخ خطيب
يضم مراق معدته الحزام
إن تعنجهت فلست غريبا ، وإن تفلسفت فلست عصرياً .

ثم تقدم الرابع ، وهو شاعر مطبوع بأقبح طابع . له أسلوب عنقري ، وألفاظ
أنفها كالحجر الفنتري ، فأما هو فإنه كالبربري . وقال يصف الباخرة :

الفلك فوق فقايع البحر
عجبا بغير صنيجة تحرى
مدشققاً في اليم تدفعه
مجدولة الأطراف في القمر
يتنفس الصعداء تحبسه
متعرجاً من شدة الوقر
فوقت تحمها :

فاذا صعدت عليه منفرداً
أغرقته من ذلك الشعر
أنت يا هذا ناعق أو ناعر ، ولست بشاعر

ثم تقدم الخامس . وهو شيخ نصفه قفا ، والنصف اختفى . ولما كان من
منفلوط أو سمالوط ، قال يصف التليفون والحيوط :

يا يراعى أسعد يميني وانظم
في التليفون هذه الأشعارا
وتوخ السهل المنيع وحاذر
أن ترى يا يراعنا مهذارا
هذه آلة التكلم دقت
بتغن وحركت أوتارها

فوقعت تحتها :

لو نظمت الدموع من عبرات ال

شعر درا ما ما كنت إلا حمارا

الشهرة إن كانت قبيحة ، فليس وراءها إلا الفضيحة .

قالوا : قد عبتنا جميعاً ، وهجوتنا هجواً شنيعاً فأسمعنا أشعارك ، وأرنا

ذوقك واختيارك .

فقلت : ليس عندي إلا ما علمتم ، تسمعونه كلما نظمتكم ، فإذا بعدتم بعدنا ،

وإن عدتم عدنا .



إن التعبير بالعامية فن ، كالتعبير بالفصحى سواء بسواء ، فليس كل ناطق بالعامية ، أو محسن للعربية مستطيع أن يكتب أدباً في تعبير فني ، وكما أن الكتابة بالفصحى موهبة ودرية كذلك الكتابة بالعامية . ولا بد لكل منهما أن تتوافر لها خصائص التأثير والإبلاغ .

وطبيعي أن تتفاوت الدرجة فيهما بين كاتب وكاتب ، حتى يسمو التعبير إلى ذروة الروعة والإبداع .

محمود نجور

السيد ومراته في باريس

هذا عنوان لكتاب أخرجه المرحوم « بيرم » باللغة العامية . وهو تخيل لقصة رجل من أولاد البلد ، سحب امرأته « بنت البلد » إلى باريس . فدارت بينهما هناك أحاديث الوقائع التي تناوها « بيرم » بتحليله العجيب ، ومقارناته بين الحياتين في القاهرة وباريس ، في ذلك العهد الذي وقعت فيه الأحداث . وشحن « بيرم » قصته البلدية هذه بالأحداث المثيرة ، المطعمة بالفكاهة والتصوير الدقيق ، الذي هو أقرب إلى الكاريكاتور البارخ . مع تسجيل الواقعية بشجاعة وجرأة ، في أسلوب مسلسل شجي العبارة لطيف السرد .

وقد طبع هذا الكتاب مرتين . وكتب على غلاف الطبعة الثانية : « هذا الكتاب مقرر بجامعة اللغات الشرقية في برلين لدراسة اللهجة العامية المصرية » . وإذا علمنا هذا ، أدركنا كيف قدرت الأوساط العلمية هذا الكتاب بأسنوبه العامي التميز ، حتى أصبح موضع عناية الجامعات . على أن جامعة اللغات الشرقية ببرلين ليست وحدها التي قررت له للدراسة ، فقد قرر أيضاً في جامعة السربون بباريس وجامعة موسكو .

ويقع هذا الكتاب في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط ، وكان يباع بعشرة مليمات .

ولبيرم كتاب آخر في مثل غرضه وموضوعه ، ولكن اسمه « السيد ومراته

في مصر » .

صور منتقاة من كتاب السيد ومراته في باريس

(النظافة)

— كده— و يا راجل تقلعني ملايتي و برقي و تخليني أمشي في
السكة عريانة ؟

— عايزة تمشي في باريس بالملاية والبرقع عشان تلمى علينا الناس؟ ما كنا
أحسن نجيب معانا قرد و حمار لاجل تكمل الفرجة . إنتي كده وانتي عريانة
تبقى مستورة أكثر . واحدة في وسط ٤ مليون . ما حدش عارفك إن كنتي
من مصر والا من قبرص .

— و حانروح على فين دلوقت ؟

— عاللوكاندة . نتفدى و بعدين نروح عالييت اللي أجرناه . بس من
فضلك ما تمشيش تهزى لحملك زى ما بتعملوا في السد البرانى . إمشى ضوغرى
زى خلق الله اللي قدامك .

— البلاد ياخويا نضيفه قوى شوف دى الشوارع الحلوة تلحس من عليها العسل .
— الشوارع نضيفه لأن الشعب نضيف . ونا يبقى الشعب وسخ ، وكل واحد
يرمى في الأرض اللي يقدره عليه ربنا من قشر خس ، وزعازيع قصب ، وورقة
فيها قشر سمك ، الشارع يبقى مزبلة واديكي عارفة الكناسين طول النهار يعموا
عينون الناس بالمكاس ولا فيش فايده . الخيرات برضه نازلة زى المطر .
— خيرات ؟

— أيوه . ما هي الكناسة عندنا علامة الخير . كل من طبخت لها طبخة
يجى في عز الضهر الاحمر وترمى كناسها من رابع دور تحدث بنعمة الله . يعني
اتفرجوا ياناس على ريش الوزه اللي دبجناها . وعلى قشر البدنجان اللي لسه طرفه .

وعلى علب السردين اللى جابها الأفدى . لأ والجماعة اللى قاعدين فى الدكا كين
رخرين ، الله عليهم لما الواحد منهم يتغدى قراميط وفجل وبرتقان . ويروح
مكعب الورقة ويطوحها فى الشارع على آخر إيدته . تيجى فى صدغ واحد ماشى -
يا محمد ربنا ويسكت . يا يتلعن أبوه .

ويتحدث عن (البطاقات الشخصية)

وقد تنبأ بها من سنة ١٩٢٧

تقول الست لزوجها السيد :

— ورقتك أهه ! إوعى تضعيها . مانيش عارفه كان لزومها إيه . داهية
تغلبهم زى ما بيغلبوا الناس .

— دى يا ولية ورقة « الشخصية » ، لازم تبقى مع الفرنساوى والأجنبي ،
ومن غيرها ما يقدرش حد يمشى فى البلد ، ولا يشتغل ولا يعمل أى حاجة .
— حكم !..

— المسألة ما هيش داخله نحك ؟

— أبداً والنبي . إيه اللى كل واحد لازم يطلع ورقة شخصية . هو
احنا مشبوهين ؟

— إفرضى إن البوليس يفتش على واحدة حرامية . وعنده أوصافها . إنها
سمينة وشعرها إسود مكركت وعينها سود واسعين وبشلاضيم زيك . وعترفيكى -
مش يروح قابض عليكى ؟

— أنا ؟

— إذا كانت أوصافك زى الأوصاف اللى عنده يقبض عليكى وعلى أبوكى -

لكن أمتكون معاكي الورقة دي اللي عاطيها لك الحكومة، وفيها إسمك وصورتك
وبلدك في الحال يعرف حقيقتك . ولا يمدش إيداه عليكى .

— قلت لى .

— آه آمال هوه إيه . وافرضى إنك اتسيتى في الليل . ومشيتى من حته
وحشة . وافتكر البوليس إنك واحدة من إياهم . إيه ينجيكي إلا الورقة دي ؟
بلاش كده . إذا أمك بمنت لك حوالة مالية على البوستة والا عا البنك من
غير الورقة دي ما تعرفيش تقبضها ولو تجيبى ميت ألف شاهد يشهدوا إنك
السيدة بنت اسماعيل عبد الرحمن الشهير بالزنج . وانا راحر إذا كان ما معايش
ورقة زى دي ما حدش يشغلنى

— دي والنبي مضايقة . دي بس عشان ياخدوا عشرين فرنك من كل

واحد . والرجل اللي يشتغل راحر يبقى مشبوه ؟

— إفرضى إن واحد سرق سرقة أو قتل واحد . وعاز يزوغ في فابريكة
متطرفة . أو يشتغل . ويا كل ويشرب وينبسط . والبوليس داير يفتش عليه
ليل ونهار . لأن اللي شغلوه مش عارفين حقيقته

— على شان كده بقى !

— كده وغير كده . يلزم كل واحد على وجه الأرض يكون معروف
مين هوه . مش هرجلة ، مقشردين من كل ملة وجنس ، وحرامية . من كل بلد،
وهيصة ما حدش عارف لها أول من آخر

لو كانت حكومتنا تعمل الحكاية دي تستريح وتريح خلق الله . أولا
ما تتعش هيه في التفتيش عن اللي عازاه . وثانياً تريح الناس من البيات
في الكركونات بالليلتين والثلاثة . على ماييجى شيخ الحارة ويشهد إن ده إبراهيم

دسوق إبراهيم وقاطن بحارة البجامون • ويلدع شيخ الحارة عشرة صناع . بقي
الأحسن كل واحد وواحدة عندنا يدفعوا العشرة صاغ للحكومة مرة واحدة في
السنة بدل ما يدفعوها لشيخ الحارة أربع مرات في السنة .

— واربع مرات في السنة ليه ؟

— هو حد عندنا يستغنى عن دخول السكر اكون . إذا ما دخلش متهم
يدخل شاهد أو مشبوه ، أو مجرور في عركة مالوش فيها يد ، أو بأى سبب آخر .
ودائماً شيخ الحارة هو اللي يضمنه ويطلعه .

(جهل المرأة وطمعها)

— طيب حا اسالك سؤال •

— إسأل •

— أخوكى يشتغل فين ؟

— في الجرك •

— عال . يشتغل إيه في الجرك •

— أنا عارفه •

— أهوده اللي أنا نابح حسى عليه • تعرفوا الحاجة بالجملة ، ولا تعرفوهاش
بالتفصيل • يعنى ما تنيش فاهمة إن كان في الجرك كشاف ، والا فتاح ،
والا كاتب قسايم ، والامتن والا بلا أزرق • كنت أشوف حماته راخر
مسكين تقف تشوح له بأديها وتقول له • جبت لها إيه نابها منك إيه ؟ الموظفين
في الحكومة كلهم عدلين ومريحين نسوانهم اشمعنى انت اللي خايب ؟ وتفضل
تردحله طول الليل وتخلي له البيت زى المورستان • لغاية ما يضطر ويختاس مبلغ

من العهدة اللي في إيده • ويجيب لبنها الصيفة اللازمة والمنتوهات اللازمة •
متيأ لي إنكم عاملين الجواز ده شغله تجيب فلوس وبس • والجوز في نظركم
زبون ملزوم يقدم ثمن البربشة والبصبة والمجانسة • خلى بالك الحاجات دي
هنا بلاش •

— أنا سا كته أهواتكلم زي ما يعجبك •

(عدم التدبير)

— من الساعة ٩ صباحاً ماتلاقيش في أوربا كلها واحد نايم في الفرش
إلا اللي في المستشفيات •

وعلى كده استعمرونا وشغلونا فعلة • ندحرج لهم راميل البيرة ونشيل بالات
القطن وما أشبهه •



— جيتي قد إيه كبدة؟

— كيلو بعشرة فرنك •

— لو كانوا العشرة فرنك في إيدي بنت باريسية كانت خلت بهم السفارة
تضرب قلب من الأصناف اللي عليها • يعني كان نص كيلو كفاية • وخرشوفتين
لطاف ينسلقوا ويتاكلوا بالزيت والقافل الأسود •

وخصاية بنسكة تنحط منفوشة جميلة في طبق كبير • غير ما تلاق هنا
حقة جينة • وهنا حقة زبدة • وهنا شوية فاكهة • وفي الوسط باقة أزهار
إن ما كانش عاجبك • تروحي تجيبي بالعشرة فرنك كلهم كبدة • جاكي
وجع في كبديك •

— الله يسامحك ياسي السيد •

(الرقص الأجنبي)

- رقصهم صنعة قوى .
- ما هم يتعلموه في مدارس مخصوصة .
- ما تعلمنى .
- إن شاء الله .
- إمتى ؟
- لما اشترى قرنين من السلخانة .
- مانيش عارفك إن كنت زعلان من الرقص والامبسوط .
- الرقص ذاته جميل . حركات رياضية تنفع الجسم . وفيه تفریح وسرور
يخففوا متاعب الحياة وغلبها . وناس بالشكل اللى انتى شايفاه ده يرقصوا مع
بعض بدون معرفة يبقوا ولا شك إخوان أحباب يتعاونوا فى كل شىء . لـكن
فين بقى الملايكة اللى ينظروا للرقص نظرة زى دى . خدى بالك م الواد اللى
معرض كتافه وملمع شعره . اتفرجى ازاي يرقص مع البنت الشقرة أم دراعات
عريانة ! حايا كلها ! شوفى أهو عمال يسألها وتجاوبه .
- بتقوله إيه يا ترى . ويقول لها إيه ؟
- مفيش غير بتعملى إيه . وما كنه فين . وأشوفك إمتى . وتعالى اشربى
حاجة معايا وهلم جراً .
- كده اشكمتك الكمتك .
- على طول .
- يغلبهم !..

— بقى ما فيش حاجة كويسة إلا ومعاها خمسين مصيبة • صدقيني إن
النظام الإسلامى أحسن نظام ظهر فى العالم • الراجل مايشوفش غير مراته • والمرة
ماشوفش غير جوزها • حتى لو كانوا الاثنين وحشين وشكلهم كئيب تلاقىهم
برضك يعجبوا بعض زى الجمعان اللى يتلذ بلقمة العيش والدقة • أما الشبعان يبقى
قرقان من كل شىء • كل مايشوف حاجة يقول فيه أحسن منها •

— قوم نروح حته تانية •

— الله يهديكى ويخليكى • مش نروح أحسن عالبيت نوضب لنا أكله
كويسة وندب فى الفرش •
— ياللا •

(غش التجارة)

— دول (فى باريس) تجار متنورين متعلمين • معظمهم يحملوا شهادات عليا،
ومتربين فى بيوتهم تربية أعلا • قبل ما يعرضوا البضاعة للبيع يحسبوا تكاليفها
وتكاليف المحل، ويقنعوا بربح بسيط جداً عشان يبيعوا كثير ويكسبوا كثير •
ويخلوا الزبون يطلع من عندهم ممنون وينوى يرجع لهم • لكن تعالى للتجار
أيام • الواحد منهم أمه والداه حرامى • السرقة غريزة فى دمه أباعن جده • فبدال
ما يعمل رئيس عصابة ويكسروا الأفعال وينقبوا الحيطان يفتح أحسن دكان بيع
وشرا ويجعله واسطة يهب بها اللى يقدر عليه • وتلاقى معظمهم من طبقة جاهلة
فتوات داقين على اديهم سبوعة وضبوعة ونخل وشجر مافيهش واحد يعرف
«نفسية» الزبون وهو داخل يشتري • أنا كانت تعجبني الحاجة فى دكان واحدمهم
وأقول يا واداشترى منه وخلى فلوسك مع أهل بلدك أحسن ماتدفعها لى بياخدوهم
ويحتقرونا • لكن أبص مالاقيش حاجة مكتوبة عليها ثمنها • فابتها كده سادة ..
بكام يا سيدى جوز الجزم ده ؟ فتلاقيه قبل ما يرد بهرش فى قفاه ، أو يمسح شنبه .

أو يبلغ ريقه ، على ما يفكر ويخمن ويفتن الثمن اللى يناسب شكلى . يقول له عقله
ياواد دا باين عليه لطح قول له ثمانين بدال ستين . وهيه ترسى على خمسين .
بركات وارسل ، أو باين عليه مناكف قول مية وخمسين وترسى على
خمسين . أو باين عليه مؤدب بن ذوات قول له بمية وترسى على ثمانين ، وأخيرا
ينطق بالكلمة اللى يلهمه بها الشيطان .

— فلوسك فى جيبك . ورد عليه بايعة وشارية . ما فيكش لسان .

— لا . أنا محبش أوجع قلبى . آخذ بعضى ودى ماشى عدل ، ألاقه بناديني
ويبعث ورايا صبيه ، أسبهم ينفلقوا وابق سامعهم بيلعنوا أبويه . هوه فيه حاجة
خاربة بيوت التجار عندنا غير كورهم يعرضوا بضايهم من غير ثمن ؟ إنتى
ما تلاقيش فى مصر كلها عشر محلات على بعضها بقى لهم عشرين سنة فآحين .
أعظم تاجر يقعد سنتين ثلاثة ويقفل . بينما المحلات الأفرنجية بتقعد لما يورثها
ولد الولد ، وتبدأ بدكان صغير مفيش بضاعة خمسين جنيه ، وتصبح دواير
وعزب وقابريكات وهم لا يحصى . هيه التجارة لعبة يا مسلين؟ لما يمسكها السيد
الشندوبلى أبو جلاية جوخ ، وعلى البرطشاوى أبو شتاب . و خليل أحمد خليل
وولده محمد . دول أولا يجهلوا فن عرض البضاعة ما فيهمش واحد يعرف يرتب
بضاعته ترتيب جميل يفتح نفس الزبون ٠٠٠٠٠ الخ .

(العمل الحر — الوظيفة)

— بكره الشهادات دول ينفوك لما ترجع مصر ، تشتغل بهم فى الحكومة

— أشتغل فىن ؟

— فى الحكومة .

— ليه ودراعى فىن ؟

— دراعك برضك معاك . إنما تلاقك شغلة في الحكومة قد بعشرة جنيه .
— دا العاجز الغلبان المخروع اللي يقف على باب الحكومة ويقول لها
شغليني .

— أمال ناوى تعمل إيه ؟

— أما نروح يجلها ربنا . دي بلادنا لسة زى المستعمرة الجديدة فيها ميت
ألف شغلة للى عايز يشتغل ويكسب ، بس اللي يفكر برواقه ويعرف يشتغل .
— مهما كان ما يجيش برضك زى الحكومة اللي تريقك كل سنة وتعمل
لك معاش

— أظن والله أعلم ما فيش حكومة في الدنيا ربنا مغلها بشعبها قد حكومتنا .
الأفندية وظيفنا يا حكومة . العمال شغلنا يا حكومة الفلاحين إزرعى لنا
يا حكومة . إنتم فاكرين إن الحكومة إله على كل شىء قدير . مع إن الحقيقة
ما فيش حد غلبان قد الحكومات ، لأنها هيه اللي بتمد إيدها وتأخذ من الشعب
عشان تبلط له الشارع ، وتركب القوانين ، وتحافظ على الأمن ، وتعلم الجاهلين ،
وتداوى العيانيين ، وغير كده ماهاش وظيفة ، وانتم وكنينا يا حكومة ، شرينا
يا حكومة ، جاتكم القرف في تربيتكم
والله يا شيخة عايز اخنق ألف مرة من شكلك وعينتك .
— هيه هيه . اشمعنى .

— أيوه لأنكم إنتم اللي بتربوا العيال عالبلادة والكسل ، ولا تتجوزوش
إلا الموظفين ، ولا تحترموش غير الموظفين . ولا تخافوش الا من الموظفين . تعالى
هنا اتفرجى على موظفين الحكومة ، تلاقهم كلهم ناس يا دوبك الواحد منهم
مستور يا كل ويشرب هو وعائلته ، والمكاسب الهايلة كلها بيكسبها الشعب
وأصحاب الفابريكات ، والمصانع والتجار ، دافيه ناس هنا الواحد منهم يكسب
ألف جنيه في اليوم بدون مبالغة . . .

يرم القصصى

وهذا مثال على مقدرة « يرم » فى تأليف القصص ، وصياغة الحوار بلباقة
و بلاغة ، وبيان معجز . وتنقل الفصل الأول من قصة له بعنوان « شافون » :

شافون

الفصل الأول

لأبى عبيدة منزل صغير على شاطئ الدجلة ، بعيد عن بغداد مسيرة ساعتين .
وهذا المنزل يقيم فيه كلما احتاج إلى الراحة والخلوة بأصدقائه الخصوصيين ، ولا يعلم
أحد غير هؤلاء شيناعن المنزل سوى جاريتين تقيان فيه ، إحداهما تدب اسمها « عبدة »
أهداها الرشيد إلى أبى عبيدة ، والأخرى بكر لم تبلغ الخامسة عشرة اشتراها
من سوق الرقيق ، وهى ديلمىة الأصل وتدعى « شافون » .

فى ليلة دامسة الظلام ، شديدة الحر ، استلقى أبوعبيدة على وسادة ، وقد خلع
عمامته وثيابه ، ووقفت الفتاة « شافون » على رأسه بالمروحة ، تهرها يمينا وشمالا ،
وتنظر بعينها الذابلتين إلى صلعتة المضيفة تحت المصباح ، بينما كانت الأخرى
تهبىء الطعام .

فى هذا السكون ، الذى ينعم به قوم ويشقى آخرون ، سمع من الخارج
صوت رجل يقول وهو يدق الباب بقوة :

يا هذه عجبلى نحوى ويا هذا

وأبعدا مضجعى عن كلب بغدادا

فاستقام أبو عبيدة جالساً ، وقال :
لقد جاء اللعين ، لعن الله حاجة جمعت بيني وبينه .

إفتحى يا جارية

فدخل الرجل فبادره أبو عبيدة :

مرحباً يا دعبل .

— السلام عليك يا شيخ السوء . أين النبيذ الذى وعدت ؟ والفناء الذى
وصفت ؟ والجوارى اللاتى نعت ؟

فقال أبو عبيدة ، وهو يتسهم ابتسامة يخفى بها ما داخله من الفيظ لهذا السبب .

— خذ مكانك أيها الشيطان . ثم سل ما تريد .

فأطال دعبل نظره فى المكان . فرأى طنفسة مطوية فى أحد الأركان .
فقتاؤها ، وفرشها بانحراف ، بعيداً عن أبي عبيدة . ثم وقف متحيراً كأنه يريد
شيئاً آخر . فنظر فجأة إلى الوسادة التى خلف أبي عبيدة ، فهجم عليها ، واجتذبها ،
ثم وضع شفته على الطنفسة ، وأخذ الوسادة تحت ساعديه ، وتقلب عليها قليلاً
ليستقر جسمه كما يريد . ثم نظر إلى أبي عبيدة باستخفاف ووقاحة قائلاً :

— أين إبراهيم الموصلى ؟

— كفى به يقدم الساعة . هل صنعت الشعر الذى أوصيتك به ؟

— لا عفاك الله .

— أين الواو يا وقع ؟

— هل تريد الواو أو الشعر ؟

— هات الشعر إن كان هناك منه شيء

— ماذا تريد ؟

— قلت لك من قبل إصنع لى شعراً على لسان عربية تنهى أخاها عن
المبارزة ، وشعراً آخر يجيب به . وليكن ذلك فى غير الرجز . . لأن الخليفة
يكرهه ويستخف براويه .

حانت من دعبل التفاتة رأى الفتاة الديلمية ، فنظرت اليه بابتسام يدل على
الإعجاب والانبهار

ولا عجب فقد كانت مع أبى عبيدة متضجرة من كبرياء الشيوخ ، وأنايتهم .
ولكن دعبل ، النشاط الخفيف الشائل ، غير ما بها وظهر عليها الارتياح ، حينما
أبصرته يقرب الطنفسة فعلمت أنه سيقضى عندهم وقتاً طويلاً . . فحملق فيها مدة
طويلة دون أن يبالي بأبى عبيدة ، ثم نظر اليه نظرة اعتادها منه وسأل ببرود .

— هل هذه أيضاً من جوارى خليفتك ؟

فأغمض عينيه ، وأجاب مخزماً يشوبه شيء من التردد والجبن :

— لاشأن لك بها .

— نعم . ولكنى أريد أن تكون ساقيتى هذه الليلة .

— لك ذلك . . قال هذا ، وأراد أن يبعد الجارية عن عيني دعبل بأى
وسيلة فقال لها : علينا بالأقصاد . . فمرت الفتات من بينهما ، وألقت
من جانب فمها ابتسامة على دعبل . . ووقعت من قلب الشاعر الكبير موقعها .
ولكن دعبل الذى لم يكن فى قلبه ذرة من التوقير والمراعاة ، لمخلوق ، استوقفها
وسألها :

— ما اسمك يامسكينة ؟

— شافون .

— بارك الله فيك . . اذهبي فائتنا بالأقداح التي أمر بها شيخك ، وزق

الدوشاب . ثم التفت إلى الشيخ ، وقال :

— كم لك هنا ؟

— سبعة أيام .

— لم أعلم أنك فارقت بغداد إلا بالأمس ، حيث سألت صالحا الحماني ،

وقال إنك خرجت إلى البادية .. وإني أعلم أن باديتك هذا المنزل . فجتك أهت

فأني لؤمك الا أن تبدأني بطلب بضاعتك التي لولاها ماخلم عليك خليفتك دثار

جارية .. أما كنت تنتظري حتى أستريح ؟

— أما قولك أني لئيم ، فعلم الله أنك كاذب . لأنى أوويك إلى منزلى ،

وأنت طلبة أمير المؤمنين ، الذين أهدر دمك .. وأما بدئي لك بطلب الشعر

فذلك قبل أن تدخل الجماعة .

بينما كان أبو عبيدة يقول هذا دخلت الجارية ومعها قدحان ، والزق تحت

إبطها ، ووقفت فملاّت له قدحاً ، فتناوله ، وكان الشيخ قد فرغ من حديثه ،

فقال دعبل ، وهو ينظر إلى شافون

عجبا للشيخ ، يشم ، وهو شتيم . ويمتن ، وهو لئيم ، ويتصدق ، وهو

زئيم . أتعيرى بإيوانك إياى فى منزلك ، وأنا الذى أراب صدعك ، وأستر عورتك ،

وأرفع مكانك ؟ أترى لو علم الخليفة الذى قلت له أنك خارج إلى تهامة

والأحقاف ، أنك هنا ، وأنى أصنع لك الشعر الذى يعطيك عليه الجوائز . .

ما كان صنعا بك ؟ ! .. .

— إسقنى يا شافون قدحا آخر

فى هذه اللحظة سوف يقدم إبراهيم الموصلى وجعفر البرمكى . الذى لم يبل

وزارة الرشيد . ومعها بعض أعضاء عائلة برمك . وكان أبو عبيدة ، رغم
عريضة دعبل يصنى إلى صوت الملاح ، يقود الحراقة التي تنقل الجماعة . ويتوقع
حضورهم من حين إلى آخر . وقد أراد أن يختم الشر الذي افتتجه دعبل . فقام ،
وأحضر الدواة والقلم والقرطاس ، وقال هو يضحك :

— شربت قدحين يا ابن الزانية . فعليك بالثالث . حتى يطعمك شيطانك .
أكتب ما أملى عليك بلا شيطان . .

قل له : يا أمير المؤمنين قالت ميسون النمرية لأخيها :

أخالد تنهل المنية دفعة وماء حياة المرء بالقطرات
أخالد لا تذهب بسن مثقف ومثلك تبكى أعين الفتيات

كان أبو عبيدة يكتب البيتين ، وهو مطرق ، ومنظره يشبه منظر الفلام الذي
يكتب ما يمليه عليه المعلم . فقال وهو ينظر في الطرس :
— ولكن هذا الشعر فيه زحاف .

— وهو لا يكون شعراً بدويا عربيا إلا إذا كان فيه شيء من الزحاف ،
والشواذ ، يا شيخ المحقى .

— وإذا سألتى الخليفة عن ميسون النمرية ، ماذا أقول ؟

— قل له يا أمير المؤمنين إنها امرأة تختم بنات العرب وكان من قصتي
معها كيت وكيت . واذكر أنك مررت بجنائها ملتصقا شيئا تأكله فرأيت
قديدا معلقا في خيط ، فشرعت في أكله ، فخرجت إليك ميسون هذه صائحة بك :
يا هذا ، ليس ما أكلت مما يؤكل . إننى امرأة أختن بنات الحى . وكما ختمت
فتاة علق ختمها في هذا الخيط . لا أعرف عددهن وهأنت أفسدت على العدد .

فلم يملك أبو عبيدة نفسه من الضحك ، رغم ما هو فيه من الفيظ . وكأنه
اقتنع بأن الحكاية مسواة فقبلها . وقال :

— وماذا قال أخوها ؟

— أكتب .

أميسون لأبفى التراب لجنتى

غطاء ولم أسجب عليه قناتى

أميسون إب أسكن حسامى غمده

أجعت كبود الوحش فى الفلوات

كتب أبو عبيدة البيتين . وأراد الاستزادة . ولكنه سمع حذاء الملاح ، على

الشاطيء ، وهو علامة على حضور الجماعة .



..... الخ

كانت آية الآيات فى يرم أنه كان يفهم
السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية ، قبل
أب يحكيها بلهجتها الكثيرة على الألسنة
أو الأقلام .

عباس محمود العقاد

محاكاة اللهجات المختلفة

لهجة جريكية

ياسأت البيه . أنا مسرى . فيه دلوجتى كامستاشرا سنة فى مسر . فيه أندى
صاحب كتير : صالح بك صاحبي . خسن بك صاحبي . موهاميد بك صاحبي .
كل دول إمسك منى فلوس . دلوجتى أنا أوز من كلو خمسين جنيه . فيه كان
ميت جنيه . لكن هوه مش يديلو فلوس بتاعى . عشان كله فيه واخذ كريمة
بتاع جطن .. لكن أنا موش شغلى ياخبىبي ... أنا واجف فى الجهة بتاعى
هوه يبجى يشرب ويمسك كان فلوسى . عشان إيه موش يديلو ؟

دى موش كويس



عندنا بصور إلى صهرى خى مرئى اسمه جميل نخلة كان خد منى خميسطاش
ليرة سورية فى عام أليف وتاسعماية وتساعطاش صارها سباع سنين مادفع المصارى
وكل ما طالبه فيهنون يتول بتشرين .. العمى

ولاك ياخى العسكروته صار لك تسعاه وتلاتين تشرين مادفعت . إيمت بدك
تدفع ؟ بعد ارحت أخذت الطنبجة تبعى من البيت ، لقيتا مفسودة ما بتسوشى .
عطيتها للعكروت اللى عم يبصلح الطنبجات . قتللو صلح لى ياها . وإيش
قد بتريد بعطيك . على حساب إنه صلحها وأخض تلات ليرات . طلعت فيها
عالبستان من شان أجربها ما كانت تصروب . صرت أصلح فيها شهرين
ولما صارت منيحة إلت هلا بمشى لها الزلثة بحرق له دينه ودين دولته

. . . الخ .

لهجة عراقية

جال عبد المحسن بيش السعدوني للشيعنة : لا تخشون للعسكرية . ولا تدفعون
عشور للدولة . جلنا يا عمو وليش السنية تجول لها أمشون للجندية . وادفعون
عشور . دخيل الجادر الجيلاني . راح شلالة الماش في لوندن عند الإنشليز .
وصار يحكي عالعراج . جال له الزلثة بلدوين : ما تخاف عالعراج . ولا عالبحر .
ولا عالماز . ولا عالجب . ولا عالشاز . كله جاعد ليكم . ما لحد آخر .

هذا مثل ها الداعور اللي اشترى زلاية وحطها بيد ، وحط السكر بيد .
فجات الهداية وشالت الزلاية من يده . جام نظر لها بالسما وجال : طظ بيها .
السكر بيدى و بيش تاشليها

فها العراج بيد الإنشليز وأهل العراج ما يحكمون على شي .

تبشين يا عيب عالى في العراج جاعدون
الشرب ما يشربون ، والأشل ما ياشلون

والحب ما دشروا . والشاز ما خلون

إيش لون تروح من عذاب الله يا سعدون

بيرم والأغاني

إن كان « بيرم » قد برز بين الأدباء كشاعر وزجال ، فإنه بلا شك قد تصدر الجميع في صياغة الأغنية .

ولم يتأت لأديب واحد أن ينتج ما أنتجه « بيرم » في حياته من أغنيات .
إذ نكاد نسجل له منها مئات .

وكان فن الأغنية في إنتاج « بيرم » ذا صبغة خاصة . فالأغنية عنده ليست كلاماً مرصوفاً ، ولا عبارات رخيصة ، ومعاني تافهة ، ولكن قطعة جميلة . فنية ، نابضة من القلب والوجدان ، تحمل العبارة الرقيقة والمعنى الصادق ، في ليونة ملحوظة ، مع حسن صياغة . ثم هي تتميز بعد ذلك باطراد التطور فيها . فلا تجد بين أغنية وأخرى إلا تجديداً وابتكاراً ، مما يجعلنا نتصور أن بيرم يتذوق الأغنية ، ويحس بها إيقاعاً وموسيقى ، قبل أن يدومها كلمات وعبارات . ومن ذلك لا تكاد تختلط عليك قطعة من إنتاجه بين ما تسمع لغيره .

وأغنياته من العذوبة ، وحسن التنسيق ، بحيث تلائم اللحن ، وتستجيب للنغم ، ويجد الملحنون فيها مجالاً لنجاح اللحن الذي يضعونه لها

وقد رفعت أغنيات « بيرم » جماعات من المطربين ، وأثارت شهرتهم . وجنى بعض من غناها له مهم ربحاً طائلاً ، بينما لم يجن هو من وراء ذلك ما يذكر .

وكان « بيرم » دائم الشكوى من ذلك ، لا سيما حين يذكر مشكلة حقوق التأليف التي لم يتم تشريعها في حياته ، مع مطالبة المؤلفين بأن يكون لهم من التقدير المادى نصيب عند تكرار إذاعة الأغنية . وكان المطرب ، وما يزال ،

يتقاضى من الإذاعة قدرًا من المال يختلف باختلاف درجات المطربين عندها ،
بينما لا ينال مؤلف الأغنية شيئاً .

وفي ذلك يقول « بيرم »

« إن مؤلف الأغاني في جميع أنحاء العالم يكتسب من الأغنية الناجحة
آلاف الجنيهات . أما هنا في الشرق ، فإن مؤلف الأغاني كما سح الأحذية تماماً ،
يسلم الأغنية ، ويتقاضى أجره وينصرف » .

ونظم « بيرم » ألواناً شتى من الأغاني ، بعضها في روايات مسرحية ،
وأخرى سينمائية وبعضها ملحقات وقصص . كما نظم أناشيد شعبية كان أقدمها
ما أنشده المرحوم الأستاذ سيد درويش . وغنى له من المطربين سيد درويش
وبعض أفراد فرقة بديعة مصابني والسيدة ملك والسيدة أسمهان والأستاذ
فريد الأطرش . والأستاذ محمد عبد الوهاب والسيدة نور الهدى والسيدة
أم كلثوم . وغيرهم .

وقد ألف « بيرم » أغاني « أوبرا شيرزاد » ، « والبروكة » لسيد درويش ،
« وأبريت ليلة من ألف ليلة » ، « وعقيلة » لفرقة السيدة فاطمة رشدي وعزيز
عيد ، ورواية « طباخة بريمو » « وسفينة العجر » لفرقة السيدة ملك ، ورواية
« غرام وانتقام » للسيدة أسمهان ، ورواية عنتر بن شداد ، « ورايحة » ، « وفاطمة »
« وسلامة » ، التي تظهر فيها أم كلثوم بطلة ، « وأبريت يوم القيامة » ، « وقصة
الظاهر بيبرس » ، « وعزيرة ويونس » ، وملحمة « محمد علي » ، للإذاعة ،
وكلها على حلقات .

* * *

وإذا ما قارنا بين « بيرم » وبين الشاعر « أحمد رامى » ، نجد « رامى » ،
وقد بلغ الغاية في لطف العبارة ، وجمال وقعها على الأذن ، وتأثيرها في الإحساس ،

وفي أعماق النفس ، لا يكاد يتعدى إنتاجه في الأغاني إطاراً من العاطفية الشفافة، التي يتكرر فيها التعبير عن واقعية الحب، بصورة تتجسم وتسمو ، مع ما يلحظ فيها من قيمات مؤنسة مشجية ، ومن روحية نابضة والهة . حتى يشعر الإنسان به حبيباً هائماً ، لا تبعد مناجاته عن هذه الروح الجميلة . التي يعشقها ، ويذيب نفسه من أجلها ، وهو محروم منها . صابر على لوعته ، مؤمن بحبه . مهما لاقى فيه من صد وهجران . وأغنياته أغلبها خص بإنشادها كوكب الشرق « أم كلثوم » ، حتى لقد لحظ عليه الكثيرون أنه ينطق عن حقيقة ، وهي إعزازه الغير محدود لهذه المطربة الكبيرة . التي صاغ لها مانع من قلبه .

أما « بيرم » ، وقد صاغ هو الآخر أغاني لأم كلثوم ، فلم يكن إلا ذلك المثال الفنان ، الذي يشكل تماثله أنواعاً وألواناً . فلا يصنع تحفة منها كأخت لها . وهي إن اجتمعت في معرض واحد اختلفت أشكالاً وصوراً وأهدافاً . وهو لم يكن نجيب ، ولم يكن ينطق عن لوعة ، ولكن عباراته كانت هي الحب وهي اللوعة . بواقع من الباقة والقدرة الفنية على صياغة العبارة .

وقد بلغ هذا الأديب الصانع القمة في صياغة الأغنية ، صنعة بارعة ، لا إثارة من حب أو دافعاً من عشق . ولكنها العبقرية ، والقدرة ، التي تميزها « بيرم » . وهذه العبقرية والقدرة جعلته يتمكن من صنع المعجز فليس بين الأدباء من وصل إلى ما بلغه « بيرم » من الإجادة في التعبير بالأغنية بكل اللهجات وفي كل المواقف والمناسبات . ليس بينهم من نظم بلغة الحضر ، ولفة البدو ، في مختلف الأقطار ، وبشتى اللهجات ، بل بلغة الشعوب المختلفة .

ولا تقف أغنية إلى جانب أختها إلا جديدة عليها ، مختلفة عنها في النسق والسياق ، بل النغم والإيقاع .

وكان حظ مطربة الشرق السيدة « أم كلثوم » من أغنيات « بيرم » أوفر من

غيرها . فقد غنت له مقطوعاته : «أنا وانت» - «وكل الأحبة اتنين اتنين» -
 و« إيه أسمى الحب »- « وأهل الهوى ياليل» ، - «وراح فين حبيبي» (الأولة
 في الغرام) « والآهات »- و« الأمل »- « وأنا في انتظارك »- « وحبيبي
 يسعد أوقاته »- « ونور محياك »- « وعيني أيا عيني »- « وشمس الأصيل »
 - « وهوه صحيح الهوى غلاب »- « و بعد الصبر ما طال »- « وصوت السلام»
 - و« دلال حبيبي» . الخ .

هذا عدا أغانيه التي نظمها لها في فيلى « سلامة » و« فاطمة» ، وغنتها . وهي
 كثيرة ، منها « ظلموى الناس »- « ويا صباح الخير »- و« غنى لى شوى »-
 و« برضاك »- « وسلام الله »- « وقول لى ولا تخيش يازين »- وهي
 على لهجات البدو .

ونعرض ألواناً من إنتاجه في الأغاني التي أنشدتها «أم كلثوم» . وقد اخترنا
 منها « الآهات » « وشمس الأصيل » « وراح فين حبيبي » « ونور محياك » ،
 « وأصل الهوى ياليل » « وهوه صحيح الهوى غلاب » « ودلال حبيبي »
 وهي كافية لتعطى القارىء صورة من التباين في الصياغة ، وأسلوب السياق ،
 والوزن ، مع مطاوعة العبارات للأداء والإيقاع .

(الآهات)

آه من لقاك فى أول يوم ونظرتك ليه بعنيك
 خاصم عيونى ليلها النوم وبت أسأل روحى عليك
 ياهلترى راح يعطف على فـؤاد متلف
 تقول لى روحى آه

واقول لقلبي ياقلبي حبه يسادل حبي
يقول لي قلبي آه

وارجع اسأل عقلي هو الزمان ح يروق لي
يقول لي عقلي آه

العقل ياربي ضايع ومتبدد والقلب في جنبي يسكت ويتنهد
آه من لقاءك في أول يوم ومن رجاءيا ومن حبي آه
وآه لما بلغت آمالي وفرحت بك والجو صفالي
ومليت كأساتك وسقيتها لي

أشرب يايدى كأس يرويني وأشرب يايدك كأس يكوييني
بات السرور كله ييني وبينك متقسم
والزهر ويانينا ينظر ويتبسم
والطير ينى لي والموج يقول وياه . . . آه
يايدى النعيم اللي وجدناه واللى دخلنااه . . . آه

.

.

ده الأنس كان انت والابتسام انت
ما احبش ده كله في يوم يضيع مى
واجرى ورا ظله اللي اتبعه د عنى

ما تقول لي في انت

آه ياللى أسست وهديت آه ياللى أضحكت وأبكيت
آه من رضاك وصدقك آه

(شمس الأصيل)

شمس الأصيل دهبّت خوص النخيل يانيل
تحفة ومتصورة في صفحتك يا جميل
والنأى على الشط غنى والقودود تتميل
على هبوب الهوى لما يمر عليل
يانيل

يانيل أنا واللى احببه نشبهك في وفاك
لانت ورقت قلوبنا لمبارق هواك
ووصفنا في المحبة هو هوه صفاك
مالناش لا احنا ولا انت في الخلاوة مثيل

يانيل

أنا وحيبي يانيل نلنا أمانينا
مطرح مايرسى الهوى ترسى مراسينا
والليل إذا طال وزاد تقصر ليالينا
واللى ضناه الهوى باكى وليه طويل

يانيل

• • •

(راح فين حبيبي)

الأولة آه .

والثانية آه .

والثالثة آه .

الأولة : فى الغرام والحب شبكونى

والثانية : بالامتثال والصبر أمرونى .

والثالثة : من غير كلام راحوا وفاتونى .

الأولة : فى الغرام والحب شبكونى • بنظرة عين •

والثانية : بالامتثال والصبر أمرونى • واجيبه منين •

والثالثة : من غير كلام راحوا وفاتونى • قولوا لى فين •

راح فين حبيبي

الأوله آه ... والثانية آه ... والثالثة آه

* * *

(نور محيـاك)

نور محيـاك الهنى ... يسرنى ... أشدى لك الأملحار

الناس لإحسانك عبيد ... الله يزيد ... قلبك علينا حنان

..

وينولك ماتشهى ... ولا ينتهى ... حسنك ولا الإحسان

نصيبك في الغرام ٠٠٠ فوق المرام ٠٠٠ دايمًا بلا حرمان
والأمر لك ٠٠٠ والنهي لك ٠٠٠ واللى ملك الاتنين يعيش سلطان

كل المحبين في هنا ٠٠٠ إلا أنا ٠٠٠ في الحب مالى نصيب
نصيبى جرح من الهوى ٠٠٠ ما لوش دوا يبرأ عليه ويطيب
٠ ٠ الخ

(أهل الهوى يا نيل)

أهل الهوى يا نيل فاتوا مضاجعهم
واتجمعوا يا نيل حبة وانا معهم
يطولوك يا نيل من اللي فيهم
وانت يا نيل الى عالم بيهم
فيهم كير القلب والتالم
واللى كهم شكواه ولم يتكلم
واللى قعد بعد الجباب وحده
وبات حزين يشكى هيامه ووجهه
يشكوا ولا الخلق سمع شكواهم
إلا الكواكب فى السما سامعهم
يطولوك يا نيل ، بالسهد والأفكار
والشمس بعد الليل ، تطلع عليهم نار

وبعد طول الليل تعود لهم ياليل
ويسألوك يا ليل إمتى تعود ياليل

• •

ناس من قلوبها تقول ياليل
وناس على الأرغوان تقول يا ليل
إحنا معانا بدر طالع في ليلة القدر
فيها حبيب القلب وافي ووفى الندر
هوه يقول ياليل ياليل واحنا نقول ياليل ياليل

وكلنا بنقول ياليل

(هوه صحیح الهوى غلاب)

هوه صحیح الهوى غلاب ما اعرفش انا
والهجر قالوا مرار وعذاب واليوم بسنة
جانى الهوى من غير مواعيد وكل ماده حلاوته تزيد
ما احسبش يوم حا ياخذنى بعيد

ويتنى قلبى بالأفراح وارجع وقلبي كله جراح

إزای یا ترى

أهوه ده اللى جرى

ما اعرفش انا

نظرة وكنت احسبها سلام وتمر قـوـام
أتارى فيها وعود وعهود وصدود وآلام
وعود لا تصدق ولا تنصاف
وعود مع اللى ما لوهش أمان
وصبر على ذلة وحرمان
وبدال ما أقول حرمت خلاص أقول ياربى زدنى كمان

إزاي يا ترى

أهو ده اللى جرى

ما اعرفش انا



(دلال حبيبي)

(وهى القطعة التى كان ألفها ومات قبل أن يتم لحنها)

دلال حبيبي محيرنى بس اروح على فيز

أقول له ملكتك قلبى خلى لى عقلى

قال لى لأ لتقنين

حكم على أسير وياه والعب فى هواه



الكراسة التي كتب فيها « بيرم »
آخر ما سطره في حياته ، يقرأ فيها
أصفر أولاده .



بعض كلمات من أغنية « بيرم » الأخيرة
« دلال حبيبي » بخط يده

خضعت له وبقيت أجاريه
في اللي أمر ييه
نعب الهوى ، دا جنان في جنان
ويا ريتيه ما كان
وياريب ما خليت كل عزول يقول ويقول
واللوم على واحد منين وألاق منين
وقلت له عندك قلبي وخلي لي عخلي
قال لي لأ . . لتنين



وبرى القارىء في المقارنة بين هذه الأغنيات صور التباين التي أشرنا إليها .
ومن صور أغاني « بيرم » على لهجات البدو عرض على القارىء أغنيات :
« غنى لي شوى شوى » و « برضاك » و « قول لي ولا تخبيش يازين » وهى من
الأفلام السينمائية التي اشتركت في التمثيل فيها « أم كلثوم » .

(غنى لي شوى)

غنى لي شوى شوى غنى لي وخذ عيني
خليني أجول الحار تتمايل لها السامعين
وترفرف لها الأغصان والترجس مع الياسمين

وتسافر بها الركبان طاويين البوادي طي

شوى . شوى . شوى . شوى

غنى لى . غنى . وخذ عيني

المغنى حياة الروح يسمعا العليل تشفيه

وتداوى كبد مجروح تختار الأطبا فيه

وتنجلي ظلام الليل فى عيوب الجبايب ضى

شوى . شوى . شوى . شوى

غنى لى . غنى . وخذ عيني



... الخ .

برضاك ياخالق . لا رغبتى ورضاي

وخلقت صوتى ويدك صورت أعضاي

أبلغ بصوتى ياربى مقصدى ومنأى

لما أناجيك . ولما تستمع شكواى

(قوللى ولا تخبيش يازين)

قوللى ولا تخبيش يازين إيشى تقول العين للعين

لما العين تشوف حبيب تقول له ولا تخشاشى رقيب

بعيد وصالك والا قريب
قول لى ولا تخشاش ملام
القبلة ان كانت للمهوف
ياخذها بدال الواحدة ألوف
ولا يسمع للناس كلام
ولا يخشى للناس ملام
ويوم الوعدة نشوفك فين
حلال القبلة والا حرام
الى على ورد الخديطوف
ولا يسمع للناس كلام
ولا يخشى للناس ملام

الخ . . .

وما أبرع « يرم » فى نظم أغنية « البنفسج » التى غناها المطرب « صالح عبد الحى » وهى قطعة من الأدب السامى فى جمال العبارة ، وقوة التصوير ، بحيث تكاد تكون ومضة من ومضات الوجدان وتألق القرينة المبدعة :

ليه يا بنفسج بنهم
وانت زهر حزين
والعين تتابعك وطبعك
محتشم وزين
ملسوم وزاهى ياساهى
لم تبسوح العين
بكلمة منك كأنك
سر بين اثنين
حطوك خيطة جميلة
بين صدور الغيد

تسمع وتسرق ، يا أزرق

همسة التهديد

ثم ينظم « يرم » للموسيقار الكبير « محمد عبدالوهاب » أغنيات تصور طبيعة الريف ، في تكريم الفلاح ، والإشادة بمحصول الزراعة ، في قطعة عن « الفلاح » ، وأخرى عن « البرتقال » ، وثالثة عن « القمح » .

(الفلاح)

ما أحلاها عيشة الفلاح

مطمئن قلبه مرتاح

يتمرغ على أرض براح

والجيبية الزرقة سآراه

يا . . . يا . . .

يا . . . يا . . .

ولا يطلب شرط ومشروط

غير لبدة وعري وزعبوط

واللقمة واكلمها ومبسوط

إكناه جايها بشقاه

يا . . . يا . . .

يا . . . يا . . .

(البرتقال)

ياللى زرعتوا البرتقال ياللا اجمـوه
آب الأواب ياللا اجمـوه
ياللا . . ياللا . .

ياما احلى ريحته بين الجنان
ياما احلى شكله عا الخد باين
دا الفص منه يسوى مداين
يزيد ويكثر البرتقال

احنا زرعنا واحنا روينا
تسلم ايدينا واللى علينا
يزيد ويكثر البرتقال

(القمح)

القمح	الليلة	ليلة عيده
يارب	تبارك	وتزيده
لولى	ومشبك	على عوده
عمره	مايخلف	مواعيده
يارب	تبارك	يارب
يارب	تبارك	وتزيده

وتجاوب « بيرم » مع الثورة ، فنظم لها من قلبه أغنيات ، نعروض منها قطعة
« بعد الصبر ما طال » التي يقول فيها :

بعد الصبر ما طال نطق الشرق وقال
حققنا الآمال برياستك يا جمال
الشعب اللي رفع الراية لصالح المدين
أودعها يمين عبد الناصر ويمينه يمين
الشعب وراه والحسق معاه
والنور أهو بان
والفجر أهو لاح والقلب ارتاح



ثم أغنية « صوت السلام » التي صور فيها « بيرم » براعة انتصار الشعب
على المعتدين في العدوان الثلاثي على بور سعيد :

(صوت السلام)

صوت السلام هوه اللي ساد واللى حكم
على الدخيل اللي اندحر واللى اتهمز
عدونا لما اعتدى قدمنا أرواحنا فدا
واستعجبت من بأسنا كل الأمم
ثلاث أمم يا بور سعيد متقدمة
بدبابات وطيارات تملا السما

الأولة : داخلة البلاد مستعمرة

والثانية : بعد الانكسار متجبرة

والثالثة : على العرب متأجرة

هدموا البيوت ، قتلوا النفوس ، وإنما

إحنا هدمنا عزمهم ، فى الشرق كله ، ومجدهم

ثلاث دول جايبة القتاد لكنهم

متقدموش من بور سعيد ولا قدم

اسم السلام هو اللى ساد واللى غلب
وبدنا الفالى على الأرض انكتب

لا يتمحى من أرضنا ولا يزول واحنا هنا
متمسكين بحقنا متسلحين بعزمنا
أعدانا شافوا البينة

اللى بنوه فى سنين فى ساعة انهدم

شافوا العدا فى مصر عزم ومقدرة

شافوا النفوس تنباع والله اشترى

شافوا الهوان واتندموا عالى جري

عادوا بالخذلان والممار والندم

وحيث عرضنا هذه الأمثلة البارعة للأغنية من إنتاج « بيرم » فقد يفيد أن

نقل للقارىء كلمة ظهرت فى جريدة المساء للكاتب الأستاذ « جمال فكرى »

بمعنوان ملامح من شعرنا الشمي ، جاء فيها :

« ٠٠٠ إن كلمات أغانينا بوضعها الراهن لا يمكن اعتبارها من الزجل في شيء »
على الإطلاق ، فكلها شطرات ، بعضها موزون مقفى ، من الشعر العاطفى الدارج
الذى يدور فى فلك واحد من الغراميات والتأوهات . أما مسائل المجتمع وتدريسها
لرجل الشارع ، وتبصيره بها وبطرق إتقانها وعلاجها بأسلوبه الدارج البسيط
مالذى يستخدمه ، ويسهل عليه فهمه ، والذى هو الجذر الرئيسى للفولكلور
العربى ، فقد توارت توارت فى رؤوس كتابها الموجودين ، المقصرين ،
أطال الله بقاءهم وتوارت فى قبور كتابها الراحلين المجتهدين تفمدهم الله
برحمته .

« لقد جرف تيار أغاني الحب المؤلفين الفنانيين، حتى « بيرم » رحمه الله فى
السنوات الأخيرة ، ولكنه الوحيد الذى أخلص للزجل فى ألفاظ أغانيه وأوزانها .

« أما إخواننا الآخرون ، من مؤلفى الأغاني ، والذين زاد عددهم جداً ، فتسعة
أعشارهم كتبوا ، ويكتبون ، وسيظلون يكتبون ، فى حيز لا يزيد على مائة أو مائتى
كلمة عاطفية . كلما جمع منها قدر بترتيب معين نتجت منه أغنية توأم لسابقتها
ولاحقتها . فظلت ، وستظل أغانيهم تكثر وتكثر ، دون أن يستعملوا
أكثر من هذه الكلمات المحدودة فى ثروتهم اللفظية للحب والغرام ، ودون
أن تزيد قوافيهم على أصابع اليدين على أكثر تقدير ، وموازينهم على أصابع
اليد الواحدة . »

* * *

وإذ ننتهى من هذه الإشارة الجميلة الصادقة ، للأستاذ « جمال فكرى » ،
تطل علينا قطعة لبيرم ، كتبها بعنوان « أهل المغنى » ، وصور فيها ، من عهد بعيد ،
مأساة الأغاني عندنا ، وكأنه ينطق بلسان الكثيرين ممن تثيرهم هذه المأساة :

يا اهل المغنى دماغنا وجعنا . دقيقة سكوت لله
دا حنا شبعنا . كلام ما له معنى . ياليل وياعين ويا آه

طلعت موضه . غصون وبلابل . شابط فيها حزين
شاكى وباكى . وقال مش عارف يشكى ويبكي لمن
واللى جابت له اللداء والكافية طرشة ماهش سامعاه
يا اهل المغنى . دماغنا وجعنا دقيقة سكوت لله

ردى عليه ياطيور بينادى وارمى له الجناحين
وانت كان يا وابور الوادى . قل له رايح على فين

قل له اياك يرتاح يا وابوره ويريحنا معاه
يا اهل المغنى . . .

كل جـدع فرحان بشبابه يقول فى عينيه دموع
ياللى جلبتى شقاه وعذابه حلى لنا الموضوع
طالع نازل . يلتقى عـوازل . واقفة بتستناه
يا اهل المغنى

حافظين عشرة اتناشر كلمة . نقل من الجرنال
شوق . وحنين . وأمل . وأمانى . وصد . وتيه . ودلال
واللى اتعاد يتزاد يا اخوانا ليل ومهار هواه
يا اهل المغنى . دماغنا وجعنا . دقيقة سكوت لله

الصور المختلفة في أقوال بيرم

ليبرم من إنتاجه ألوان متعددة من المنظومات ، شعراً وزجلاً . وقد يبلغ إنتاجه في مدى حياته قرابة عشرة آلاف قطعة ، أغلبها جيد . وبعضها من القوة بقدر يبلغ حد الإعجاز .

ومن منظوماته ما هو قصير مختصر ، وما هو مطول .

وبعض هذه المنظومات يشبه الفيلم السينمائي في سرد القصة ، وتصوير الحوادث . والبعض الآخر لقطات سريعة هو فيما أشبه بالمصور الصحفي الذي يصور الحادثة أو المناسبة تصويراً مجتمعاً في لوحة واحدة .

ونختم هذا الكتاب بعرض أمثلة من بعض هذه الألوان .
فن نوع التصوير السينمائي :



(أودة للإيجار)

شهرين أدور وادعبس في البــــلاد على بيت
للأجرة دور عالسطوح أو أودة أرضى ياريت
بالاختصار إني برضك بعد ما لقيت
على مشايخ الحــــوارى والسماسة لقيت
خبطت عالباب واسمه بيت على العلاف
فتحت في إيدها الأساور واحدة قلت عواف

ما هس هناسى على ، قالت دافى الأرياف
وعاوزه ليه قلت ؟ مستأجر هنا اندليت
قالت دى أودة ياخويا فى الدور المسجور
زايدة علينا ، واهى فاضية سنة وكسور
الافندى عاوز يسكنها أمير مقصور
ولك مرة والا عازب ، قمت أنا كحيت

قلت لها عازب يا ستى إنما صاين
دينى وعنى اسألوا ، قالت أهو باين
إن كنت لك رغبة أدخل حضرتك عاين
خشيت ، وسكت ورأية بمد ما سميت
الست فوق صدرها التوب الحرير زائناه
والطرحه فوق صدغها زى القمر فى سماه
وحرفها بالمقور والحرير شـاغلاه
رأيت أنا الشكل دغرى عا النبي صليت

بصت ، وقالت تعالى عن يمينك خش
شقتنا قبله ، وشوف بيت الأدب والدش
قلت لها انا كل شىء مقبول عشان دى الوش
إياك يكون لى نصيب، قالت : ياخويا ياريت
الدش أهه يا ضنايا لو تحب حموم
وتجيب غسيلك إذا مرة قلعت همدوم

وأى شيء يلزمك خبط على أقوم
أفتح لك الباب ، ولو وش الصباح خشيت.
خشت ، وفاتنى وحدى فى الصالون مدة
جابت معاها بقى المفتاح والعدة.
والأودة دى عا السلام قفلها صندى
ساعتين تعافر ، وآخرتها انفتح بالزيت
رأيتها ززانة فيها بالكثير مسترين
وملة متدغدغة ، وقفاص ، وصحارتين
والعنكبوت اللي بيهندس قاسمها دورين
رأيت أنا الشكل ده دعزى أنا انخضيت
ضحكت وقالت: دى مهجورة بقى لها كثير
ركك عليها اما تنبيض بحبة جـير
وشين تلاتة و بلاطها يتمسح يأمـير
يصبح حبايبك عليها . قلت والله هويت
(بستان وندمان ياريت الحبيب معنا)
ولما نلقى الحبيب نلقى العمى معنا
ياعين آدى الى انتى طالباه بس يمنعنا
منامة تعمى المفتاح . آه ياريتنى ما جيت

(المأذون)

فلاح مجـ اور فتح مكتب خطيب مأذون
بجوزك بالمقـاوله ، والا بالعربون
شاف الوظائف عـسيرة ، والمهايا دون
قال كل مكسب يكون عند الرب صابون

استفتح الشيخ في أول ما اشتغل بطلاق
حرمة أميرة ، وجوزها سيء الأخلاق
والقاضي يحكم في شرع المسلمين بطلاق
على المرة المجرمة ، والراجل الملعون

الست من ناس زمان ، صاحبة أدب وكال
م الحشمة دول اللى لا لبة ولا خلخال
واللى ما أعطاه صنفه ما أعطاه مال
يكفى التقى والصلاح ، والملح والكمون

كان المجاور عبيط عمره ما شافش حريم
من يوم ما أزهر لفاية ما انتهى التعليم
شاف المرة حشمة لا خاتم ، ولا مباريم
قال ما شاء الله كان ، واللى ما شاء ما يكون

والله كان حج جوزك ده يبوس رجلك
لكنه فاسج ، لا يصلح لك ، ولا يليج لك

لازم أشوف لك أنا راجل أمير مثلك
م اللي يحافظ على عرض النسا ويصون
قالت أنا واحدة لا أبيض ولا أحمر
عايزا لي راجل لا يتمرقع ولا يسكر
يعرف مقامي ، ولا يبرم ولا يسهر
وانشا لله آكل معاه ملح وبصل وزتون
بقت تروح للمجاور كل يوم نوبتين
ولحد ما شاف لها راجل مضى شهرين
راجل توفت مراته ، وخلقت طفلين
عايز لهم واحدة لوخان الزمان ما تخون
قال له المجاور أنا عارف مرة حرة
عيني ما شافت كده أحرار بالمرة
ويتها مليون نابوليا من بلاد بره
رأيتها لما انتهت م الراجل المجنون
فيها البساط بس وحده يفرش الجامع
ودولاب عجيب من أوروبا من خشب لامع
وبعلها ، لما كان في عفشها طامع
رهن كراسيها عند الجهوجي أنظون
أبو العيال بات ليلتها على المرة عاقد

والمهر كله ثلاثة جنيه ، وراح نساقد
وبعدها بجمعة ، كان في حضنها راقد
شاف لك دى حنة مرة أنشف من العرجون
البين نحل جسمها والمم كاويها
والقهر راخر متمم شغلته فيها
والموت هجم عا الحبايب من حوايها
خلا الغريب والحبيب تحت التراب مدفون
في لينة الدخلة لابس له القميص ساتانيه
والشنتيان فوقه ، والبالطو القطيفه عليه
اسود طويل للقدم ، تقضيل كمال ، وايديه
بكره أبيض عريض والصدر بالكبسون
أما المويليا اللى كان طيار بها الأستاذ
صندوق بسبعين ، وستاشر صفيحة جاز
فارغين ، وفوقهم قباقيها تلات تجواز
وبرمة فخار ، ودفاية ، وست صحون
وكليم مخطط على مبرد صعيدى عتيق
لو ينفرش فى الميايم عا الدكك ما يابق
وشلتين قش كاسيام بديى غميق
والطشت ويا الكراسى من سنة مرهون

صبح العريس يلتقى الراجل يستنظر
عايز الحلاوة خروف ، ينحط فى أنجر
ضحك ، وقال له : نهارك يا عريس أزهر
قال له : مہار زفت متقطرن يا شيخ ينسون

إن كنت تهوى الكمال والجد والعفة
ولو تكون فى عظام تنحط فى قفة
ما كنت تسبق يا ابو معشر وتلفها
يا تشوف لها فى البلاد راجل ما لهشى عيون

قال المجاور مادام ما انتش بجا مبسوط
لا الباب مسمر ، ولا حبل الحمار مربوط
طلجها حالاً ، وانا اجيب لك مرة بشروط
ترضيك ، ومجسودى انك تبجى عندى زبون

(جوازة)

ما تشوف الا الهیصة والموكب متحضر
أربعین حنطور تسد السكة واكثر
اللى باصفر ، واللى باحمر ، واللى باخضر
واللى حاطة حزوق فى صدر الجلاية
واللى جاية نفيسة والسيد معاها
واللى صاحبة الحلو ، أو محسن وراها

واللى رابطة عنها ، ومعاها دواها
واللى فآئحة الصدر بترضع بهية
يبقى يوم منه عزومة ، ومنه فرجة
والمرة جوه الستارة ، ورأسها خارجة
وان شافت دكان مزين ، والا سرجة
تفقع الزغرونة ، من رأسها القوية

أما بيتكم يا بطل ، وانت اللى عالم
بس لو ساع العروسة والعوالم
واللى تتأخر تشرف عا السلام
والهاموش تحت السقيفة البرانية



العريس يدخل ، وتسلم الجماعة
واما يبجى الأكل تتحط البتاعة
خمس ، مسروعة يا كلوا فى ربع ساعة
أردين ، حيلة خضار ومهلبية

كل صحن يشطبوه ، أمك ترصه
وازا فضل فى العضم شىء أختك تمصه
واللى يفضل ان نصه للكناس ونصه
للمرة بتاعت الحلاوة السمسمية

ومن نوع اللقطات التصويرية :

في السيامة :

(إسرائيل)

دول عظمى اللى باعتها ، فى أرض المسلمين تفتح
غنيمة كلها لكن ، بأرض القدس تستفتح
وتحرق زى ما تحرق ، وتدبح زى ما تدبح
معها ألف طيارة ، ومليون تنك متصفح
عايكم يا عرب يوى تشن الفارة أرضية
ولسه يا عرب جاية بغاراتها السماوية
ويومها العم لال هرو حايمت شكوى رسمية
لجمعية أمم تضحك ، ومجلس أمن يتنحج
حاربنام ، وهادنا ، وفاوضنا ، وجربنا
ولما نشتكى نوبة ، على الشكوى تأدبنا
ياتزحف فوق أراضينا ، يا تتوقع وتضربنا
ولا ايدن، ولا تشرشل ، يبسال عن كلاب تنبح
يا اسرائيل ، ويا تشرشل ، ويا ايدن ، ويا غيرهم
٢٠٠ مليون بتتضر ، ليوم الهول عسا كرههم
٢٠٠ مليون مهاد الحرب يكفاهم خناجرهم
٢٠٠ مليون منى عيها فى أنهار الدما تسبح

(يا عايق)

إيدن يا عايق ، حسبت الحزب دى عيافة
وبعت شعبك لناس للموت مشتافة
تحسبها فى بورسعيد والمنزلة خناقة
لقيتها مدح وأجنادك غم فيها
أقف بقى عا المرافقة صلح اليافة
(حاترد لك)

فرنسا وانجلترا رايحين فى خراة
وانتى اللى فاضلة يا إسرائيل يا جارة
يا اللى علينا فى ليل وهار مندارة
غارات حاترد لك غارة ورا غارة
(يا مجرمين)

ست البحار فى قنال شبرين غرقانة
إهانة يا انجلترا ما بعدها اهانة
يا مجرمين ياللى جيتونا على خيانة
الدنيا فى الحرب شايفنا كم وشايفانا
(الحمد لله)

فى أرضنا وبسواعدنا القنال آمد
ميراثنا أصله لنا من عند سابع جد

وفيه سفن كل دولة ماشية ماتنصد
قالوا بلاش مرشدين من عندهم بنهار
الحمد لله يا يديهم أهوه انسد

في الاشتراكية :

(الجماعين)

ناس تملك الطين ، وناس غيرهم عيشتهم طين
مع إن ربك خلقنا كنا من طين
لا الشرع يحكم بدي القسمة ، ولا القوانين
اللى لنفسك تحبه أطلبه للناس
مش حب نفسك لوحدك ، واحرم الملايين ؟

مصنفون
(بائعة الفجل)

بياعة الفجل أحسبها من الأبطال
اللى لهم فى المداين يتنصب تمثال
فى الليل وفى شهر طوبوة ، والهوا قتال
والناس فى نومه ، وبتنادى على الأكال
راضية برسمال ومكسب كله نص ريال
وتسأل الله من فضله يديم دى الحال
فين الكرامة اللى ضاعت منكم يا رجال
ياللى استحيتم ، وفريتم من الأشغال

لو كان سليل الأماجد يشتغل عتال
أو الأفندي يكون جزار أو بقال
ما كانش في كل ناحية في البلد بطل
يمد إمد السؤال للسادة والأندال

(الطهقان)

في فصل الصيف يفوت بيته لرأس البر أو لبنان
وفي فصل الشتاء يرحل ، من أكتوبر على أسوان
وتعجب على الإنسان ، بكثر المال يعيش طهقان
لا هو طابق يكون حران ، ولا طابق يكون بردان
تشوف القصر وجننته ، تقول ياجنة الكافر
عليه بواب ، وطمم كلاب ، بتهارس وتعافر
تقول يا قصر فين صاحبك ، يقول لك من زمان سافر
في كارلسباد إلى فيشى ، ومن فيشى إلى ايفان

أحب البرد في طوبة ، واحب البرد في بؤونه
وعندي للشتا أودة ، وليلة الحر بلكونه
ولولا الدنيا تتغير ، لكنت دنيا ملعونة
لنسقط حكمة الإنسان ، وتحيا حكمة الرحمن

(السمسار)

لا هو ميحرت ، ولا بيدر ولا يحصد ، ولا يجمع
ولا يسبك ، ولا يطرق ولا بيخرط ، ولا يقطع
ولا يشحن ، ولا ييخزن ولا ييوزن ، ولا ييندفع
وهو الفاتم الأسلاب وغيره يضرب المدفع

وسيط بين البينين يدخل وهو السيد المالك
إذا السوق ارتفع سالك وإذا السوق انضرب سالك
وغير مسئول عن التالف وغير مسئول عن المالك
وبالتليفون يجيب مليون وميت مليون ، ولا يشبع

غراب ينمق على المحاصيل وبوم في ساحة البورصة
وأفنى تجعل المقروض يخش القبر في قرصة
وله يوم الصعود فرصة وله يوم النزول فرصة
وهدم بيوت ، وخلق تموت بحسرة وهو ممتع

تشوف عمارات شقةها منات وكل عمارة وعمارة
من الأعيان لها سكان تزيد عن أيها حارة
عمارة مين ، ياعم ياسين ؟ « إمارة مسيو » دوارة »
ما فيش في مصر من شكله ولا أشطر ، ولا أجدع

في الإصلاح :

(الموظف)

يقعد على مكتبه عارف مقام منصبه
ووجهه دا يقبله قلبه صحاب العزب
يلعن في خاش السعاة واللى ما ودوش عشاء
أما التلفسون هراه بالدق من غير سبب
وأم القوام سمهري لها الكلام الطرى
ويخش له العبقري يستقبله بالفضب

مخاص ويبيع كلام عمل رفيع المقام
يقبض مرتب حرام من جيب يتوع العنب
MisrFone
(الجاهير)

إن كنت ترضى المزارع ، يفضب السمسار
وإذا رضيت الكياوى يزعل النجار
وإذا مسكت الحرامى تزعل الفجار
وإذا تركت الحرامى تزعل الأبرار
وانت اللى تسهر وتشبع أمتك تشخير
وأكثر الناس ، وقايل لك إله الناس
« لا يشكرون » حتى لو خدك عملته مداس

« لا يعلمون » اللى يخدمهم من المـالاس
خليـك مع الله ، تلاقى الصالحين ويـاك
الصالحين لويقلوا ، فى المهمة ، كثير

(نـصائح)

إسلك طريقـة الرشاد ، وأترك طريق العـش
ما تشتريش بندقيـة ، وتختفى ، وتنش
ولا تمشى حافى ، ولا تجمعـل طعامك مش
حفظ الكرامة ، وحفظ الصحة ، شىء واجب
أحسن ما تقعد تصر القرش فوق القرش
إحسن معاملة أجيرك ، ياللى كنت أجـير
ولا تجعلوشى أسيرك ، ياللى كنت أسـير
الرحمة بالخلق عند الله جزاها كبير
والشح ، والانتقام ، والظلم ، له آخر
ندامة فى الدنيا ، والآخرة حسامها عسير

(أبواب جهنم)

قالوا لنا النار لها أبواب ثمانية حديث صادق وثابت عن نبينا
فأول باب - لسانك لما يشتم فى عرض الناس بالغبية المشينة

وتانى باب — عينك لما تنظر
وثالث باب — إيدك لما تسرق
ورابع باب — رجلك لما تسعى
وخامس باب — ودنك لما تسمع
وسادس باب — بطنك لما تشبع
وسابع باب — عقلك لو يدبر
وثامن باب — لا يذكر بإسمه
ثمان أبواب مفاتيحها ثمانية

بشهوة للرشيقة وللسمينة
وتنشل م الجيوب وم الخزينة
إلى الكباريه ، أو صالة سارينا
كلام الفحش ، والنكته المهينه
بأكل السحت ، والخمره اللعينة
مؤامرة تجعل الميه طحينه
بأمر اللى سبل ستره علينا
وليل ونهار نفتحها بأيدينا

(حقوق التأليف والفنان)

الروس ، وتعرف سيادتك يعنى إيه الروس
قطعوا روس القياصرة بالبلط والفوس
وحطوا للفن أهـل الفن فوق الروس
والفن نور ، والمؤلف فى ظلامها فانه روس
الشعب يعرف وراه من يتبعه ويدوس
والشعب يسهر معاه فى المنزل المأنوس
يا خسارة يا بن العرب ، عايش ذليل مكبوس
ويقولوا حشاش ، أو صعلوك ، أو ملحوس
شوفوا مدير الإذاعة العالم المفضل
الى الفنون والآداب عقدت عليه آمال

أول بشارة ابتداها للمؤلف قال
إوعك تيجي لنا هنا يا ناظم الأزجال
عايزتؤلف تقابل فاطمة عبد العال
إكتب لها ملحمة ، وخذ منها نص ريال
وفاطمة مديونة للجزار وللبقال
ودايرة تشحت كلام من أيها زجال
وتستلف أجرة العواد والطبال
ياذاكم لو تخوضوا في فنون يا رجال



قرية ، ومليت كفاية خوف السقوط ، والبطالة
وكل ما ازداد قراية بالدينيا ازداد جهالة
يا طالب العلم تنداس لو يبقى علمك بضاعة
تنفع وتستنفع الناس لو كنت صاحب صناعة
يا عالم ، العلم بالله يزيد في نور البصيرة
واللى استنارت نواياه يلقى الذهب في الحصيرة
إن كنت تطلب رضى الله يجعل لك الناس عبيدك
وان كنت تطلب رضى الناس أقلهم يبقى سيّدك



أحدث صورة للمرحوم
« محمود بيرم التونسي »

سجل بانتاج بيرم في حياته الادبية

ليبرم من الانتاج الأدبي — كما قلنا — ما يقرب من عشرة آلاف قطعة من الشعر، أو الزجل، أو القصة، أو الأغنية. ومن المتعذر إمكان جمع كل هذا الإنتاج، لتفرقه في شتى الصحف، ولأن كثيراً من أصوله قد ضاع بالاهمال، وبعوامل أخرى أشرنا إليها في هذا الكتاب.

ولم ينشر ليبرم في حياته من إنتاجه إلا ديوانان وكتاب عامي اللغة. ومنعه الفقر، وتعتت الناشرين، عن متابعة النشر. ونوه عن أحجامه في ذلك بكلمة قال فيها (من منذ سنين طويلة):

« إن جملة ما كتبت في الصحف الكبرى (وحدها) لا يقل عن ألف قطعة، لا يمتنع من نشرها في مجموعة إلا عدم وجود الناشر الذي يقنع بنصيبه، ويترك للمؤلف نصيبه. فالناشر يصادر الكتاب ليحوّله إلى أملاكه، نظير ثلاثين جنيهاً تقريباً، يدفعها جزافاً، ولا شيء بعدها! »

ونقدم إحصاءاً عابراً لبعض إنتاج بيرم، مما تمكنا من حصره، لنعطي به فكرة عارضة.

مؤلفات مطبوعة:

ديوان بيرم التونسي (الجزء الأول)

ديوان بيرم التونسي (الجزء الثاني)

السيد ومراته في باريس

مؤلفات لم تنشر :

السيد ومراهته في مصر

المقامات

نشاطه في الصحف

صاحبها ورئيس تحريرها:	مجلة المسلة
» » »	مجلة الخازوق
كاتب فيها	مجلة الاكسبريس
محررها مدة عامين	صحيفة الشباب (بمصر)
كاتب فيها	» »
كاتب فيها	جريدة الزمان (بتونس)
صاحبها ورئيس تحريرها:	» الشباب »
كاتب فيها	مجلة الكشكول
» »	» الفنون »
» »	» المطرقة »
» »	» الإمام »
» »	» أبولو »
» »	» النيل »
» »	» الاثنين »

مجلة روز اليوسف	كاتب فيها
» الصباح	» »
جريدة المصرى	» »
» الأخبار	» »
» الجمهورية	» »
مجلة ياهوه	مشارك في تحريرها واصدارها

روايات

سلامة	عقيلة
دنانير	أحكام العرب
شهر زاد	سلطانة الصحراء
عنتروعة	شافون
رابحة	حوار رواية الشيخ متلوف
طباخة بريمو	أوبريت ليلة من ألف ليلة
سفينة الفجر	» يوم القيامة
مايسة	عدد من القصص القصيرة للإذاعة

إذاعات

سلسلة تاريخية من عهد المماليك	حلقة الظاهر بيبرس
ملحمة محمد على	كرسى البرلمان

بنة بجرى (٣٠ حلقة)	حلقة عززة وىونس
بنة السلطان (لمسرح المرائس)	بنة البادية
مهرجان ابليس (للتلفزيون)	عشرة ملوكى

فى السىاسة الءاخلىة (منظومات)

قءوم الرئىس	الثورة المصرىة ١٩١٩
الأحزاب	استقلال عءلى باشا
اتحاد الأحزاب	أوامر عءلى باشا
المختلط	اللورد ملئر
القرن العشرىن	زعماء
فى السكة الءءىءة	الحماس
ىوم الءءاء	عطشان ىاصباىا
العودة	ىامصرى
من ىارك لىون	الامتىازات



قصة السىء البءوى و ابراهىم
الءسوقى و معدزغلول السىاسى

فى السىاسة الءارءىة (منظومات)

ىامجلس الأنس ءىنا	سىاسة مءبرة
-------------------	-------------

أنا اتلبيت	مصر حنة من أوروبا
خلافة بني عثمان	الشرق
هجوم اليونان على الترك	ميمم الأمم
الجيش وقع في نصف ساعة أسير	احتلال سوريا
اسرائيل	عبد الكريم
يا عايق (لايدن)	مؤتمر روما النسوي
الحمد لله	يا أهل السودان يا عرب
يا مجرمين	حاترد لك

على الأارغول (منظومات)

دخلت راجل	حياتي
السلوك	غنيت
المفاوضات	من ليمانك
	الفلاح

على الربابة (منظومات)

حرب الترك والروم	رياضة
زواج فنزيلوس	المنبوذين
هزيمة اليونان	اللورد ملنز
معاهدة الترك والروم	الشهادة
أبواب جهنم	فرنسا

في المرأة (منظومات)

علموا الجنس اللطيف

تدير منزلي

هوليوود

المرّة الخافية

أطفال باريس

رثاء (منظومات)

شوقي

توت عنخ آمون

حجاج ودوس (الطياران)

سيد درويش

ذكرى سيد درويش

صور من المجتمع (منظومات)

زوجة السجان

أم خليل

فيكتور

حامد عاشور

الجماعية

الحاج جابر

الفقر

الأسطى على منصور

حانة مانولى

أم فايق

خليل المنزولجى

جوز فهيمة

المأذون

دكان مرسي

نسايبى

بيت رصوان

ابن نظلة

تاجر دقيق

المؤلف

في التربة حطت ثمانية



صعیدی فی باریز	لو کاندۃ الحاج سالم
ریا و سکینۃ	أختین شقایق
العجایز	جواز
زفة المطاهر	رکاب سوارس
فریحة یقبض و یحصل	تاجر خضار
تنزل علی لحم الخنزیر	الولادة
مراقص الزنج	البصارة
	بنات بحری

نقد (منظومات)

ایه نابنا بعد الحروب-	ناظر الوقف
الخدم	الاختلاسات
علی محمد شحاته	الا کتاب
بردون یا شعراوی	دونهارو
الإقطاع	مونبیلیه
حا آجمن	شوفی لنا بنت الحلال
الرب	القاهرة فی الصیف
ستاتنا	مدارسنا ومدارسهم
القطر	بشوات
فی الطریق	محطة الإذاعة
الدواوین	الصعايدة
أعوذ بالله	دوسیهات الدواوین
الموظف	الحسن جنة لویجمع الأدب ویاہ
السمسار	الست الطاهرة
الطهقان	صدفة
حوادیت	خیر وشر



فلسفات (منظومات)

الحب	المفن
العيون	الورد
يا مصر	النسوان
غاندى	المطرب
شغل الحكومة	بين القبور
العامل المصرى	عزرائيل
اللت والعجن	يا اهل المغنى
السيارات	من كلمة هايفة
الفواكه	خمسان
سبح الخالق	الزحام
أبناء آدم	الجاهير

المقامات (منشورات . ومنظومات) وهى أكثر من مائة

المقامة الفلوسية	المقامة القرشصاغية
» الرغيفية	» الجنيهاتية
» العيشية	» الصندوقية
» الشوالية	» الاقتصادية
» الحجابية	» البيجامية
» الليلية	» الاسفنجية

المقامة الفلسفية	المقامة المنبرية
» السرية	» السفورية
» البربرية	» الشتائية
» الريفية	» الشعرية
» الزيبية	» الكانونية
» الأفوكاتية	» البريدية
» الأفندية	» المراوية
» النحاسية	» الشيطانية
» الترموائية	» الرأسية
» الفلوكية	» التززية
» المنصورية	» اللومانية
» الوطنية	» الحربية
» البرلمانية	» التحريرية
» الفرنجية	» الطابعية
	» الأمريكية

فوازير رمضان

٩٠ فزورة أذيعت في ثلاث سنوات أيام شهر رمضان .

الأغاني

مقطوعات غنائية لبعض الراقصات

أغاني لأم كلثوم	في الصالات
أغاني كانت تلتقى في الصالات	أغاني لسيد درويش
» لفريد الأطرش	» لأسمهان
» لصالح عبد الحى	» لعبد الوهاب

تحية لفنان الشعب

محمود بيرم التونسي

ما كان فنك . . هذا الفن . . بالزجل
لكنها حكمة من سائر المثـل ؟
شعر . . ولكنه للشعب في لغة
مما يحدث هذا الشعب من أمل
آماله صـفتها بحرأ وقافية
وصفت آلامه في أنة التـل
حاربت طفيات من كانوا جبابرة
أيام شعبك ما في الشعب من رجل
وقد نفوك ، فلم تضعف لتـازلة
وعشت في النفي مثل الشمس في نزل
لا البعد يمنع عنا من أشعتها
ولا الأشعة ، يا ابن الشمس ، في كل
لك البطـولة . . لولا أنها أدب
قلنا الزعامة كانت منك في بطل
وعدت للنيل ، مثل النيل ، دافقة
أمواهه بحياة الشعب من أزل

تشمس الأصيل قصيد لا يجود به
من عاش للشعر طول الدهر في شغل
غنى الزمان بها لحناً وقافية
شعراً من النسق الأعلى ، على زجل
وكل ما قلت من أغنية أدب
غنى الزمان به من دعوة الأزل
باق على الخلد ، يسمو بالعلو سعدياً
ويستحث خطى التاريخ في عجل
يا نفعة من سماء الخلد في نعم
للخلد ألبانها من صيحة الأول
يا فيلسوفاً مضى عنينا لغايته
ومن معانيه ما قد جل في المثال
لله أنت حياة كنت تبعثها
وأنت في الخلد منها أنت لما تزل
ما زلت حياً بما قدمت من عمل
وقد مضيت ٠٠ فيا لله من عملي
تحية لك بعد المسوت نابغة
من الحياة التي خلدت في المثال

الربيع الفزالي

للمؤلف

١٩٢٢	طبع	الفنون الجميلة قديماً وحديثاً
١٩٢٣	»	بين الأطلال
١٩٣٢	»	المرأة المصرية قديماً وحديثاً
١٩٣٢	»	الزخرفة المصرية القديمة (بالاشتراك مع الأستاذ يوسف خفاجي)
١٩٣٤	»	الحب بين القلب والعقل
١٩٤٧	»	الشباب (بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ حسن ابراهيم)
١٩٤٧	»	الحرية
١٩٥٨	من سلسلة بلادى	الوطن العربي
»	»	القاهرة ١
»	»	القاهرة ٢
»	»	دمشق
»	»	القدس
»	»	صنعاء
»	»	النيل
»	»	القيضان
»	»	سيناء
»	»	ديرسانت كاترين

١٩٦٠	طبع	من سلسلة بلادى	قاعة القاهرة
١٩٥٩	»	من سلسلة عالم المعرفة	فى القطار وفى السيارة
»	»	»	فى الطريق
١٩٥٨	»	دراسات مصرية قديمة	أرض المجد
	»	(بالاشتراك مع الأستاذ زكى سعد)	
»	»	»	مصر
»	»	»	أوراق البردى
»	»	»	الجعران



توت عنخ آمون الملك الشاب

هل أنت جميلة؟

الشعب الضليل اسرائيل

سيدنا الحسين



